لن يصمت هذا الصوت

أمل دنقل ، وانطفأ الشعاع الذى ظل يتوهج حتى فى قلب الاعصار • وحين انطفأ الشعاع سكنت الريح الخبيثة ، وخيم الصمت •

كان محبا للحياة ؛ فلماذا اذن عصفت به الريح ؟

وكان فارسا من فرسان الكلمة ؛ فلماذا حملته الريح على الصمت ؟

وكان يمشى متوهجا بأشواق الزمن الآتى ؛ فلماذا أخمدت الريح الوهج ؛ لماذا هصرت أغصان الأشواق ؟

كان كريما على نفسه ، ولذلك كان شجاعا ، وكان صلبا ، وكان صادقا مع نفسه ومع غيره • لم يحن رأسه قط ، ولم يتضعضع أمام أقسى الظروف وأكثرها تجهما ، ولم يداهن أحدا ، ولم يراوغ •

عرف طريق الشعر فنذر له نفسه ، واختلط صوته بزحمة الأصوات ، ولكنه استطاع أن يكون له صوته المتميز وسط الزحام •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان واجدا من أكثر عشاق الكلمة ايمانا بها ، وتفانيا فى حبها ، وسعيا فى خطب ودها ، وتنزيها لهــا عن كل ما يمس كرامتهــا • كيف وقد كانت كرامته من كرامتها ، وشجاعته من شجاعتها ، وصدقه من صدقها ؟

هذا الشاعر هو أمل دنقل ، الذى عرف النهاية قبل زمن النهاية ، فلم يكن يعبأ بها • كان يمشى والعــلة تمشى فى شراييته وأوصاله ، فلا تحسبه الا مقــدما على يوم عرس ، أو متأهبا لنزال • كان يتفجر بالحديث فتحسبه لن يسـكت قط ، فاذا دخل فى عالم الشعر انهمر كالغيث •

لقد عاش حياته القصيرة للشعر وبالشعر ، فكان الشعر سلاحه فى الحياة ، وكان خلاصه • لقد هزمته العلة أخيرا فى معركة ضارية بينهما تصـعب على التصـديق ، ولكنه هزم العلة ، بالشعر • ولقد ترك للعلة أخيرا زمنه المحدود لكى يدخل فى الزمن غير المحدود ، ترك لهــا الجسد لكى يحلق بالروح ، وترك لها الأرض لكى يصعد الى السماء •

هذا هو الشاعر أمل دنقل •

ملحمة صراع نادرة فى عصر لم يعد يشــهد أبطـــال الملاحم •

ودورة فلك مبتورة لم يلتئم طرفاها •

ونجم ما كاد يلمع حتى أفل •

وتنهمر الدموع ، تنضب الدموع ، ويبقى الأسى ، يئز فى الضلوع ، فالشاعر قد رحل •

وتجيش الخــواطر ، وتتــزاحم الصــور ، وتختــلط الأصوات •

لا ، لم يمت « أمل » ، ولكنه يولد اليوم ولادة جديدة ، يتوهج فى القلوب والعقول والخواطر ليكمل ملحمته الكبرى ، ملحمة الشعر والصمود •

د. عز الدين إسماعيل

http://Archivebeta.Sakhrit.com

– هل تريد قليلا من الصبر ؟
– لا ..
فالجنوبى يا سيدى يشتهى أن
يكون الذى لم يكنه
يشتهى أن يلاقى اثنتين :
الحقيقة .. والأوجه الغائبة !!

من قصيدة « الجنوبى »
آخر ما نشره « أمل دنقل »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أشعار أمل دنقل

- البكاء بين يدى زرقاء اليمامة (١٩٦٩)
- تعليق على ما حدث (١٩٧١)
- مقتل القمر (١٩٧٣)
- العهد الآتى (١٩٧٥)
- احاديث فى غرفة مغلقة (١٩٧٩)
- لا تصالح (١٩٨١)

تحت الطبع :

- اقوال جديدة عن حرب البسوس
- اوراق الغرفة (٨)
- قصائد من امل دنقل (الأعمال الكاملة)

الفأر النرويجى

قصة :

نجيب محفوظ

من حسن الحظ ألا نكون وحدنا فى هذه المحنة . وقد دعانا السيد (أ . م) بوصفه أقدم ملاك الشقق فى العمارة الى اجتماع فى شقته لتبادل الرأى . لم يزد عدد الحاضرين على عشرة بما فيهم الداعى السيد (أ . م) وهو فضلا عن أقدميته أوسعنا ثراء وأرفعنا مركزا . ولم يتخلف أحد ، كيف يتخلف والمسألة تتعلق بالفئران وغزوها المحتمل لبيوتنا وتهديدها لأمننا وسلامتنا ؟ ويبدأ الداعى بصوت ملؤه الجدية « تعلمون ... » ثم يسرد ما تردده الصحف عن زحف الفئران وأعدادها الهائلة وتخريبها البشع . وترتفع أصوات من أركان الحجرة :

– ما يقال يفوق الخيال .

– هل رأيتم الريبورتاج التلفزيونى ؟

– ليست فئراننا عادية ولكنها تهاجم القطط والآدميين .

– ألا يحتمل أن يوجد شيء من المبالغة فى الموضوع ؟

– لا .. لا ، الواقع أكبر من أى مبالغة .

ثم يقول السيد (أ . م) بهدوء واعتزاز برياسته :

– على أى حال ثبت أننا لسنا وحدنا ، هذا ما أكده لى السيد المحافظ .

– جميل أن نسمع ذلك .

– فما علينا الا أن ننفذ التعليمات بدقة ، ما يجيء منها عنى مباشرة أو ما يجيء عن طريق السلطة ..

وخطر لأحدنا أن يسأل :

– هل يكبدنا ذلك تكاليف باهظة ؟

فلجأ الى الدين قائلا :

– الله لا يكلف نفسا الا وسعها .

– المهم ألا تكون مرهقة .

فلجأ الى الحكمة قائلا :

– لا يدفع الشر بما هو أشر منه !

وعند ذاك قال أكثر من صوت :

– ستجدنا ان شاء الله من المتعاونين .

فقال السيد (أ . م) :

– نحن معكم ولكن لا تعتمدوا علينا كل الاعتماد ، اعتمدوا أيضا على أنفسكم ؛ ابدأوا على الأقل بالبديهيات .

– عين العقل والصواب . ولكن ما البديهيات؟

– اقتناء المصايد والسموم التقليدية .

– عظيم .

– الاكثار ما أمكن من القطط فى بئر السلم وفوق السطح ، وفى الشقق أيضا اذا سمحت الظروف .

– لكن يقال أن الفار النرويجى يهاجم القطط !

– لن يخلو القط من فائدة .

ورجعنا الى مساكننا بروح عالية وعزيمة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

صادقة · وسرعان ما غلب التفكير فى الفئران على سائر همومنا · وكثر ورودها علينا فى أحلامنا وشغلت أوسع مساحة فى حوارنا ، وتصدت لنا باعتبارها المشكلة الأولى فى وجودنا · ومضينا ننفذ ما تعهدنا به ، ولبثنا ننتظر مجىء العدو · يقول بعضنا : انه لم يبق من الزمن الا أقله ويقول آخرون : سنلمح ذات يوم فأرا يمرق فيكون النذير بأن الخطر قد دهم · وتضاربت التفسيرات حول تكاثر الفئران · هو فى رأى نتيجة لخلو مدن القتال حين الهجرة ، وفى رأى يرجع الى سلبيات السد العالى ؛ ورأى يحيله الى نظام الحكم ، وكثرة ترى فيه غضبا من الله على عباده لتنكرهم لهداه· وبذلنا جهدا مشكورا للاستعداد الرشيد لم يتهاون فيه أحد · وفى اجتماع تال بمسكن السيد الفاضل (أ · م) قال حفظه الله :

— سرنى ما اتخذتم من أسباب الوقاية ؛ وأسعدنى أن أرى مدخل عمارتنا وهو يموج بالقطط ، أجل ان البعض شكا الى تكاليف تغذيتها ولكن كل شىء يهون فى سبيل الأمن والأمان ·

وقلب عينيه فى وجوهنا بارتياح ثم تساءل :

— ترى ما أخبار المصايد ؟

فأجاب أحدنا ، وهو مرب فاضل :

— سقط عندى فأر هزيل من فئراننا الوطنية ·

— أيا تكن هوية الفار فهو مؤذ ، أما اليوم فيهمنى أن أبلغكم بوجوب المزيد من الحيطة بعد أن أصبح العدو على الأبواب ، وسوف توزع علينا كميات من السم الجديد المطحون فى الذرة ، يوضع فى الأماكن الحساسة مثل المطبخ ، مع الحذر الشديد لحماية الأطفال والدواجن والحيوانات المستأنسة ··

وحصل فعلا ما وعد به الرجل ، وقلنا حقا لسنا وحدنا فى المعركة ، وتدفق منا الثناء على جارنا الهمام ومحافظنا الجليل · أجل حملنا ذلك الكثير من الانتباه يضاف الى همومنا اليومية · كذلك وقعت أخطاء لا مفر منها ، فقتلت قطة فى احدى الشقق ، وقتل عدد من الدجاج فى شقة أخرى · ولكن لم تحدث خسائر فى أرواح البشر · وكلما مضى وقت اشتد توتر أعصابنا ويقظتنا ، وثقل على قلوبنا هم الانتظار فقلنا : وقوع البلا ولا انتظاره · ويقابلنى جار ذات يوم فى محطة الباص فيقول لى :

— سمعت من ثقة أن الفئران أهلكت قرية وزمامها كله ·

— لا أثر لهذا الخبر فى الجرائد !

فحدجنى بنظرة ساخرة ولم ينبس · وتخيلت الأرض سائلة بحشود من الفئران لا أول لها ولا آخر ، وجموعا من المهاجرين تهيم على وجهها فى الصحراء ، ايمكن أن يقع هذا ياربى !! ··

ولكن ما وجه الاستحالة فى ذلك ؟ · ألم يرسل الله من قبل الطوفان والطير الأبابيل ؟ · هل يكف الناس غدا عن كفاحهم اليومى ليرموا بما يملكون فى أتون المعركة ؟ · وهل ينتصرون أو تكون النهاية ؟ ·

وفى الاجتماع الثالث بدا السيد (أ · م) منشرحا وراح يقول :

— تهانئى يا سادة ! النشاط متقد على أكمل وجه والخسائر ضئيلة لا تذكر ولن تتكرر باذن الله ، وسوف نصبح من أهل الخبرة فى مقاومة الفئران ، وربما استعانوا بنا فى المستقبل فى أماكن أخرى ، والسيد المحافظ فى غاية من السعادة ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأراد أحدنا أن يشكو قائلا :

— الحق أن أعصابنا ··

ولكن السيد (أ · م) قاطعه :

— أعصابنا ؟! ·· لا تفسد نجاحنا بكلمة طائشة !

— متى يبدأ الهجوم الفارى ؟

— لا أحد يستطيع أن يقطع برأى ، ولا أهمية لذلك طالما أننا مستعدون للمعركة ·

ثم واصل بعد فينة صمت :

— التعليمات الجديدة ذات خطورة خاصة وهى تتعلق بالنوافذ والأبواب وأى ثقب فى جدار أو غيره · أغلقوا النوافذ والأبواب ، افحصوا حافة الباب السفلية بصفة خاصة ، فان وجد زيق تنفذ منه قشة أقيموا وراءه عوارض خشبية لتسده بالكامل ، وعند التنظيف صباحا يبدأ بحجرة فتفتح نوافذها ، يكنس فرد ويقف آخر مسلحا بعصا للمراقبة ثم تغلق النوافذ وينتقل الى حجرة تالية بنفس الأسلوب ، وبانتهاء التنظيف تكون الشقة علبة محكمة الاغلاق أيا كان المناخ ·

وتبادلنا النظرات في وجوم وقال صوت :

ـ من المتعذر الاستمرار في ذلك .

فقال الرجل بوضوح :

ـ بل عليكم أن تلتزموا بالدقة البالغة في التنفيذ .

ـ حتى في الزنزانة توجد ..

وسرعان ما قاطعه بحدة :

ـ نحن في حرب ، أي في حال طوارىء ، وليس الخراب فقط ما يهددنا ولكن الأوبئة أيضا والعياذ بالله يجب أن نحسب حسابها !

ومضـينا ننفـذ ما أمرنا به صـاغرين . وخضنا أكثر في مستنقع الترقب والحذر وما يصحبه من ضيق وملل . واشتد توتر الأعصاب فترجم الى منازعات حادة يومية بين رب البيت وربته والأبناء . ورحنا نتابع الانباء ، فصار الفر النرويجي بجسمه الضخم وشاربه الطويل ونظرته المندرة الزجاجية نجما من نجوم الشر يجول في أخيلتنا وأحلامنا ، ويستقطب جل أحاديثنا .

وفي آخر اجتماع قال السيد (أ . م) :

ـ بشرى ، خصصت فرقة من أهل الخبرة لتفقد العمائر والشقق والمحال المعرضه للخطر ، وذلك دون المطالبة بأية رسوم اضافية .

وكان خبرا سارا استقبلناه بارتياح عام ، وأملنا أن نزيح عن صدورنا بعض العناء الذى نعانيه . وذات يوم أخبرنا البواب أن المندوب تفقد مدخل العمارة وبئر السلم والسطح والجراج فبارك جماعات القطط المنتشرة هنا وهناك ، ونبه عليه بالمزيد من اليقظة والابلاغ عن أى فار يظهر، نرويجيا كان أو مصريا . وعقب انقضاء أسبوع واحد على الاجتماع دق جرس الشقة واذا بالبواب يبشرنا بقدوم المندوب مستأذنا في التفتيش . لم يكن الوقت مناسبا اذ كانت زوجي قد فرغت لتوها من اعداد الغداء ، غير أنني هرعت الى الخارج لأرحب بالقـادم . وجدتني أمام رجل متوسط العمر مكتنز الجسم ذى شارب غليظ يذكر وجهه المربع بوجه قط بأنفه القصير المطموس ونظرته الزجاجية . رحبت به مداريا ابتسامة كادت تنقلب الى ضحكة ، وقلت لنفسى حقا انهم يحسنون الاختيار . وسرت بين يديه ومضى يتفقد المصائد والسموم والنوافذ والأبواب ويهز رأسه بارتياح . غير أنه رأى في المطبخ نافذة صغيرة مصفحة بغشاء سلكى ذى ثقوب بالغة الصغر فقال بحزم :

ـ أغلقوا النافذة .

وهمت زوجي بالاحتجاج ولكنه بادرها قائلا:

ـ الفأر النرويجي يقرض السلك !

ولما أطمأن الى نفاذ أمره راح يشم رائحة الطعام معلنا استحسانه فقلت له :

ـ تفضل .

ـ لا يأبى الكرامة الا لئيم !

وفي الحال أعددنا له مائدة وحده زاعمين له أننا سبقناه . وجلس الى المائدة . وكأنما يجلس في بيته ، وجعل يلتهم الطعام بلا حرج ولا حياء وبنهم عجيب . ومن باب الذوق غادرناه وحده . غير أنني رأيت بعد حين أن أطوف به لعله في حاجة الى شيء . وفعلا جددت له طبقا ، وفي أثناء ذلك لاحظت تغيرا مثيرا في منظره شد اليه عيني بقوة وذهول . خيل الى أن هيئة وجهه لم تعد تذكر بالقط ولكنها تذكر بالفأر ، بل الفأر النرويجي نفسه . ورجعت الى زوجي ورأسي يدور. لم أصرح لها بما رأيت ولكنني طالبتها بأن تشجعه وترحب به ، فغابت دقيقة ثم رجعت شاحبة اللون وحملقت في وجهي ذاهلة ، ثم تمتمت :

ـ أرأيت شكله وهو يأكل ؟

فأحنيت رأسي بالايجاب فهمست :

ـ انه لأمر مذهل يعز على التصديق .

فوافقتها على رأيها بهـزة من رأسي الدائر . ويبدو أن اغراقنا في الذهول أنسانا مرور الوقت فانتبهنا مع صوته آتيا من الصالة وهو يقول بمرح :

ـ عامرا !

فاندفعنا نحوه ولكنه قد سبقنا الى البـاب الخارجي وذهب . لم نلمح منه الا ظهره المترجرج، ثم التفاتة سريعة ودعتنا بابتسامة نرويجية خاطفة . ووقفنا وراء الباب المغلق نتبادل نظرات حائرة .

القاهرة : نجيب محفوظ

مرثية إلى خليل حاوي

عبد الوهاب البياتي

(١)

حين انتظر الشاعرْ
ماتت عائشة فى المنفى
نجمة صبح صارت
لارا وخزامى
هنداً وصفاء
ومليكة كل الملكات
تمثالاً كنعانياً
نار حريق فى أبراج البترولِ
وفى أبيات « نشيد الإنشاد »
ودمًا فوق سطور « التوراة »
وجباه لصوص الثورات
صارت نيلاً وفراتْ
ونذور الفقراء
فوق جبال الأطلس
قافية فى شعر أبى تمامْ
صارت بيروتَ ويافا
جرحًا عربياً فى مدن الإبداع
منذوراً للحب
رمسكونًا بالنار
صارت عشتار

(٢)

حين ارتحل الشاعرْ
رسمتْ خارطة الأشياء خطاهْ

(٣)

حين انتحر الشاعر
بدأت رحلته الكبرى واشتعلت فى البحر رؤاهُ
وحين اخترقت صيحته ملكوت المنفى
طفق الشعب القادم فى صحراء الحب
يحطم آلهة الطين
ويبنى مملكة الله

العراق عبد الوهاب البياتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحزان

الصــوت الأول :

لو أن سيوف الناس سواء ..
لتساوى نصل النُبْل بنصل الجُرم .
ونصل الصبح بنصل الأيام السوداء !
لو أن سيوف الناس سواء ..
لتساوى سيف ملوك « سبأ »
بالسيف الهمجىّ (لأبرهة الحبشى)
وتساوى « سيف العبْسىّ »
بسيف الفرسان الجبناء !
وتساوى سيف ابن ربيعة (سالم)
بالسيف الختّال (لجسّاس) .
هل تتساوى أفئدة الناس ؟
واعجبا ! . كيف تدين عيونك حلمى ؟
حملت أعراقى همَّ المجد صغيراً
فتعلمت بأن مواريث الأجداد – بلغة
المجد – بيارق ،

تنبت وسْطَ الصخر ،
بسقيا الدم .
مَنْ فرَط فى شىء منها مأفون ..
حين امتلكت يمناى السيف البارق
دوّت فى أذنىَّ الصرخات .. سمعت عويل
البسطاء المنتظرين ، وعودا لاتأتى بالشبع
وبالأثمار ..
ووعودا لاتأتى بالقمر الشارد فى ملكوت
الغيب .
ياسيدتى ..
حوصرت طويلا داخل نفسى ..
لا أنا حىٌّ أتحاور باللغة المسموعة
أو ميْتٌ أرتاح بفقد شعورى
بالأشياء .
مطرودٌ من جلدى ، يترصّدنى الموت على كل
حِراب الحراس.

سيف بن ذي يزن

جميل محمود عبد الرحمن

يبنون لسيّدهم مجدا .. فوق جماجم
قومى .
والكهّان حواليه يمدّون بساط الملَق الممجوج .
يمدّون حبال السحر كحيّات تسعى
تسترضى سيدها .. تعلى قدره .
وعصا (موسى) ماتت معه ... لن تلقف
بعد الآن خداع الكهّان السحره ..
فكفانا صمتا فى ساحته .
شهوتُه المجنونة
تخنق كل الأَطفال بأَصلاب الآباء .
وتُقطّع أثداء النسوة ، تستحيى أبكار
حواضرنا وبوادينا ..
يصبحن جوارى متعته المجنونة ..
كل مساء !

الصـوت الثانى :

حلمك حمّلنى عارا .. فى أحشائى يتحرك
يقتلنى ، يصبغ أيامى الباقية بلون السبى
وخزى العار ..
ياعشقا أحفظه فى قلبى ..
عطرا مأنوسا وشموس فرح
ومدائن لايحكمها غير الحب
ومحاريب أمل
هدمتها الكفُّ السوداء !
وأنا أعرف ثوبى ..لودنّسه الزمن الطاغى
لايطّهر إلا بالدم ،
فاحفظنى فى عينيك جُسورَ غضب
وبحار لهب .
لاتستسلم لليأْس ولاللدعة ولالحكايا القمر
المخسوف ..
لا يخدعْك نُعاس الفىء .
ولا ظلُّ كهوف الأَحزان !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كن غضبي المتوثّب دوما .

كن ثأرى ... عارى ..

كن وجهى المخطوف ...

كن كل بكاراتى المفتضّة .. كن حلمى

المسروق .. وكل ليالىّ . المسبية ..

ووداعا .. فالخنجر يحتضن فؤادى الآن

فارفع رأسك وسط الغيلان .

وحدى أغسل عارى ..

الصـوت الثالث :

لا تنتحرى ... فتموت بعينيك خيوط الأمل الباق

ثوبُك أطهرَ أثواب الدنيا

ليست عيناك الطاهرتان

بعينى عاهرة تحترف الإثم .

حين أتاك المسخ .

لم تستسلم عيناك .

اللؤلؤتان الصافيتان انكدرت بهما

كل الأنجم .

سُجِرت الأبحر .

كورّت الشمس الساطعة . بوجه

الأشرم .

غامت كل ملامح صفو الرؤية ....

لم يمنحه الطرف الفاتر .. رقرقة العشق

لا تحترق باليأس ...

يامنبع طهرى .. لن ألمس طيبا حتى

يرجع عطرك .

أعرف كيف أصونك فى قلبى .

لم يتدنّس ثوبُك فى عينىّ الشاخصتين

اليك ..

اصْطبِرى !

إنىّ أجلوا عن سيفى الخرَس ، الصدأ ،

الخوف ،

أجلو عن صوت الخيل الإطراق ،

الفرّ ، وصمت الكهف

وحدى .. أحملك على شطئان الحلم المتألق .

أسقِط تحت سنابك خيلى قهقهةَ

المغرور

أرهن حلمى .. يومى وغدى ....

أرهن نبض عروق .... وثغاء دمى ....

لأعيد إلى الحلم المفقود الموسيقى

[تعزفها كفاك .. وبسطُ يديك ..

وأعيد إلى تاجك .. لؤلؤة الفخر .

لاتنكسرى !

سيفك يطوى كل الأحقاب .. الأزمنة ،

الأيام .. الخطوات

لاتنكسرى !

لاتنكسرى !

السعودية : جميل محمد عبد الرحمن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشخصية المحورية في روايات «مجيد طوبيا»

د. عبد القادر القط

تكاد تكون رواية مجيد طوبيا « ريم تصبغ شعرها » سيرة لحياة بطلتها منذ أن كانت بظهر الغيب قبل أن يلتقى أبوها المزواج بأمها فى الفندق الذى نزل به فى القاهرة « فبهرته بلونها الأبيض وشعرها الذهبى ، وهو الشىء النادر فى الصعيد ، فانجذب اليها دون ارادة !! » ثم منذ كانت طفلة تلهو مع اخوتها لأبيها الى أن رحلت بعد وفاة أمها الى قرية جدتها فى الشمال ، والى القاهرة لتكمل تعليمها وتلتحق بالجامعة • وريم لهذا شخصية محورية تدور أغلب أحداث الرواية حول شخصها ، وتدور سائر الشخصيات فى فلكها ؛ شأنها فى ذلك شأن مهجة فى رواية الكاتب « غرفة المصادفة الأرضية » وحنان فى روايته المسماة باسمها ، وشأن الشاب المثقف فى روايته « الهؤلاء » •

وروايات الكاتب جميعها قليلة الطول ، صغيرة الحجم ، لا تزيد كبراها « ريم تصبغ شعرها » • على مائتى صفحة صغيرة الا قليلا ، وتقع الأخريات فيما دون المائة والخمسين • وهى لهذا تقتضى كثيرا من الاحكام فى البناء والاقتصاد ، فى وصف الأجواء ، وسرد الأحداث ، والاقتصار على اختيار ما يوضح أبعاد الشخصية المحورية ، ويبرز دلالاتها • ويبدو البناء المحكم والاختيار المقصود أكثر ضرورة فى رواية الكاتب الأخيرة « ريم » ، لأنها لا تقدم الشخصية وقد اكتمل وجودها النفسى والفكرى والأخلاقى قبل أن نلقاها فى الرواية ، كالذى نراه عند مهجة في « غرفة المصادفة الأرضية » وعند حنان فى الرواية المسماة باسمها •

وقد اختار الكاتب لشخصياته المحورية أن يسيطر عليها « دافع واحد » يكون المحرك الأول لما تأتى من سلوك ، وما تتخذ من مواقف ؛ وما يقوم بينها وبين الآخرين من صلات • فقد عرفت ريم منذ طفولتها بجمالها الفائق ، وأدركت هى حقيقته من ثناء المعلمين والمعلمات فى المدرسة ، ونظرات الناس وأحاديثهم فتحول بالتدريج الى محور أساسى لشخصيتها ، ثم اكتمل الى أن بلغ ما يشبه « العقدة النفسية » بعد أن التحقت بالجامعة ، وعاشت فى جو مليء بكل ما يمكن أن يبعث هذا الاحساس ويؤكده أما مهجة بطلة « غرفة المصادفة الأرضية » فتسيطر عليها الرغبة فى تحقيق الذات ، والحرية عن طريق الجنس فى أغلب الأحيان ، « **فهى تسلك على سجيتها ، وتتحرك حسب مزاجها دون قيود •• وسر جمالها يكمن فى شخصيتها وفى تقلباتها» •** وأما حنان فيستبد بها حب الزوج والحرص على بقائه ، وهو حب يرتبط بالنشوة الجنسية ويختلط فيه الوجدان بالغريزة فى كثير من الأحيان •

وترتبط هذه « الدوافع المسيطرة » على اختلافها بخوف مرضى يشل ارادة الشخصية ، فيمنعها من اتخاذ قرار يكسر جدار ما تعيش فيه من دائرة مغلقة ، أو يدفعها الى اتخاذ قرار مفاجيء غير منطقى فى لحظة من الاندفاع ، أو بلبلة الشعور • فحنان تحب زوجها ــ ويبدو أن زوجها يحبها ــ ولكنهما لا ينجبان • والزوج مشغول بعمله فى شركته بالقاهرة فيترك زوجته وحدها بالاسكندرية ، ليدير شركته ويلهو مع سكرتيرته الحسناء • وبتأثير من خوف العقم والوحدة ، وفى لحظة اندفاع وهى بين الحلم

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

واليقظة من أثر « المهدئات » تلقى بنفسها فى أحضان غجرى شاب لتحمل منه · ومهجة فى « غرفة المصادفة الأرضية » تتنقل من رجل الى رجل فى لحظات اندفاع وقتى ، تترك كل رجل فى اللحظة الحاسمة على نحو يبدو نزقا مفاجئا لا يفهمه الرجال · فهى تترك صاحبها — فى لحظة النشوة الجنسية — اذ خيل اليها أنه يريد بممارسة الجنس أن يثبت لها « فحولته » · وتهجر صاحبا آخر مع شاب ساقته المصادفة الى مسكن ذلك الصاحب هربا من مطاردة الشرطة بعد اشتراكه فى مظاهرة طلابية ، وتفر — فى اللحظة الحاسمة أيضا — من صاحب ثالث فنان فتغادر بيته على غفلة منه ليلة عيد الميلاد ، لسبب غير مفهوم ·

أما ريم فتعيش فى دائرة مغلقة من الاستعلاء المصحوب بالتوجس والخوف من الرجال ، وتفرض على نفسها فى الجامعة عزلة تندفع لتخرج منها فى لحظات فجائية قصيرة لتثبت قدرتها على الاغراء أحيانا ، أو رد العدوان أحيانا أخرى ، ثم تهرع داخل أسوار عزلتها واستعلائها من جديد · وهى لنشأتها الريفية ، وتكوينها النفسى ، لا تمنح نفسها ذلك العبث القلق الذى تمارسه مهجة فى « غرفة المصادفة الأرضية » لكنها « تعبث » بشعرها ، مرة لتبدو أمام أقرانها أكبر سنا فتصبغه « بخصلة بيضاء فى جانب شعرها البنى » وتفاجئهم فى مطلع العام التالى بشعر مصبوغ جميعه بلون الفضة لتبدو كأنها ملكة متوجة ، ثم تحاول جذب انتباه أستاذها الشاب العائد من بعثة أوربا فتصبغ شعرها « بلون أسود كالفحم ! » · واذا كان القارىء يستطيع أن يتابع سلوك مهجة وحنان بدافع واحد مسيطر فانه لا يستطيع الا أن يقف موقف التساؤل امام ما قد يكون كامنا من دلالة وراء صبغ الشعر المتكرر عند ريم وبخاصة أن الرواية قد استمدت عنوانها من هذا الصنيع !! وقد تستطيع أية فتاة عصرية أن تصبغ شعرها كما تريد أما ريم فلا يحق لها أن تفعل هذا كلما أرادت الا اذا كان تعبيرا عن شىء أكثر عمقا وأفصح دلالة على تكوين نفسى خاص ·

والحق أن الكاتب قد حاول منذ بداية الرواية أن ينبت جذورا لتوجس ريم من الرجال والاحتماء من خوفهم بالاستعلاء عليهم تارة بما كانت تراه أو تسمعه من سلوك أبيها وأحاديثه ، وتارة بما كانت تقع عليه عيناها من بعض مشاهد الحياة فى الريف والحقول فقد كان أبوها مزواجا يسعى وراء ارضاء شهواته وكان يعشق الأشياء الطازجة ، ويعرف أن طعم الخيارة عند قطفها من الغيط ألذ طعما منها وهى تباع فى السوق بعد أيام ! » ورأت فى حظيرة الغنم أن الذكر له قرنان ليس للأنثى مثلهما وعرفت من راعى الحظيرة أن « الذكر له قرنان ليدافع بهما عن نفسه وعن نعجته ·· وأن الذكر أقوى ·· وأن هذه ارادة الله » ·· وفى الليلة التالية لوفاة جدها لأمها شهدت اباها خلسة يجبر أمها على المضاجعة غير عابىء بحزنها ولا بشذوذ الأمر فى ذلك الوقت الفاجع · وهى تذكر كيف غاب أبوها أياما عدة فى المدينة فلم تجد أمها من يعنى بساقها المريضة فيحملها الى الطبيب أو يحضره اليها الا بعد فوات الأوان · وحين انتقلت من قرية جدتها بعد أن اتهمها « الرجال » ظلما بمغازلة جار شاب التحقت فى القاهرة « بالداخلية » فرأت من زميلتيها فى الغرفة انحرافا جنسيا بشعا ، وشهدت كيف استجاب زوج أختها لاغراء احداهن وعرفت أنه كان يلقاها فى مسكن خاص أعده لمقارفة ملذاته · على أن هذه الجذور التى أراد المؤلف أن تنبثق منها شخصية ريم ويتشكل سلوكها أو « عقدتها النفسية » جاءت منثورة فى تضاعيف الرواية على نحو عارض يكاد يكون مشتركا أو « عاديا » على الأقل فى نشأة كثير من أطفال الريف ، فى جو يختلط فيه عبث الطفولة بما قد يكون له وقع طويل فى نفس الطفل · فالاب — مثلا — برغم زيجاته المتعددة — لم يكن شخصية شاذة أو بالغة القسوة ، بل كان صورة لنوع من الرجال يرضون شهواتهم فى الحياة « بفلسفة » خاصة يبررونها لأنفسهم دون أن تجور على شخصياتهم فيصبحوا نماذج أقرب الى الشذوذ وقد أحبت ريم أباها ونعمت بصحبته حين زارها فى القاهرة بعد طول انقطاع ورأت فيه مثلا للرجل الذى يمكن أن تحلم به ! لذلك لا يكاد يحس القارىء بأثر هذه التجارب الأولى فى تكون شخصية ريم حين انتهت الى الجامعة بل

يظل شعورها بجمالها الفائق هو « الدافع الواحد المسيطر » ويصبح سلوكها نحو زملائها وزميلاتها موقفا واحدا مكررا ونمطا لا يتغير لانه خال من الصراع أو العلاقات الانسانية الحقيقية التى يمكن أن تبدو من خلالها كوامن النفس ورواسب الذكريات البعيدة . وهكذا يصبح « صبغ شعرها » خاليا من الدلالة النفسية الحقيقية التى تمثل تحولا من شعور الى شعور أو عبورا من تجربة الى تجربة .

والحق أن الرواية ـ منذ انتقلت مشاهدها الى الجامعة ، والى كلية الآداب ! ـ أصبحت قريبة الشبه ببعض ما نشاهده من أفلام وتمثيليات تتخذ فيها الجامعة مجرد مسرح لصلات مراهقة سطحية ونماذج نمطية تمثل « خفة الظل » عند بعض الطلبة أحيانا ؛ أو السعى وراء الحب أحيانا أخرى أو الغيرة والمنافسة فى بعض الأحيان . ثم ينتهى الأمر الى ما نعهده فى تلك الأفلام والتمثيليات من هيام الطالبة المفاجىء بأستاذها الشاب بعد عودته من بعثته فى الخارج حاملا لقب الدكتوراه ! » وكأن اختيار الجامعة لتكون موطنا لأحداث الرواية لا يجىء الا لأنها مكان طبيعى لالتقاء جماعات من الفتيان والفتيات فى سن ذات ميول عاطفية خاصة يتاح لهم فيها ما لا يتاح لغيرهم من لقاء يومى مقبول من المجتمع وتستوى الجامعة فى هذا الوضع بأى مكان آخر يمكن أن يتاح فيه هذا اللقاء المكرر المشروع ما دامت حياة شخصياتها فى الرواية لا تتميز عن غيرها بطبيعة الحياة فى الجامعة وما يمكن أن يشغل الشباب من طموح ثقافى وقضايا فكرية وسياسة وهموم اجتماعية وعصرية . ولعل ذلك يعود الى أن المؤلف كان يعد شخصية « ريم » منذ البداية لهذا الدور الذى يسيطر فيه احساسها بجمالها على سلوكها سيطرة تامة ؛ بتعجله نموها فى لقطات سريعة يستغرق بعضها عدة أعوام ؛ وتتنقل فيها الشخصية من مكان الى مكان ، دون أن نحس بعمق ما تركه الزمان أو المكان فى وجدانها أو فكرها من نمو أو تعقد .

ومثل هذه الروايات القصيرة تقتضى ـ كما ذكرنا ـ احكاما فى البناء ، وتوجيها خاصا للأحداث يتوقع القارىء معه علة لكل سلوك ودلالة لكل صلة وقصدا من وراء كل حوار ، اذ لا سبيل فى مثل تلك الأعمال القصيرة الى تلك الحرية التى يمارسها كاتب الرواية الطويلة حين يعرض بعض مشاهد جانبية ، أو أحداثا وشخصيات ثانوية أو يدير حوارا عارضا ليزيد الرواية رحابة فى الجو وتعددا وتفرعا فى الأحداث والشخصيات .

لكن رواية ريم لا تخلو من فضول فى المشاهد وثرثرة فى الحوار وتعدد فى شخصيات ثانوية يختفى معظمها بتقدم الأحداث ولا تخدم البناء الفنى للرواية ، أو تضيف أبعادا جديدة الى شخصيتها الأولى . ومن نماذج ذلك الفضول عبث سعد أخيها لأبيها معها اذ أوهمها أنه عفريت يستطيع أن يمسخ البشر الى مخلوقات دميمة أو الى حيوان ، طالبا اليها أن تجيئه ببعض ما صنعت أمها من فطير ! ومنه أسئلة يمكن أن يتوجه بها أى طفل الى الكبار من حوله عن الموت والملائكة والزواج وغير ذلك مما يثير تطلع الطفل الى المعرفة فى أعوامه الأولى ولا يدل على نشأة خاصة ؛ أو نزعة شخصية . وهكذا تحاور ريم أمها بعد أن مات جدها :

ـ لماذا دفنوا جدى تحت التراب ؟

ـ جدك الآن فى السماء مع الملائكة .. نامى يا ملاكى .

ـ هل أنا ملاك ؟

ـ أنت مثل الملائكة .

ـ وهل جدى الآن مع ملائكة مثلى ؟

ـ نامى يا حبيبتى ولا تتكلمى حتى توقظى رجاء .

ـ ليست نائمة .

ـ نامى .

ـ هل الملاك ولد أم بنت ؟

وتصادف مثل هذا الالحاح والافاضة فى سائر روايات الكاتب ، حين يبغى أن يوضح « الدافع الواحد » أو العقدة النفسية » عند

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شخصياته فيدفعها الى خط واحد مستقيم من السلوك أو التفكير أو الشعور ، قد يتضمن بعض « المراحل » لكن كل مرحلة تظل — فى دلالتها — صورة مكررة لبقية المراحل. ففى رواية « غرفة المصادفة الأرضية » يبحث صديق مهجة القديم عنها بعد أن خرج من معتقله ، فيقوده بحثه الى صديق يزعم أنه لاجىء سياسى مطارد ثم الى رجل أعمال ثرى ثم الى فنان كانوا ثلاثتهم على صلة خاصة بمهجة واحد بعد الآخر • وفى كل لقاء يروى الصديق كيف عرف مهجة ، وكيف اختفت فجأة من حياته بكثير من التفصيلات الصغيرة التى لا تحتملها رواية قصيرة • فحين يلتقى الراوى فى بحثه عن مهجة بصديقه القديم — اللاجىء السياسى — لا يبدآن حديثهما عنها الا بعد سهر طويل وتسكع فى شوارع القاهرة ، وجلوس على شاطىء النيل مع بعض الشراب حتى الصباح • وحين يروى الفنان قصته مع مهجة يصف سهرته معها ليلة عيد الميلاد وتنقلهما من ميدان رمسيس الى نزهة فى النيل ثم الى مطار القاهرة وثرثرتهما الطويلة الفارغة حتى تختفى من بيته فجأة — كعادتها مع كل الرجال — فى اللحظة الحاسمة ويستغرق هذا من الرواية الصغيرة سبع عشرة صفحة كاملة !

أما رسمى — رجل الأعمال الثرى — فيتحدث طويلا الى الراوى عن ذكرياته وهو طفل عن أبيه ضابط الشرطة وكيف كان يطلق الهجانة على رجال القرية ويوسعهم ضربا وجلدا • وهى ذكريات يشعر المؤلف أنها دخيلة على الرواية فيعتذر عنها بالأسلوب المألوف قائلا — على لسان رسمى — : « لا أدرى لماذا أحكى لك كل هذا ! ربما لأنى ارتحت اليك ! » والحق أن الشخصيات تتكاشف ويطلع بعضها بعضا على أسرار وعلاقات شخصية لا تنبع من دوافع حقيقية فى الرواية ، بل لتقدم الى القارىء « معلومات » مقصودة •

وفى رواية « حنان » يمضى الزوج أياما كثيرة بالقاهرة — بعيدا عن زوجته بالاسكندرية • فى عبث متكرر ، أو فى استخدام سكرتيرته الحسناء لتغرى ابن أخى منافسه فى « مناقصة » كبيرة ، لكى تعرف منه سر المناقصة • وكلها أحداث بعيدة عن مسار الرواية الأساسى ولا تخدم هدفا الا ابقاء الزوج بعيدا عن زوجته ؛ ليزداد احساسها بالوحدة والفراغ ، فتسقط بين أحضان الفجرى الشاب • واذا كان هذا هو القصد فان مجرد انصراف الزوج الى العمل كان يمكن أن يقود الى هذه النهاية ، دون حاجة الى شخصيات وأحداث تختفى من الرواية بعد أداء « وظيفتها » •

وما دامت الشخصية المحورية تعيش أسيرة « الدافع الواحد » بعد أن اكتمل أثره فى فكرها ووجدانها وسلوكها فانها تعيش فى دائرة ضيقة من الصلات والتجارب ، الا ما اتصل منها اتصالا مباشرا بطبيعة ذلك الدافع وأثره • فالشخصيات الأخرى شخصيات ثانوية لا تمنحها حياة على شىء من الرحابة أو التنوع وهى لهذا دائمة السعى وراء عالم مفقود لا تجده فى دنياها الضيقة المغلقة ، فتخلق لنفسها عالمها الخاص فى أحلام النوم وأحلام اليقظة ، والأوهام والغيبوبة • ولأن هذه الأحلام تجىء بديلا عن الواقع ، تبدو طويلة • منسقة ، منطقية ، لا يصعب تأويلها بعيدة عن طبيعة الأحلام المألوفة.

على أن أحلام ريم لا تكثر ولا تطول الى هذا الحد ، كما تطول وتكثر أحلام مهجة وحنان • ذلك لأن وقائع مادية كثيرة تجرى لها فى الرواية منذ كانت طفلة حتى تخرجت فى الجامعة فتصرفها شيئا ما عن الاحلام وان لم تصرفها عن الذكريات• ولكنها مع ذلك وقائع لا تربطها بالواقع ولا تتخذ صورة « التجربة » بل هى أقرب الى معالم « السيرة » من خلال تعاقب الزمان وتغير المكان • وهى مع ذلك تحلم حلما مكررا يكاد يوحى بأنها قد تعلقت بأبيها بعد أن زارها بالقاهرة تعلقا غير عادى وربطت بين حبها اياه وصلته بأمها وهو شعور نبت فجأة خلال تلك الزيارة ولم يكن له تمهيد سابق فى الرواية • « غفت ريم ونامت لكن ذهنها لم يرحها • حلمت • رات نفسها فى ثوب الزفاف عروسا تزف الى رجل يكبرها له جرم والدها • واحضرها الى هذه الغرفة، اخذها الى سرير امها وجذبها اليه وهم بتقبيلها • فى الليلة الأخيرة نامت على صوت تنفس والدها المنتظم وشبح امها العروس يهوم فى خيالها وسرعان ما عادت ترى نفسها عروسا فى ثوب الزفاف الناصع •• وهم ياخذونها

الى عريسها • رأته ريم أكبر منها بسنوات عديدة لكنه أعجبها • وجدته قويا اخــاذا له جـرم والدهـا •• »

أما أحلام « مهجة » فى « غرفة المصادفة الأرضية » فتتعاقب وتتكرر « **معينها من الأحلام لا ينضب ! ورغبتها فى التجدد لا تهـدأ** فمن حلم رمزى منطقى ذى مغزى واضح تستغرق روايته أربع صفحات كاملة ، الى حلم آخر ترى فيه نفسها وقد مات قلبها ولكن جسدها ما زال حيا • وينصح الطبيب بأن يغيروا قلبهـا : « **هناك أطباء يجيدون تغيير القلوب وقد يكون بامكانهم استبدال قلبهـا المتوقف بآخـر حى نابض** » • ولا يجد صاحبه الفنان مشـقة فى تأويل ذلك الحلم المنطقى الواضح : « • **هذا معناه انك امراة لا بأس بجسدها لكن قلبها ميت !** »

•• ومرة ثالثة ، كما ينقل الينا الـراوى من مذكراتها ، تتخذ أحلامها صورة العودة الى الماضى والأساطير الدينية فتناجى حوريس نجوى طويلة ملتمسة منه الهداية والخصب •

وأما حنان فتقترب أحلامها من الأوهام الحلوة أحيانا فى عالم المخدر الجميل « **ورات ثوبهـا ينحسر واصابعها تتمدد ، تنمو ثم تتحول الى زهور تهتز مع النسيم فتنشر مع حركتها الوان الطيف كأنها قوس قزح ! وجلدها يرق ، جلد** وجهها يرق ليصبح كورق السلوفان •• وعند **الفجر أتت العصافير ووقفت على باطنى قدميها وغردت البلابل واخذت تنقر •• ودغدغها ذلك فضحكت • ورأسها مزروعة •• ونقرت العصافير ما بين أصابع قدميها • ضحكت •• أصبحت شجرة تحبها العصافير ••• »** أو تقتـرب من الكوابيس » المزعجة أحيانا أخرى : « •• **دنت منه وضع السيجارة فوق الطفاية •• جذبها فى قسوة ، انكفأت على ساقيه قبلهـا قاومت •• فظيع ! هتك ثوبها •• ثم حملقت محتارة الى بطنها ــ لقد بدأ ينتفخ ! انها تحبل ! بسرعة كبيرة تحبل ! شهور الحمل التسـعة تتم فى ثوان ••• »**

والحق أن حياة حنان فى وحدتها تكاد تكون سلسلة من الأحلام والأوهام حتى لقد عجزت أن تدرك هل كان اتصالها الجنسى بالغجرى الشاب وهما أو حقيقة •

وما دامت هــذه الشخصـيات المحورية لا تواجه مواقف حقيقية فى الحيـاة تكتسـب من خلالها خبرة أو معرفـة خاصـة أو توجه فكرها واحساسهـا وجهة ذاتية نابعـة من طبيعة تلك المواقف فان المؤلف ينطقها أحيانا بما يبدو أنه « حكمة » أو رأى فى الحياة والناس ! وان كان ما تنطق بهمن العادى المألوف فى أغلب الأحيان ، كآراء ريم فى الحب والزواج والرجال وآراء مهجة فى الحياة « **أصل البلاء هى شهوة فى الانسان • جعلته كذابا نصابا سـارقا خائنـا •** » **وأقوالها المنثورة فى مذكراتها** من مثل قولها « **قرفانة •• قرفانة ! رأيت البوم كابوسا مرعبا •• ليته كان حلما ! ولكنه كان واقعا رأيته فى وضح النهار •• شاهدت رجلا عنده حالة عصبية ، مرض عصبى • رأيته امامى فى المترو ؛ جالسا على المقعد المقابل • كان يهز رأسه دائما من أعلى الى أسفل يومىء كمن يوافق دائما بقوله : نعم ، نعم • مضبوط ، مضبوط ، موافق موافق موافق •• حالة عصبية ومـرض وبيل ! لو قطع كل ذلك ولو من حين لآخر بهزات يمين ويسار بمعنى : لا لا لا • لصارت حالته أقرب الى المعقول • لكن رأسه لم يكن يقول غير نعم ، موافق مضبوط •• شيء مقرف ، مقرف جدا جدا جدا •• »**

ومع ذلك كله لا تستطيع الشخصيات الثانوية التى تظهر فى حياة الشخصية المحوريـة ثم تختفى ولا الأحـلام التى تقوم مقام التجربة الغائبة ولا الحكمة التى تعوض الخبرة العمليـة المفقودة ، أن تكسب الشخصية أبعاد حيـاة حقيقية ، بـل تظل الشخصية ممثلة لفكرة ، كالقلق ؛ أو الوحدة ، أو الغرور •• فى صورة أقرب الى التجريد ؛ برغـم ما تنطـوى عليه الروايات من أحداث مادية كثيرة •

رواية واحدة بديعة تتميز من بين هــذه الروايات جميعا هى رواية « الهؤلاء » ليس فيه مثل هذه الأحداث المادية الكثيرة ، لكن محنـا المثقف فيها تزداد حدة وعمقا كلما توغل فى رحلته المريرة منذ أن سأل أحد المارة عن الوقت فى ساعته ، الى أن انتهى به المطاف الى منفاه وقد انتصبت على مدخله شواهد قبور من سبقوه !

د • عبد القادر القط

الماء هو الماء
مهما أخفته مئات الأسماء
سيظل هو الماء
قد يصبح كرة فى الآنية الكرويّة
أو هرما فى الآنية الهرميّة
أو قد يصبح قمرًا أو نجما
لاتتوهّمْ حينئذ أن النجم تغيّر حجما
أو أنَّ زجاج القارورة فى الأَرض سماءْ
فالماء هو الماءْ
(لمّا ينكسر جدار القارورة
يخرج من بين شظايا الجدران المكسوره
مالاشكل له .. يرتدّ شتاتا يسبح فى كل الأرجاءْ)

الماء هو الماءْ
مايرقد فى أعماق الظلمة والديجورْ
أوْما يركض تحت الشمس وتحت سهام النور
الماء هو الماء
الراكدُ والراكض والمغمور
الماء هو الماء ، فماذا فى هذا بعدُ وماذا أعنى ؟
ـ لاشىء سوى أن العالم ماء وهواءٌ
والناس قوارير !

المنيا : نصار عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة : سليمان فياض

من الشمال ، ينحدر بسيارته الفورد الحمراء صوب الجنوب · كانت الأرض صخرية مستوية ، تغطيها طبقة من الرمال ، وعبر حدودا وهمية مفتوحة · ربت على مقود السيارة ، وصاح بفرح :

« ها هو الوطن » ·

وأخذ يدير المقود يمنة ويسرة ، فتميل السيارة فى منحنيات راقصة ، ويتناثر الحصى متقاذفا بين العجلات ، وحولها ، وشمس الضحى تتجه فى شبه قوس نحو وسط السماء ·

وأنزل ستارة صغيرة على الزجاج الأمامى ليحجب وهج الشمس عن عينيه · وبدت الصحراء أمامه ممتدة ، فى كل اتجاه ، بحرا منبسطا من الرمال ، تتناثر فيها شجيرات الصبار والأشواك ·

بدت الشمس فى المنتصف تماما ، فوق العربة الفورد ، عرف ذلك حين رد الستارة الى مكانها فلم ير قرص الشمس · تذكر أن السماء والأرض فى مثل هذه الساعات تصبح قيظا وفيحا ، قطعة من جهنم ، فاوقف السيارة حيث وصل بها · وتنهد فى رضى ، وأسبل عينيه للحظة ، ومد يده ، ورفع الزمزمية · فتح غطاءها ، وراح يشرب · وفتح الباب ، ورفع غطاء الموتور ليبرد ، وملأ علبة المياه من الزمزمية ، فتصاعد البخار فى أزيز وطشيش ، واستدار ·

بهرته سيارته الفورد الحمراء ، فى ضوء الشمس ، وقد وقفت شامخة بلا ظل ، يملأ مرآها العين · كانت سيارة نقل ، تبدو مؤخرتها ، وراء صندوق السائق ، مثل حجرة مستطيلة ، شد عليها قماش كتانى زيتونى اللون · قال حسن لنفسه ، ولسيارته معا :

« لعلك أول سيارة تعرفها بلادى ، تنزل أرض بلادى » ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تصور ، فى حلم سريع ، أعيان قريته ، وهم يدورون حولها ، وينظرون اليها فى عجب ، ويربتون على كتفيه فى انبهار · سيقول لهم :

« انتهى عهد الخيال والبغال والجمال والحمير » ·

وسيقولون له :

« صدقت » ·

وتمنى أن يكون أباه وأمه واخوته ما يزالون على قيد الحياة ، ليؤكد لهم أنه لن يهرب منهم ثلاثين عاما أخرى ، فلم يعد المدى فى الصحراء ، ووراء الصحراء ، يدعوه للرحيل ·

وهم « حسن » بالصعود الى صندوق المؤخرة ، ليتمدد على أريكتها فى الظل ، حتى تميل الشمس، ويصبح ظل كل شىء مثليه ، ليعاود السفر جنوبا فى رطوبة الليل ، لكن المدى من حوله شده اليه · سحب بطانية وحبلا ، وأعمدة أربعة من الحديد ، وأخذ يغرسها فى الأرض ، وشد بالبطانية سقفا على القوائم ، وفرش عباءته تحت السقف ، وجلس يرنو حواليه الى أفق رمادى مضبب تلتقى عنده الصحراء بقبة السماء ·

واستسلم للذكرى وللحلم : القرية التى رحل منها ، والأهل الذين هجرهم • المدائن التى دخلها والبحار التى جابها ، والحرف التى اشتغل بها • والبدلة العجيبة التى جاء بها معه : الجاكت ، والسروال ، والكرافت ، والقميص ، والحلى لأمه ، وأخته ، وأخواته الأخريات اللاتى لابد وأن أمه قد أنجبتهن فى غيابه •

آه • كم سيعيش فى قريته أياما مجيدة ، لم يعرف مثلها عنترة حين عاد بالنوق الحمر من لدن النعمان ، مهرا لعبلة !! ستكون هذه السيارة مهرا لعبلاه • ليته كان شاعرا ليفخر بسيارته فخرا دونه فخر امرىء القيس بفرسه • ليت قريته أنجبت شاعرا ، ليمدح له السيارة ، وصاحب السيارة •

وبدأ الظل يغادر أرض تعريشته ، فزحف بعباءته معه • وشعر بالحر ، فنزع شاله الأبيض عن رأسه وحبله الأسود • وخطر بباله أن الشال كان للخيل وللجمال ، وكذلك كان العقال لتثبيتها على الرأس • الآن لا حاجة لأحد ، وهو فى قلب سيارة مسقوفة الى غطرة أو عقال •

وداهمته رؤيا مفاجئة • سيملأ هذه الصحراء بالسيارات التى عرفتها الدنيا ، فيما وراء الصحراء • سيكون هو صاحب هذه السيارات • ورأى نفسه والشيوخ معه يبذلون له أموالهم ، ليجعلهم ، مثله ، أصحاب سيارات ، ويأتى لهم بوقودها فى صفائح يحملها فى سيارته عبر الصحراء •

ودهش اذ رأى بعينيه قافلة من السيارات ، التفت ليراها تقبل نحوه ، تمر به ، لكنه رأى الفضاء واسعا أمامه • لا شىء سوى الصحراء ، والسماء ، والأفق ، وبينهما نباتات الصبار الجافة ، والأشواك العطشى •• وحد نفسه يدندن: عطشان يا صبايا •• دلونى على السبيل •

انحدرت الشمس نحو الأفق • صار ظل كل شىء ضعفيه ، وصار هو وعباءته خارج تعريشته ، فنهض لينزع الأعمدة ، ويطوى البطانية ، ويقذف بها فى قلب الصندوق الكتانى ، وشم رائحة الوقود فى الصفائح فاغمة • طعام سيارته هو • بدت له الرائحة أجمل من كل عطور الدنيا ، وروائح النساء • وأغلق غطاء مقدمة سيارته ، وفتح باب القيادة ، وصعد الى مقوده ، وأغلق الباب ، وأدار المفتاح ، فراح الموتور يهدر ، وينطلق بالسيارة صوب الجنوب •

كان النهار يولى ، والغروب ينتشر ، ثم يتحول الى ظلام بارد رطب • وخلف الزجاج كانت النجوم ثابتة ، لا يقترب منها قط • وخشى أن يدور بالسيارة حول نفسه فى الصحراء ، متجها كالعادة ، الى اليسار ، دائما ، مثلما يضل السائر ، فى الليل ، فى الخلاء ، ولم يكن على الأرض ثمة معالم لطريق ، فتوقف بالسيارة ، وظل موتورها يهدر ، ونزل ليرقب نجمة القطب فى الشمال ، وتابعها الى الجنوب ، ووضع أمام نفسه نجمة بعيدة ، يستهدفها فى سيره خشية التيه ، وعاد الى سيارته ، يندفع بهما صوب النجمة ، مجتازا أرضا مشققة ، تنبىء أنه فى الطريق الصحيح الى قريته •

القرية تستيقظ لتوها ، والبنات عند البئر يملأن الدلاء ، ويحملنها على عصى على أكتافهن ، والرجال قد عادوا من صلاة الفجر ، والأمهات فى البيوت ينضجن خبز اليوم ، وعصيدة الفطور ، وحسن يدخل محلة القرية بعربته • وتجاوب هدير الموتور بصدى ، اختلط بنفير الفورد ، وحسن يعلن عن مقدمه بالبوق ، متمايلا بمقود السيارة يمنة ويسرة ، وتوقفت البنات مشدوهات ، وأنصتت النسوة والرجال ، وأسرعت البنات تلقين بالدلاء ، وتعدون الى القرية فزعات ، صارخات : الشيطان • الشيطان • وكانت النسوة والرجال ينظرون مبهوتين الى الشيطان يقبل نحو محلتهم من بعيد ، من قلب الصحراء • شيطان أحمر ، تنعكس عليه أشعة الشمس ، يرتدى عباءة زيتونية اللون •

صوتت النسوة ، وانسحبن فى فزع مع البنات الى داخل الدور ، وأسرع الرجال يحملون العصى والسيوف والبنادق والخناجر ، ويتقاربون فى صف واحد مقوس ، معترضين طريق الشيطان الأحمر ، متحفزين فى نفس الوقت لفتح القوس من منتصفه ، أو ربما للفرار من وجه الشيطان الأحمر ، وكانت السيارة تقترب ، وتزداد اقترابا،

وتمايلا ، ورقصا ، حتى توقفت • وتوقف الصوت الهادر •

نزل حسن من السيارة ، ودفع الباب وراءه فانغلق ، وتقدم صوب الرجال ، يتوسطهم أعيانهم • رفع البعض العصى والسيوف والبنادق ، وبدا البعض يتراجعون الى الخلف ، خوفا من حسن • حدثوا أنفسهم بأنه هو نفسه الشيطان الأحمر ، يلبس عباءة سوداء على ثوب أبيض ، ويضع على رأسه حبلا أسود على شال أبيض • تنكر حتى فى الوجه الأسمر ، والأنف المعقوف ، والملامح الجافة ، والعينين الصقريتين • لكن الأعيان أشاروا لهم فثبتوا فى أماكنهم • قال حسن :

ـ ألا تعرفوننى ؟

قال رئيس القرية :

ـ من أنت ؟

قال حسن :

ـ أنا حسن • حسن بن ثابت بن رويفع العزى •

راح الأعيان يفكرون • انهم يعرفون ثابت ابن رويفع العزى • وبينهم أبناء لثابت • لكنهم لا يتذكرون أن لثابت ابنا اسمه حسن • قال رئيس القرية لحسن ، ثم لأبناء ثابت :

ـ ها هم أبناء لثابت •• أتعرفونه ؟

صمت الأبناء فى حيرة وخوف من قول نعم ، وقول لا • فتقدم حسن خطوة ، فاشار اليه رئيس القرية ، فتوقف • تردد ثم قال ، مشيرا الى اخوته واحدا ، واحدا :

ـ أنت هو بكر • أخى الأكبر • وأنت هو عمرو أخى الأصغر ، وأنت •• كأنك أخى ، وولدت بعدى • ما اسمك أنت ؟

نظر الكل الى بكر • وانتظروا • تذكر بكر أنه كان له أخ اسمه حسن ، وذات يوم بعيد غادر القرية ولم يعد • وقال حسن لبكر :

ـ ألا تعرفنى ؟ أتذكر عندما كنا نرمى بالريال معا فى قلب البئر ، ونغوص وراءه ، ومن يجده فى قاع البئر ، ينال من صاحبه ريالا فوقه ؟

رفع بكر رأسه ، وكانت النسوة والبنات والعيال قد تجمعوا وتحلقوا على بعد قريب ، يحاولون السماع ، فى صمت تقطعه النظرات • قال بكر :

ـ كان لنا أخ اسمه حسن • ولا نظن أنك هو •

تحفز الصف عندئذ • وبدأوا يحيطون بحسن حتى لا يفلت ، غير هائبين من أن يكون هو الشيطان نفسه • وجم حسن وقال :

ـ فى كتفى اليمنى ، فى لوحها ، من الخلف شج ، أنت أحدثته بى حين دفعتنى • فوقعت على حجر مسنن • تقدم وانظر اليه بنفسك •

قال بكر ساخرا ، وقد بدا التردد على الرجال :

ـ حتى ولو كان الشج بكتفك كما تقول • الشيطان يستطيع أن يفعل ذلك بنفسه •

قال حسن مبهوتا :

ـ الشيطان ؟! أنا لست شيطانا • أنا آدمى مثلك ، وأخوك وشقيقك ، وابن أبيك وأمك !!

وأخذ يدور حول نفسه ، قائلا لمن بالحلقة ، مؤكدا :

ـ آدمى مثلكم جميعا !!

وتوجه الى الأعيان قائلا :

ـ أتحبون أن أخبركم بأسمائكم واحدا واحدا • وبمن ليس موجودا معكم الآن من أعيان القرية • ممن ماتوا ، أو بقوا فى بيوتهم عجزا ومرضا ؟

قال رئيس القرية :

ـ دعك من هذا الهرج كله • أنت الشيطان ، كما قال بكر • وقد تنكرت • انج بنفسك • تلاش كما جئت • والا قتلناك الساعة • الآن • اللحظة •

ضحك حسن وقال :

ـ أتلاشى ؟ أتظنون حقا أننى شيطان ؟

قال رئيس القرية :

ـ بل نحن على يقين أنك هو ـ الشيطان وحده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هو الذي يستطيع أن يسخر الحديد ، ويجعل منه حمارا أحمر .

قال عين آخر :

- من يدرى . لعل هذا الحمار ، أيضا ، شيطان آخر . تشكل فى صورة حمار أحمر .

هم الرجال برفع ما بأيديهم ، والنزول به على رأس حسن، لكن رئيس القرية أشار لهم فتوقفوا ، وأشار لهم فأمسكوا به ، دفعة واحدة ، وظلت سواعدهم ترتعد ، وحسن يضحك بين أيديهم . ويسير معهم بهدوء بالغ ، وقد أيقنوا أنه ليس بوسع آدمى أن يضحك فى مثل هذا الموقف ، ولا بد أنه هو الشيطان نفسه ، أو شيطان ابن شيطان ، وأخ لشيطان . وظل حسن يقول وهو سائر :

- سآملأ لكم قريتكم هذه بسيارات مثل سيارتى هذه . سيارات حمراء وزرقاء ، وخضراء ، وصفراء ، وما شئتم من الألوان .

وعلا رغاء ابل فى المراعى ، والمراحات ، فأضاف حسن :

- ستصير قوافلكم من العربات ، عربات النقل ، وعربات الركوب الخاصة ، وعربات تؤجرونها للغير ، وتصبح الابل للذبح مثل الأغنام ، والشياه ، وسائر الأنعام .

عند باب بيت الرئيس ، توقف موكبان : موكب الرجال يحيط بحسن ، وعلى بعد قريب موكب النساء والبنات والعيال . والتفت رئيس القرية وقال :

- أمع أحدكم مسلة ؟

دفع بكر يده فى ثنية بعباءته ، وأخرج مسلة ، أعطاها للرئيس ، عندئذ نظر حسن مذعورا ، وأمسك به الرجال جيدا ، واستدار للرئيس حول حسن ، ودفع بالمسلة بين كتفيه بجانب فقراته ، فصرخ حسن ، والتفت الرئيس لمن حوله ، وقال :

- الآن لن يستطيع هذا الشيطان تحولا عن صورته الآدمية ، وروى لهم أن هذه وصفة أخذها عن جده ، حين كان نائما تحت نخلة بالوادى ، فظهر له حمار أسود ، لامع الجلد ، ذهبى الشعر ، وظل يتواثب حوله ويتقافز ، حتى أيقظه ، فنهض ليمسك به ، فابتعد عنه ، فجرى وراءه ، وظل يجرى وراءه ، وهو يدور به حول القرية ، والكل فى غفوة القيلولة ، حتى عرق ولهث . فتوقف ، وعندئذ اختفى الحمار الأسود ، اللامع البشرة ، الذهبى الشعر من أمام عينيه ، وأن جده حين حدث أباه بما كان ، قال انه الشيطان تمثل له فى هيئة حمار ، وانه لو كانت معه مسلة ، ودفع بها فى ظهره لعجز الشيطان عن التحول مما صار اليه ، وعن الاختفاء ، وصار له عبدا .

والتفت الرئيس الى بكر ، وقال له :

- هنيئا لك بهذا العبد ، الذى يدعى أنه أخوك . خذه وسخره كما تشاء ، فيما تشاء .

وكانت دموع حسن تنحدر فى صمت ، وهو يتململ وجعا من هذه المسلة التى بظهره .

وقال بكر للرئيس :

- والحمار .. حمار الحديد الأحمر ؟

قال الرئيس :

- دع أمر الحمار لى ، ولأعيان بلدنا الآمن الأمين . سيظل واقفا بلا حراك ، فلا سلطان عليه الا لشيطانه هذا ، حتى ننظر فى أمره ، وما ينبغى علينا أن نفعله به .

من بين النسوة . تقدمت « هند » نحو حسن . أزاحت الرجال فى جرأة مثيرة للدهشة ، وجذبت بعنف العباءة ، والثوب عن كتف حسن ، فصرخ ألما من سنان المسلة فى جسده ، وبدا الشج واضحا فى كتف حسن ، لكل العيون . وبدت حسنة سوداء لعينى هند ، بجانب الشج ، فالتفتت وقالت :

- هو حسن . أعرفه كما تعرفه أمى يرحمها الله .

وقبل أن يفيق أحد تماما لما قالت ، مدت يدها ، ونزعت المسلة من ظهر حسن ، فشهق ، ثم زفر براحة ، وتدفق الدم يجرى فى قناة ظهره . وقالت هند لبكر :

- صدقنى هو أخوك وأخى ، وليس بشيطان .

عندئذ بهت رئيس القرية وصاح :

- خذيه اذن ، وحررى روحه من الشيطان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحمـــار الحديدى الأحمر هو الشيطان · وقد استعبد أخاك هذا الحمار الأحمر ·

وأعاد بكر العباءة الى كتف حســن ، وهم أن يسير به مع هند ، لكن حسن زعق فجأة فى الكل :

ـ أنتم أهل الكهف · أنتم أهل الكهف · الله سخر الحديد للناس خارج صحرائكم ، وجعلهـا لهم مثل الابل ، والخيل ، والحمير ·

عندئذ ضحك الرجال ، وضحكت النســوة ، وضحك العيال · وخرج بكر مع هند بأخيه من بين الكل ، وسط نوبة من الضحك الهستيرى ·

فى البيت ، فى نفس الحجرة التى كان حسن وهو صغير ينام بها ، كانت هند تقول لحسن ، وهى تشد له رباطا حول جرح المسلة :

ـ اننى أصـــــدقك · وأخواك بكر وعمرو يصدقانك ·

نظر حسن اليها بشك ·· فأضافت مؤكدة :

ـ سأقنعهما بما تقول · لكن ·· من العسير عليهما ، أو على أهل القرية : الناس ، والأعيان ، والرئيس ، تصديق ما تقوله عن الشيطان الأحمر ، من أنه حديد ، وطلاء ، ووقود ، ومحرك · أى وقود ، فى هذه الدنيا يمكن له أن يحرك حديدا ، وعجلا ، بيتا بكامله ، يجرى على الأرض ، ويراه الناس ؟!

قال حسن :

ـ أوثر الموت ، على أن يصيب سيارتى سوء فتح الباب ، وظهر عمرو ، يتبعه بكر ، وتعلقت بهما أربعة عيون ·

همس حسن :

ـ لا · لا ·

صرخ :

ـ لست مجنونا · لم يتقمصنى الشيطان ·

نهضت هند واقفة · همت بالكلام ، لكن عمرا كمم فاها بكفه ، ودفعها خارج الباب ، وأغلقه · وزعق حسن حين أدرك أنه سـيكوى فى فقرات ظهره :

ـ وحوش · وحوش

فى الليل ذاته ، تحلق الرجال ، والأعيـان ، اقتربوا من بعد ، يتقدمون فى بطء ، وهم يحملون المشاعل ، والشماريخ ، نحو الشيطان الأحمر · كانـوا يخافـــون ما يزالون حركة ما له ، لا يتوقعونها · مع أنه ظل ساكنا طيلة نهار مضى ، وحتى مضى الثلث الأول من الليل ·

وبدأ أحدهم ، من باب الاحتياط مناوشته · رماه أحدهم بحصاة ، ورماه الآخر بحجر ، ثم توالى الرجم ، والشيطان الأحمر لا يتحرك ، ورئيس القرية واقف على مبعدة يشهد بقلق ما يحدث بين حراسه · وتحول الرجم الى قرع متواصـــل ، متداخل ، متقطع ، ملىء بالنشاز ، والشـيطان الأحمر جاثم فى مكانه لا يتحرك ، حتى تقدم واحد من الرجال ، فى وثبة مفاجئة مذعورة ، وهوى بشمروخه على وجه الشيطان الأحمر · فتناثر زجاجه آلافا من القطع الصغيرة · وساد الصمت للحظة ، قطعها الرئيس صائحا :

ـ دمروه يا رجال ·

فى الحال هجم الرجال ، والأعيان على الشيطان الأحمر ، وهوت شماريخهم على جسد الشيطان الأحمر ، وتراجعوا حين زعق بوقه اثر ضربـة شمروخ ، ثم تراجعوا حين قذفه أحدهم بشـعلة نار أمسكت بعباءته الزيتونية ، وراحوا يرقبون سريان النار فى الطلاء ، والعجل ، رأوه يركع مرة من خلف ، يمنة ، وثانية من خلف ، يسرة ، كبعير قطع قائميه الخلفيين ، ثم رأوا النار تسرى فى وجهه ، وعندئذ انفجر الشيطان الأحمر ، فى وهج عاصف أضاء كل القرية برعد خاطف ، خر له الرجال ، والشيوخ ، والرئيس ، وحرس الرئيس ، الى مشارف القرية ، وراحوا يرقبون من بعد موت الشيطان الأحمر · أيقنوا أنهم سـيروه فى الصباح حديدا ، ككل حديد ، لا يقدر على السير ، وراحوا يتحدثون عن رائحة القـوائم الكريهـة للشـيطان الأحمر · واقترب بكر من الرئيس وقال :

ـ كويناه ، وحررناه من شيطانه ·

قال الرئيس مؤكدا :

ـ لن يعود اليه أبدا هذا الشيطان · فقد قتلناه الساعة · ألا تشم رائحة موته ؟!

القاهرة : سليمان فياض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرجل بالشارب والببيونة

محمد المخزنجي

كان واقفـــا عند المدخل ، بقميص أبيـــض وبنطلون أسود ، وفي رقبته ببيونة حمراء ٠

بهدوء ، وحرص ــ حتى انني لمحتها صدفة تسللت اليد النحيفة قادمة من ورائي وأنا واقف أمام المبولة ، ووضعت ــ دون أن يصدر عن ذلك صوت ــ الطبق الوردى المثلث الصغير وبه قطعة ورق التواليت المطوية بعناية متعمدة ، بأعلى ذلك الحاجز الرخـامي ــ فى متنـــاول يدى اليمنى وانسحبت مسرعة كفأر مذعور ٠

كانت حركة خاطفة ، محاذرة ، بلا صوت ، كشأن حركات الخدم جميعا ، ومع ذلك :أفزعتنى فاحتبس التيار ، وشعرت بالدهشة والحنق ٠

واضمرت ، محنقا ، ألا أترك له نقودا بالطبق ــ كما يهدف ، وكان ضروريا أن أنهى ما بدأت ، فدخلت الى « التواليت » ورددت الباب خلفى ٠

لم أكد أبدأ ، ثانية ، حتى عاد الاحتباس ٠ لقد لمحت هذه اليد ، مرة أخرى ، تتساحب ــ من تحت عقب الباب لتضع نفس الطبق ، وبـه قطعة ورق التواليت المطوية ٠

استدرت ، فى ومضة خاطفة ، مغتاظا ، ساديا كما لم أتصور نفسى أبدا ، ودست هذه اليد ٠

احسست بحراك اليد ، اللين المخنوق ، تحت حذائى ، فاقشعر جلدى ، وارتجفت ٠ عندها ، تمكنت هذه اليد من الفرار ، وتركت طبقها المثلث الصغير ٠

بغيظ ، ونفاد صبر ــ كأننى أبارى كائنا أبكم غير بشرى ــ طوحت ساقى ، وركلت بالحذاء ذلك الطبق المثلث البغيض ، فطـار خارجـا من تحت عقب الباب ٠

وكنت أنتظر عودة هذه اليد ٠

عادت اليد أشد حذرا ، وأكثر الحاحا وبلادة : أدوس ، فتراوغ ٠ أصيدها ، تهرب ٠ وتمكنت أخيرا ــ بحركة بارعة اللجاجة ــ من وضـــع الطبق ، وفرت خارجة ٠ وسئمت الأمر كله ٠

عندما فتحت الباب وجدته واقفا ، ولفت نظرى تغضن قماش الببيونة الرخيص وياقة القميص المتسخة البالية ، وكنت مقررا أن أبلغه ازدرائى ولو من خلال نظرة ٠

لكننى عندما نظرت فى وجهه ــ وقد كان يرسم على فمه ابتسامة وضح أنه يظل يكررها طوال اليوم ــ ارتعدت ٠

لقد كانت صورته تطابق صورتى أو تكاد ، وكأننى واقف أمام مرآة بارعة ٠ نفس الوجه ، نفس الحجم ، باستثناء الشارب الذى كان له ، والملابس ، والببيونة ٠

وأسرعت أخرج من المرحاض ، الى الشارع ، تستبد بى رغبة واحدة : أن أتأمل ملامحى ــ بتفرس ــ خلال أول مرآة أجدها فى طريقى ٠

المنصورة : محمد المخزنجي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد عن حبّ قديم

أحمد عنتر مصطفى

(١) مـــكابرة

للجالسة الشقراءِ على الشرفةِ غنيتُ طويلا
(لم تسمعنى) فيما أبدتْ ..
لكنَّ النظراتِ المُلقاةَ على الإفريزِ
صباحًا ومساءً
تنبئنى أنى معها فى جُزرِ الحلمِ مليكانِ
على عرشِ النشوهْ

. . . .
. . . .
. . . . تسقطُ عينى ذابلةً فى
فنجان القهوهْ ! !

(٢) دعـــوة

مراتٍ سيدتى وأنا أدعوكِ إلى مائدتى المنفرده
أدعوكِ إلى فنجانِ الحزنِ البنىِّ ،
وأشواقى المتَّقده
مراتٍ سيدتى ..
وأنا أنتظرُ الردْ
يأتينى الصمتُ الغامضُ ،
والشوق المنحسرُ المرتدْ ! !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣) حنــين

فى المقهى
أجلسُ مُنتحيًا رُكنًا منعزلا
أرسمُ عينيها ينبوعين ؛
أعكسُ فوقهما الشعر المنسدلا
أرسمهُ ظِـلاًّ
.. لايجدينى شيئًا هذا الرسمُ ؛
وقد أسلمنى لسريرىَ ليلا ..

(٤) روميو ـ هاملت

لو كنت أحترفُ الغناء مددتُ صوتى
نحو نافذة الأميره
حبلاً ؛
وكنت عليه أصعدُ ؛
حيث أختلسُ اللقاء
لكنَّ أمنيتى الضريرة
كانت جوادًا خاسراً ؛
فى عالم لم يحترفْ إلا البغاء
ولأنَّ وجهَكِ داخلى قمرٌ تفتَّتَ ؛
عدتُ ألتقطُ الفُتاتَ ؛
ألملمُ النور ـ البقايا من فحيح
الذ اكره
لاترحلى ..
كونى معى ..

بى شوق ملاَّحٍ ـ (تمزقهُ الرياحُ)
إلى معانقة الشطوط النافرة
لاتتركينى هائماً أشتاقُ ؛ أحلم
بالجزيرة
مترنِّحَ الخطواتِ ؛ منفيًّا على تلك
الجيادِ الخائره

(٥) صــقيع

يموتُ داخلى كزهرةٍ لم يأْتِها الربيعْ
تماسكت ؛ فاجأها الصقيعْ
تجمد العطرُ المذابُ فى عروقها ؛
وشهوةُ الحياةِ انكسرت فى نبضها الوجيعْ
يموتُ فى العراء حبًّنا ؛ وينطفىءْ
وكالضرير فى الضلوعِ عاجزًا يمدُّ لى يدا
أقيمه ؛ أمدُّ ساعدى إليه . . ينكفىءْ
مُكوَّرًا ؛ منكمشًا فى صمته الوديعْ
يغزلُ الحروف فوق مغزل التذكارِ والصدى
يخيطُ منه معطفًا ليدفىء الأطرافَ ..
عارياً ـ يظلُّ عاريا ...
... ويهبط الصقيعْ

(٦) هكذا علمنا الأوائل

تدعونى أن أقتحم الحلمَ عليها
أحملها فوق جوادٍ أبيضْ
. . . .
. . . .

سيدتى ..
أحفظُ أنَّ الزمنَ العربىَّ الغابرْ
علَّمنا أنَّ الأحصنةَ السوداء
... والبُنّيةَ منها خاصةْ
خيرُ جيادِ الأرض
. . . .
. . . . . . هل تقبلُ سيدتى ؟؟ ! !

(٧) أوديسيوس خائبا

من ضيقِ اللحظة .. ؛ حتى أبعاد الذاكرةِ
المتّسعةْ
أبْحرُ ؛
أذكرُ إذ توجتُكِ سيّدةً للأقمارِ السبعةْ
ومنحتُك قلبى « لؤلؤةً » فى تاجِ الملكةْ
ومضيتُ أصارعُ عنكِ الأقدارَ المشتبكةْ
آهٍ سيدةَ الأقمار السبعةْ
تلقيْن شراعى جامدةً حين أعودُ .. ؛
بهذى القسماتِ المتقعةْ
طفلُك يلهو « باللؤلؤةِ » الخضراء ولاتنهيْن
الطفلَ ؛
تخشيْنَ حضور الزوجِ . ! !
وتُحصين اللحظات المرتبكةْ !!
• • •

(٨) شـجرة

. . وكان عاشقانِ يحفران فوق جلدى
حرفينِ ناحليْن ، سهميْن مارقيْن ؛
قلبيهما ؛
وقصة الحبِّ الشريدِ فى
الأعماقْ
يثرثرانِ فى لمرتّب الزهيد ؛
والبضائعِ التى تشحُّ فى
الأسواقْ
عن غرفة خالية ؛
وقسوة الغلاء ؛
عن مؤخَّرِ الصداقْ
ويرسمانِ بسمةً لطفلةٍ شقراء فى المهدِ ..
. . . .
. . . .
. . . . . . ويلدغُ اليأسُ الكئيبُ
لحظة اللقاء ؛
يبحرانِ بالعناقْ
إلى جزيرة الأمنِ ؛
يسكنان قبلةً حميمة الأشواقْ
والحارسُ الغبىُّ دسَّ قطعة النقد
فى جيبهِ .. ؛ وراح يحصرُ العشاقْ
فى خفَّة الفهدِ . . ! !
*

القاهرة : احمد عنتر مصطفى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أربعاء التذكّر الأخير

منى حلمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم تشعر بالتعب بعد · فما زال أمامها عشر دقائق من السير وتكمل عادتها القديمة · تحاول أن تتذكر · منذ متى وهى تسير هذه الساعة اليومية تستعيد علاقتهـــا بذلك الطريق المغطى بالأشجار ، القريب من بيتها ، والذى يصبح مع اقتراب الشتاء طريقا لهـــا وحدها · كم من الذكريات والأسرار والمشاعر تحتفظ بها فى هذا الطريق · كل جزء فيه ، كل شجرة ، بل كل فرع أخضر ، فيه شىء منها وعنها ·

حين يسقط المطر ، كانت تأخذ مظلتها الخضراء وتخرج الى الطريق ، تراقب ، تبلل ذكرياتها بالماء؛ وكانت تنتظر حتى تفرغ السماء كل مالديها ، فترى أجزاء نفسـها على فروع الشجر ، وقـــد أصـــبحت أكثر خضرة واشراقا · كانت دائمـا تتساءل بعد كل مرة مطر ، ترى : هل تريد هذه الخضرة المشرقة أن تقول لى شيئا ؟ أهى مجرد شكل جميل يثير الاعجاب لحظة ، وهذا كل ما فى الأمر ؟ ولكن الجمال لديها مرتبط دائما بالمعنى والفكرة · لا شىء ولا أحد يستحق وصف الجمال الا اذا حرك كل كيانها ، عقلها ، ووجدانها ، وليس فقط اثارة العين لمجرد لحظة لم تستثنى المطر من أن يحظى بهذا العمق ؟ تشعر دائما أن الطبيعة لها حكمتها التى كثيرا ما تمر دون أن ندركها · تدهش لأن الناس من حولها يعطون وقتهم واهتمامهم لكل شىء الا التأمل ولكنها ليست ككل الناس ، وخاصة مع التأمل الذى يضيف الى تميزها · له معها تاريخ قديم · فكيف اذن تفوتها حكمة المطر ؟ هل يكون ماء المطر ذلك القدر من الرضى الذى ينقصها فتتقبل ما عاشته فى الماضى ؟ هل بهذا الرضى المفقود تتضح ، بتركيز أكثر أيامها المتميزة ، فتهدأ ؟

سبعون عاما ·· هذا هو الرقم الذى أصبح يتحكم فى حياتها · خلال هذه الرحلة الطويلة ، لم تسمح لأحد أو لشىء أن يكبل حريتها · والآن يأتى مجرد رقم ـ نصفه صفر ـ ليجعل منها فى أعين الناس فقط امرأة عجوزا ، أنهت مهمتها ، هى أقرب الى العالم الآخر منها الى العالم المعاش · والنصف الآخر رقمها ذو العلاقة القديمة بها · تتذكر كم أحبت هذا الرقم المتميز فى حياتها · تندهش لأنها اختارته من بين كل الأرقام ليكون مصاحبا لمولدها ، وهى بعد لم تميز بين الأيام · لم تكن من ذلك النوع الذى يتفاءل أو يتشاءم بأفكار لا تقنع عقلها · ولكنها لم تستطع ازالة ذلك الاحساس الغامض بالراحة والانتعاش ، حين تواجه بهذا الرقم · كان استثناء حين يريحها وحين يزعجها · فى الحالتين · كان رقما له مذاق يجعلها تشعر بأنها مازالت حية · والآن ، ولأول مرة يجعلها تشعر بأن حياتها لم تعد هناك ·

وصــلت الى بيتها · تصعد الســلالم المغطاة بالتراب وأوراق الشجر المتراكمة ؛ تصعد بحرص حتى لا تنزلق على الدرجة السابعة المكسورة · تتوقف لحظة على هــذه الدرجة ، وتتذكر حتى هذا الكسر الذى يسكن قبلها فى المكان · ويعوق أحيانا حركتها دائمة السرعة ، أحبته ، ودخلت معه فى علاقة ، هى وحدها التى تفهمها · كان يبدو للجميع خللا عن النظام الطبيعى ، ولها ·· كان رمزا لطبيعة الحياة · فى كل مرة تعود من سهرتها منتشية ، متألقة كانت تتساءل ، هل الحياة فقط سهرات مرحة ؟ ماذا بعـد هـذا الانتشاء ؟ كان السؤال ضروريا حتى لا يخدعها بعد واحد للحيـاة · وكانت الدرجة الســابعة المكسورة رمزا للبعد الآخر ، فاكتملت داخلها طبيعة الحياة · تصعد بقية السلالم بنفس متعجلة لدفء الشقة الوحيدة فى الطابق الثالث · مشتاقة الى فنجان شاى الساعة السادسة ·

« الرقص أو أنا ·· عليك أن تختارى »

تأخذ رشفة من فنجان الشــاى وتتذكر تلك المقارنة المتكررة في حياتها · كانت فى بدء شبابها راقصة تتمتع بشهرة واسعة · لم يكن قوامها الطويل المتناسق ، وعشــقها المولع بالرقص ، هما سببا شهرتهـا فقط · كان تميزها الحقيقى أنها ترقص بعقلها ، وليس بجسمها وحده · كانت

تفكر كثيرا قبل أن ترقص . كانت تتساءل : ما فائدة ثقافتى ، وأفكارى ، وانسانيتى ، ان لم أرسلها فى حركاتى الى الآخرين ، كل ما تصل اليه بقراءاتها ، بتعاملها مع الناس ؛ برؤيتها عن الحياة ، كانت تترجمه الى حركات تسرى فى كل أوصالها ، فاذا بها فلسفة تتحرك مع الموسيقى ، وتتنقل بين المقاعد لتقول قضيتها .

« راقصة ؟! .. أبعد كل هذا التعليم والثقافة تنتهين الى الرقص ، لم نسمع أبدا عن فتاة نالت درجة الماجيستير ، ثم تركته لتهز جسمها » .

ترتفع الأصوات مندهشة .. مستاءة من حولها .

تقول : « اخترت شيئا لا يصنع فاصلا بين حركة عقلى وحركة جسمى » .

يقولون : « لديك موهبة الكتابة فلماذا لا تتوجهين اليها بدلا من الرقص ؟ » .

يأتى ردها : « ما أقوله فى قصيدة شعر ، أو قصة ، أقوله فى رقصة . بل ان الرقص أكثر قدرة على الاقناع من الكتابة . فهو يدعو الجسم الذى لا يظهر بين السطور . يدعوه ليتحرر ، ليفعل شيئا جديدا ؛ غير أن يكون وعاءا للطعام ، والأطفال ، ومستحضرات التجميل . الرقص هو الطبيعة . ألم يرقص الانسان قبل أن يعرف اللغة ؟ أتركونى أعد الى الطبيعة » .

وتركوها . فعلا . وأعطاها توحد عقلها وجسمها قوة أغنتها عن الجميع .

كانت متميزة حقا . فزميلاتها الأخريات ترقصن بدون قضية . ترقصن بثياب تساعد الأعضاء على مزيد من الاهتزاز . ثياب تكشف الجسم ولا تكشف فلسفة للحياة . ولولا أنها ذات جاذبية خاصة ، وقوام خلق ليرقص ، لصدتها كثير من الأبواب . أحيانا كانوا يعترضون عليها لأنها ترقص كانسان وليس كامرأة ، ولكن فى النهاية يستسلمون لأنها تمول كل استعراضاتها من حسابها الخاص .

تأخذ رشفة أخرى من فنجان الشاى الذى بدا متجاوبا مع موقفها مستمتعا بذكرياتها ، فاذا به أكثر سخونة كلما تذكرت شيئا قديما .

كثيرون مروا بعمرها . اختلفت الأسماء اختلف لون العيون ، تفاوت حجم الممتلكات ، لكل منهم حركات مميزة ، مواضيع اهتمام مثيرة ، ماركات السيارات مختلفة والطباع مختلفة . غير شىء واحد كان يجمعهم . شىء واحد علا فوق الممتلكات ، ولون العيون ، وفرض نفسه على كل اختلاف . جمعتهم الرغبة فى تحديد حركة ذلك العملاق الراقص داخلها ، ليصبح أسير التنقل بين حجرات منزل مكيف الهواء ، لكنه خانق لأنفاس العلاق .

« الرقص أو أنا .. عليك أن تختارى » .

وكان ردها ليس كلمة أو نقاشا بل ممارسة . كانت تدعو السائل الى حفلتها فيراها وهى ترقص . يرى الرد فى كل كيانها يتحرك ، ويملأ المكان . أعلى من كل الأصوات . فيرحل الضيف مع سؤاله قبل أن يشرب شيئا ، قبل أن ينهار المكان من قوة الرد .

اشتد الهواء فى الخارج ، فاندفع الى حجرتها يعبث بنظامها الدقيق . تجرى الى النافذة . تشرد لحظة . تتذكر شيئا يصر على أن يظل منسيا . تغلق النافذة .

يدق الجرس . تدق الساعة القديمة القريبة من بيتها . دائما فى الموعد . تعرف هذه الدقات المرتعشة على الباب . دقات انتظمت فى زيارتها مساء كل أربعاء الساعة السابعة . عادة بدأت مع بداية صداقتهما . سنوات طويلة مرت دون أن يتغير الميعاد ، دون أن تتغير لهفتها . وهى تجرى نحو الباب لتستقبل صديقتها الوحيدة .

«تبدين اليوم منشغلة البال ، هل حدث شىء»

أسأل صديقتى الوحيدة التى تنظر الى ، ولكننى أعرف أنها لا ترانى . شىء ما غير جلستنا يحتل كل آفاق يقظتها . أعدت السؤال . تسند رأسها الى الوراء ، وترد بعد لحظات شاردة :

« غدا اليوم الثامن من الشهر .. يوم ميلادى . سأكمل سبعين عاما . أن ترين أنه سبب كاف للانشغال ، بل للاكتئاب ؟ » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلت : « ان وراءك ماضيا يدعو الى الفخر لا الى الاكتئاب · هل نسيت أنك مؤلفة الموسيقى الأولى في هذه المدينة ؟ هل نسيت نجاحنا الطويل المستمر · أنت بنغماتك ، وأنا بحركاتي » ·

قالت : « تقولين ورائي · وأنا أريد شيئا أمامي · لكنهم لا يعترفون الا بالصغيرات الجميلات· أما أمثالنا فلم يبق لهن الا انتظار الموت ولا حق لهن في الاعتراض » ·

يسكتني منطقها لحظة ، يصيبني بشيء غامض · ولكنني أرد وكأنني أمسكت بالمنطق البديل :

« ان الصغيرات الجميلات كثيرات · ولكن كم منهن تعيش سبعين عاما من الصدق والتميز مثلك ؟ · يحزنني كثيرا أن تفكري بهذا الشكل ! امرأة لها ماضيك لا تصيبها الشيخوخة أبدا » ·

وقفت صديقتي · جرت الى المرآة المعلقة عند مدخل الحجرة وقالت ، وهي تتحسس بشرتها :

« وماذا تقولين عن هذه التجاعيد المحاصرة بهذا الشعر الأبيض ؟ أليست شيخوخة ؟

وقفت أنا الأخرى ، اقتربت منها · عكست المرآة صورتين متشابهتين تحاولان العودة الى الأصل · قلت :

« ما ينقصك هو تغيير الألفاظ · لم لا تكون كل تجعيدة اعترافا من الزمن بهزيمته أمامك ؟ لم لا تكون كل شعرة بيضاء دليل عمق كل تجربة مازالت بقاياها داخلك ؟ » ·

تبتعد عن المرآة · تلتقط الوشاح الأزرق رفيقها الدائم منذ الحصار الأبيض لرأسها — تخرج منها تنهيدة وتقول :

« كم أحسدك على هذا التفكير · نحن تقريبا من نفس العمر ، بدأنا الحياة معا ، عشناها بصداقة نادرة ، وتوافق يمتد طول الحياة · ومعا كبرنا ، أو أنا وحدي التي كبرت ! · لا أذكر أنك تكلمت مرة واحدة عن الزمن · دائما منشرحة الصدر ، متفائلة رغم التجاعيد والشعر الأبيض· لم تحدثيني مرة واحدة عن اقتراب الموت · كنت دائما أعترف لك بخوفي منه ، وانتظاري له بانتظام كل ليلة حين أستعد للنوم ·

أسألها :

ألا زلت تنتظرين ؟ والى متى ؟ »

قالت :

« لا أحب أن أفاجأ بالنهاية بعد أن عشت أخطط لحياتي بارادتي ·

سألتها :

ولماذا تنتظرين بالذات في المساء » ؟

تنهيدة أخرى أكثر عمقا · ثم لحظة تذهب فيها عيناها الى أفق بعيد · تقول وهي بعد لم تفق من شرودها :

« كل من عرفتهم جاءت نهايتهم في المساء ، وبالتحديد بين الساعة التاسعة والحادية عشرة· وقد قررت ألا أنام في هذه الفترة · يجب أن أكون في قمة يقظتي حين أغفل الى النهاية » ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أصابني كلامها بنفس الشيء الغامض . سكت لحظة ثم قلت .

« أشفق عليك من هذا الانتظار . انه موت من نوع آخر ، أشد وأقسى . الانتهاء جميل اذا عشت حياتك كما ترغبين . لم لا تتقبلين الحياة بكل ما فيها ؟ »

تقول وهي تتجه نحو الباب :

« سأضطر الى النزول الآن ، فالساعة تقترب من التاسعة » .

تقبلني ، تنظر الى لحظة .. لحظتين ثم تتركني..

على غير عادتي . جريت بلهفة الى النافذة ، لأرقب خيالها الطويل يتحرك بين الأشجار . تحركت الذكريات معه فتذكرت رحلتنا الطويلة . كنا نشعر أننا معا نخلق شيئا متكاملا . كانت تفهم التمرد داخلي ، لأنه يكمل تمردها . أتذكر تلك اللحظات التي كانت تدعوني فيها . أجلس في هدوء ، ومن بعيد أراقبها ؛ وهي تترجم تمردنا الى أنغام تعزفها على البيانو . ويأتي الغد فتتحول نغماتها الى حركات راقصة تسري في كياني . كنت أفهم كل نغمة ، وكنت تفهمين كل حركة . أحيانا كنت أجد صعوبة في أداء بعض المعاني فتأتي نغماتك تكمل قصوري ، فأشعر بالهدوء . وعندما تعجزين عن تجسيد فكرة ، كما ترغبين ، تقوم حركاتي بالبقية ، فتشعرين بالرضى . كنت أصر دائما على أن ترافقني موسيقاك ، وكان أجمل ابداعك لا ينطلق الا معي . كم كان صعبا في البداية أن نفرض نظرتنا الجديدة للموسيقى والرقص . أعترف أنني كدت في بعض الأوقات أن أفقد حماسي وتفاؤلي . لكنك كنت دائما هناك .. بجانبي ، تعيدين الى الثقة ، وتقولين :

« لست أنت التي تضعف من أول الطريق ». والآن ، يا صديقتي ، تضعفين أنت في آخره » .

لم أعد أرى خيالها بين الأشجار . وعاد الطريق خاليا الا من أوراق الشجر المتناثرة ، هادئا الا من صوت بقية الأوراق التي لم تقع بعد تنادى رفيقاتها التي سقطت .

تتجه الى حجرة نومها .. تقع عيناها على الساعة الكبيرة القديمة المعلقة على الحائط . تتذكر أنها تعمدت يوما ايقافها ، واكتفت منها بالمنظر الجميل . لا لأن الصوت يزعجها فقط ، ولكن لأنها تكره الساعات بشدة . الساعة الوحيدة الصغيرة التي لديها تخفيها بين محتويات حقيبتها . اكتشفت منذ مدة طويلة أن الساعة ترتبط في ذهنها بمعنى القيود . تريد عالما لا يعرف الساعات . تريد زمنا حرا تحدد هي فيه التوقيت ، تكون الدقيقة رغبتها الحقيقية ، والثانية نبضات قلبها . وجود الساعة حول يدها معناه اعلان للعالم كله عن رضاها بالقيد . اعلان فاضح عن خضوعها لزمن لم تشارك في حركة عقاربه .

تذكرت أنها ، هذا المساء ، تتذكر كثيرا . اندهشت . فلماذا الليلة بالذات تنتعش ذاكرتها بأشياء غائرة في أعماقها . الليلة تشعر أكثر . الرؤية أوضح من أي وقت مضى .

الشقة ذات الحجرات الثلاث هادئة كملامح صاحبتها ذات السبعين عاما ، متزاحمة الأشياء كداخلها . تشعر بملل من هذا الهدوء الذي لا يوافق تدفق الحياة في كيانها. تشعر برغبة قوية في الخروج ، والضحك ، والرقص . ترتدي ثوبا منذ أن اشترته ، وهي تحتار في لونه . هو أقرب الى الأخضر ، ولكنه ليس بأخضر . به بعض من الأصفر ، ولكنه ليس بأصفر . يخيل اليها أنه بعض من كل الألوان ، ولكنه ليس أيا منها . ومع ذلك أصرت على شرائه ، بل وأحبته أكثر من أي ثوب آخر . بل ان ارتباطها به لم يكن الا من أجل عدم التحديد الذي يحيرها في انتمائه الى الألوان المألوفة . تشعر بتوافق معه . في الأخرى تكره التحديد ، هي الأخرى لا منتمية .

وفي لحظات كانت مستعدة للخروج . فهي لا تضع المساحيق ولا تنظر في المرآة الا للحظة . شيء واحد هو الذي يستطيع الابقاء عليه وقتا أطول . تتذكر عادتها القديمة قبل كل مرة نزول. فهي لا تغادر البيت أبدا مهما كان السبب الا بعد أن تتأكد أن كل شيء في مكانه . تحب ان تعود من سهرتها الى القراءة ، أو النوم على أنغام

موسيقى هادئة . أما أن تعود لترتب أشـياء فى البيت ، فهى فكرة مزعجة ، وقادرة على أن تعكر صفو سهرتها ، مهما كانت ممتعة . ولكن لم يكن هذا كل مـا فى الأمر . شىء آخرى أقوى وأعمق كان يجعلها تشعر أن كل مرة نزول ، ربما تكون الأخيرة بلا عودة . فان حدث هذا ، يجب أن تترك كل شىء منظما ومرتبا . ليس فقط ليرتاح من يأتى بعدها . وليس فقط اعترافا منها بأنها تقدر الأشياء التى رافقت حياتها . لكنها كانت مدركة ادراكا مخيفا للفوضى والارتباك فى كيانها . فلم تكن تلك الرغبة المبالغة في حب النظام الا تعويضنا للنظام غير الموجود داخلها .! فما بال هذه الرغبة مع احتمال عدم عودتها ؟

تزيل الغبار المتراكم على السيارة الصغيرة ذات اللون البنى الداكن ، كلون عينيها . تلقى نظرة سريعة على العجلات الأربع ، لتتأكد من سلامتها ، وتندفع داخل السيارة ، كأنها على موعد .

تسير فى طرق عديدة . تستعين ببعض الأنغام لتكسر الهدوء الذى يصيب الدنيـا مع اقتراب الشتاء . تندهش لأن الناس لا يخرجون الا فى الصيف ، حيث العرق ، والزحام ، والضجيج . وحين ينتعش الهواء مع اقتراب الشتاء تخلو كل الطرق .

تتذكر أن لبعض الحيوانات والحشرات فترة بيات شتوى تقضيها فى الجحور ، والحفر ، وبين أركان المنازل . الناس لهم مثلهـا لكنها فى الحجرات بجوار المدفأة ، تحت الأغطية ، وأمام أجهزة حديثة ترسـل أشـياء خطيرة . لكنها لم تكن كتلك الحيوانات ، والحشرات ، وهؤلاء النـاس . فمع الشتاء يتدفق كل الدفء داخلها .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

السماء تمطر . تمطر الآن بشدة . ويبدو أن سيارتها الصغيرة لم تكن محكمة بالقدر الكافى ، لأنها ابتلت فشعرت بحيوية أكثر . ولكن الحيوية هى الوجه الآخر لليقظة ، فتساءلت بعد ساعة فى النزول : الى أين أنا ذاهبة ؟ ولمن ؟ تستعيد فى خاطرها كل الأماكن .. تتذكر كل الناس . ولكن لا مكان ، ولا أحد يفسح صدره ، ويرحب بامرأة وحيدة فى عمر السبعين ، لا تريد انتظار الموت . تريد السهر ، تريد مشاركة .. تريد الحياة ، تقولين ياصـديقتى أنـه مجتمع لا يعترف الا بالصغيرات الجميلات ، ولكن اسمحى لى أن أضيف شيئا :

« الصغيرات الجميلات غير الوحيدات »

مازلت أذكر وأنا فى عمر العشرين ، كيف كنت محاصرة بالعيون والنظرات وتعليقات الغزل . واحيانا بلمس الأيادى لمجرد أننى وحيـدة فى

الطريق ، فى الحياة • واذا حدث صدفة ، ورافقنى رجل زميل أو صديق ، أشعر بفرق هائل ، فاذا بكل الأصـوات تخرس ، وبكل الايادى تعود الى أصحابها » •

والآن وأنا فى السـبعين من عمرى مازلت محاصرة • لكنه حصار مختلف • لم أعد أسمع عبارات الغزل ، اختفت مع ظهور شيخوختى ، وحلت بدلا منها عبـارات السخرية ، وأحيـانا عبـارات السـباب التى تهزأ من ملامحى ذات التجاعيد ، ورأسى الأبيض المصر على أن يطل على الحياة • وبرغم تلك الوحده المصـاحبة لهـا منذ طفولتها فانهـا لم تتمن حماية رجل ولم تصبغ شعرها ، وتشد جلدها ، ألم يكن هذا جزءا من التحدى الذى رقصت له ؟

السيارة الصغيرة ، ذات اللون البنى ، تعود من نفس الطريق ، دون أن تنزل منها صاحبتها • كانت تقود وهى شاردة • تتذكر مئات المرات التى تركت فيها البيت بنفس منشرحة ، تشعر بقوة الدنيا داخلها ، وعادت دون أن تنزل من سيارتها بنفس مكتئبة عاجزة • ماذا تفعل ؟ تذكرت مثلا يقول : «اضحك تضحك لك الدنيا» كم هو كاذب فها هى تتدفق حيوية ، وحبـا للحيـاة ، ولكن الدنيا لا ترحب بتدفقهـا • مـا فائدة اقبالها على الحياة ، والحياة نفسها ترفضها ؟ ما فائدة حبها للحياة ، والحياة لا تعدها من الأحياء • كادت أن تتجاوز اشارة حمراء ، ولكنها تنبهت فى آخـر لحظة • يقولون : « السعادة تأتى من الداخل » ولكنها تحتاج الى حد أدنى من تأييد الخارج • كل التأييد الذى تخظى بـه هى وأمثالهـا هو تقبل لعملية التنفس ، وشراء ضروريات الحيـاة من المحلات المجاورة • هى تريد تأييدا مختلفا • تريد ممارسة كل الأشياء الأخرى التى ذاقت حلاوتها وهى صغيرة • انها تشتاق للحب ، والرقص ، والمناقشات ، والهواء المنعش بصحبة الأصدقاء • تشتاق أكثر من أى وقت مضى •

السيارة تقترب من طريق الأشجار المؤدى الى بيتها • برغم البرودة شـعرت بعـرق غزير يتساقط •• برغم الهواء شعرت بأنهـا تختنق • الأفكار المتزاحمة فى خاطرها • رغباتها المكبوته الوحدة المفروضة عليها • برودة البيت المنتظرة وصولها • ذكرياتها التى تلح عليها • التذكر • يلح عليها النسيان • الماضى الطويل الذى نسيه الجميع • المستقبل الذى تود أن تعيشه ، ولا يود هو مصـاحبتها • الغـائب دائمـا عن اكتمال مشاعرها •• الفهم البعيد عن أفق الفهم • كلها أشياء تراكمت فى لحظة أمامها ، لتحجب الرؤية عن عينيها • واذا بصـدمة قـوية تتوقف معها السيارة الصغيرة • سيارة أخرى توقفت • نزل منهـا رجل ذو شـعر أبيض ، وقد زاده الارتباك شيخوخة ، فبدا مخيفا • تقدم مسرعا اليها •• اقترب منها وأخرجهـا من السـيارة المهشمة • أنفاس بطيئة ، آتية من بعيد • لاتزال تنبعث من داخلها • نظرت اليه ، نظرت حولها وسألته ، وهى تركز بعينيها على الشعر الأبيض :

« كم الساعة الآن ؟ »

قال وهو ينظر الى الساعة البعيدة المضيئة فى آخر طريق الأشجار :

« دقائق وتصبح الحادية عشرة » •

تذكرت صـديقتها الوحيدة • تذكرت المنزل المرتب • تذكرت شـيئا لن يتذكر بعد الآن • تنهدت • همست بكلمة لم تسمعها الا قطرات المطر التى امتزجت معها ، وأغمضت عينيها ، مع اكتمال الدقة الحادية عشرة الأخيرة •

القاهرة : منى حلمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طفل الطين

يوسف أبوريه

الشجرة ذات الظل فردت أوراقها الخضراء فوق البقرة التى تلف فى الساقية ٠ والولد الذى يرقد تحت الجذع ، يخطط فى التراب ، قسمه أحواضا وجعل وسط الأحواض قناة واسعة تنتهى بدائرة هى التى سيدلق فيها ماء الكوز من الترعة الكبيرة ٠

امتلأت الدائرة ، وتدفق الماء فى القناة المنحدرة ، وتوزعت بين الخطوط الكثيرة ، يشربها التراب بعطش حقيقى ٠

وعرف الولد أنه لا التراب ولا الماء يثمران الزهرة الخضراء ، لأنه لم يضع البذرة ٠ فجمع الأرض التى أعدها كتلة من الطين ، عجنها بالماء ٠

وصاح فى البقرة لتدفع الماء لأبيه هناك ، أعلى الحقل ، ولأنها لا تخضع لصياحه ، ضربها بالفرقله ضربتين على كفلها ٠

٠٠ هكذا تسرع فيجرى الماء لأبى يروى أرض القطن ٠٠ »

قال لنفسه حين عاد لعجن الطين وأكد :

« يباع القطن فنخلع ملابسنا لنرتدى الجديدة ، ونقلع النعال المفتقة لنلبس الجديدة »

خلق من الطينة جاموسة بأذنين وقرنين ، وأربعة سيقان بحوافر ، جاء بين فخذيها الخلفيتين ، ولصق كرة بأربعة بروزات ، وعرضها للشمس ، قال :

« هذا ضرعها ، لكنه لن يدر اللبن ٠٠ أمى تحلب جاموستنا الكبيرة ، أنال قطعة القشدة على الرغيف حين تضربها فى الاناء الواسع ، ثم تذهب بها الى السوق كل خميس » ٠

ضغط الطينة بأصابع يده ، فصارت الجاموسة بلا شكل ٠٠

ردد الموال : « منين أجيب ناس لمعناة الكلام يتلوه » ٠٠

وقص ــ بالصوت المنغم ــ قصة الولد الذى قاتل الأجنبى والظالم ، فكانت الطينة فى يده على هيئة خفير بلبدة ، وشارب طويل ، على كتفه علق البارودة ، وعرضه للشمس ، لكن الخفير سقط على وجهه ، فطمسه التراب ، عجن الطينة فى يده ٠

ودار خلف البقرة ثلاث دورات يحثها ويضربها٠

أقام بالطين جدارا ، ألصق به جدرانا ثلاثة وجعل بها فتحتين صغيرتين ، وفتحة كبيرة ، قال لنفسه : هذه هى الغرفة الأولى ، سأقيم بيتا بأربع غرف وردهة وزريبة ومرحاض ، وسأحفر أمام بابه قناة تجرى فيها المياه ، وأغرس على حافتها الغصن فيكون الشجرة الظليلة ، التى تقعد تحتها أمى والجارات ٠

حين انتهى من البناء ، سوى الطينة بيده ٠ فكانت برأس وساقين ، ومن جانبيها صنع ساعدين فى الخصرين ٠

بالعصا الرفيعة شق فى الوجه عينين ، وثغرا باسما بغمازتين ، وستر الرأس بالقماشة الملونة٠ هذه هى العروسة صاحبة الدار التى سترقد على السرير فى غرفة النوم ، وفى جانب من الغرفة وضع الحجر الذى فرشه ببباقى القماش ٠

« ولكن العروسة لابد لها من عريس ٠٠ » أكد لنفسه :

وبقطعة أخرى من الطين ، صنع جسدا برأس كبير به شارب ممتد وحاجبان كثيفان ، ونقش بالعصا فى الصدر ليصنع الشعر الغزير ٠ أنام العروسة على الحجر ٠

شعر بالدم الهادىء ينساب ما بين الجلد والعظم ٠

فتمنى لو عاد ضئيلا كنملة ، ودخل من الباب الضيق للبيت ، ودخل الغرفة ليتمدد الى جوارها على الحجر الوثير ٠

لكنه فى النهاية ، أدخل الرجل الذى صنعه ، مدده على طرف الحجر ٠

وراح يتأملهما بحب ، وعزم على أن يدع البيت والعريسين لضوء الشمس ، ويحرسهما من أقدام الكبار والصغار !!

القاهرة : يوسف ابو رية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرقص الغجرى

السيد محمد الخميسى

(١)

وأنا فى وَسَطِ الحَلْبَةْ

ألعبُ بالسيفِ المكسورِ..

وبالكلمةْ

مفروضٌ ألاّ أخرجَ عن تلك الدائرةِ الحمراءْ

مفروضٌ ألاّ أتخطّى أبدًا حدَّ اللعبِ المرسومْ

وأنا ...

حتى إن عانَقَ مقبضُ سيفٍ خشبىٍّ كفى

لاأملكُ إلا أن يسرقَنى السيفْ

لاأعرفُ هذا اللعبَ الزيفْ

فالحلبةُ عندى رومانيةْ

أن تجرحَ خصمكَ لايكفى .. بلْ

لعبٌ حتى الموتْ !

ياأصحابى

(٢)

إن خفتم أن أندمجَ مع الدور

رُدُّونى فى منتصف الدائرة الحمراءْ

هذا قدرُ الشعراءِ الغرباءْ

أنَّ اللاعبَ منهمْ

يلعبُ بالسيف المكسورْ .. وبداخله

هذا الخطرُ المرّْ

هذا الشعرْ

هذا السلكُ المشدودُ العابرُ شلاّلاتِ الرعبِ الأزلىّ

بالله عليكم

يارفقاء الخبز المغموسِ بملحِ الصبر

لاتَدعُونِى أندمجُ مع الرقص الغجرىّ

رُدُّوا خُطوتِىَ النافرةْ

لأرض الحلبةْ

لاتدعونى أُحدِثُ جَلَبَةْ

لاتدعونى أرفعُ صوتى

أكثرَ مما هو مسموحْ

لاتدعوا العصفورَ الساكن قفص الصدر..

يبوحْ

فأنا لا أُتقنُ فنَّ الرقصِ الملكىّ
لا أعرف كيف أقدمُ رجلاً مرَّةً
وأؤخر مرّاتٍ . .
رجلين
لاأعرفُ ثنى الجذعِ ولا
لفَّ الخصرْ
لا أعرفُ لغة القصرْ

(٣)

فإذا ماحوَّم طيرُ الرُّخ علىَ
أسوارِ حديقتنا البلهاءْ
واختلطت أوراقُ النرجس
بعيونِ البُوم الشوهاء
واحتاج الموقفُ منكمْ
بعض .. رياءْ
وسقطتُ جريحًا
خلف جدار الصمتِ المخنوق الأَصداءْ
أتخبَّطْ.
داخلَ مصباحى المرصودْ
فبحق الخبزِ المغموس بملح الصبرْ
لا تلووا عنى الأَعناقْ
أعطوا للقلبِ النافر
بعضَ العذرْ
ولتَخرجْ .. نظرتكمْ
حاملةً
بعضَ
رثاءْ

بور سعيد : السيد محمد الخميسى

الهيئة المصرية العامة للكتاب
تقـــدم

من كتب التراث

• بدائع الزهور فى وقائع الزهور جـ ١ — تحقيق : محمد مصطفى
• الفتوحات المكية جـ ٨ — تحقيق : د. عثان يحى
• الشجرة ذات الأكمام — تحقيق : غطّاس عبد الملك
• الحجة فى علل القراءات السبع جـ ١ — تحقيق : على النجدى ناصف
• الاقتضــاب جـ ٣ — د. حامد عبد الحميد، مصطفى السقا

تطلب فور صدورها من الباعة ومكتبات الهيئة وفروعها
بالقاهرة والمحافظات

الإنســان والــزمن والشّــعر

قراءة فى قصيدة
العــائــد
لصلاح عبد الصبور

د. إبراهيم عبد الرحمن محمد

يخوض الانسان منذ أيامه الاولى على الأرض ، صراعا عنيفــا مع الزمن ، وهو صراع وان كان قد نبع من عجزه عن حل مشــكلة بعينها هى مشكلة الفناء ، فانه قد اتخذ فى حياة الانسان ، عبر عصورها المختلفة ، أشكالا متباينة : فكان صراعا بين الانسان والحياة ، والانسان والناس من حوله ، كما كان صراعا بين الانسان ونفسه ، والانسان والطبيعة ٠٠ وكما كان الصراع بين الانسان والزمن منبعا لهذه الصراعات المتعددة ، فقد كان كذلك مادة الأدب والفن والعلم ، والفلسفة على اختلاف درجاتهــا فى التطور والرقى ، وأساليبها فى البحث والمواجهة ٠ ويهمنا هنا أن نقف من تراث العرب الثقافى عند الشعر بوصفه أكثر علومهم عناية بتسجيل هذا الصراع ، وأخصبها فى عرض جوانبه المختلفة ، وأمتعها فى التعبير عن قضاياه المتشابكة ٠

(١)

وقد عبر الشاعر القديم فى أشكال مختلفة عن مفهومه للزمان وصراعه معه ، تعبيرا انبثقت منه موقف انســانية وعقدية يطول بنا اذا حاولنا هنا الكشف عنهــا فى شعر هذا الشاعر أو ذاك ، ولكنا نكتفى فى تلخيص هذا المفهوم بالقول انه قــد انبثق ، فى شعر الجاهليين ، من مشكلة ذاتية كانت تؤرقهم هى مشكلة الموت ، فقد تصوروه قدرا محتوما لا مفر منه ، فهو حين يوافى الانسان « يتعلق بأدنى الأسباب المؤدية اليه ، ومن ثم فقد اقترن مفهوم الزمان لديهم بالمعاناة والموت » ، وأصــبحت لذلك كلمات مثل : الدهر والزمن والقدر ٠٠ من أكثر الكلمات فى هذا الشعر اتصالا بالموت وايحاء به ، وتعبيرا عن ألوان من المعاناة التى يتعرض لها الانسان فى حياته ولا يستطيع لها دفعا ٠ ونستطيع أن نجد فى هذه الأبيات التى نجتزئها اجتزاء من كثير يدور دورانا واسعا فى قصائد الشعر الجاهلى ، نموذجا لهذا المفهوم الجاهلى للزمان :

ـ من رآنا ، فليحدث نفسه   أنه موف على قرن زوال :
فصروف الدهر لا تبقى لها   ولما تأتى به صم الجبال ،
رب ركب قد أناخوا عندنا   يشربون الخمر بالماء الزلال ،
عمروا الدهر بعيش حسن   قطعوا دهرهم ، غير عجال ،
عصف الدهر بهم فانقرضوا   وكذاك الدهر ، حالا بعد حال !
ـ سلط الدهر والمنون عليهم   فلهم فى صدى المقابر هام
فعلى اثرهم تساقط نفسى   حسرات ، وذكرهم لى سقام !
ـ وهل عيشة طابت لنا الا وقد   أبلى الزمان قديمها وجديدها

وقد تولد من الصلة التى كان يقيمها الجاهلى فى نفسه بين الزمان وبين الموت والفناء ، صور مختلفة كما قلنا من التعبير الفنى التى يرمز بها الى مفهومه للزمان وأثره فى حياته ، اتخذ بعضها شكل أغراض ثابتة فى الشعر القديم من أبرزها

الوقوف على الأطلال ، ذلك الوقوف الذى كان الشاعر الجاهلى يعبر من خلاله عن حركة الزمان فى نفسه ، كما اتخذ بعضها الآخر شكل معان تدور على ألسنة الشعراء الجاهليين دورانا مألوفا ، هى الشعور بالغربة والفقد ، وحتمية الفشل فى مواجهة قوى الدهر المتسلطة على مصير الانسان · ولكن الشاعر الجاهلى ، على الرغم من ذلك لم يستسلم لهذا المصير المحتوم الذى فرضه عليه مفهومه للزمان ، فراح يحقق طموحه فى الخلود ومواجهة طغيان الدهر عليه بابطال ما يحدثه من فناء · وقد حقق ذلك عن طريق الالحاح على طائفة من الفضائل والقيم التى اعتز بها الجاهليون اعتزازا عظيما ، والتى راح الشعراء يتغنون بها فى أشعارهم على اختلاف موضوعاتها ، مديحا ورثاء وفخرا ··· هى الشجاعة والكرم والوفاء بالعهد واغاثة الملهوف الى غير ذلك من الفضائل الأخرى ·

وقد وردت هذه الفضائل فى الشعر الجاهلى فى صورة خاصة ، فلم يكونوا يتمدحون بها لذاتها فحسب ، ولكن بوصفها وسائل الى خلود الذكر ودوام المجد ، وكأنهم كانوا يرون فيها نقيضا لهذا الفناء الذى فرضه الزمان فى صور مختلفة كما قلنا ، أبرزها الموت الذى يفاجئهم ولا يفلت من حتميته انسان مهما طال عمره وكثر ماله وامتد سلطانه · ولا يتسع المجال هنا للوقوف عند نماذج من أشعار الجاهليين، فهى كثيرة ومتنوعة ـ ولكنا نختار هذه الأبيات القليلة لشاعر يبرر لزوجته اسرافه فى انفاق المال ، مؤكدا لها أن وسيلة المرء الى الخلود انما هى فيما يؤثر عنه من كرم وبذل :

آماوى ! ان المال غاد ورائح   ويبقى من المال ، الأحاديث والذكر
أماوى ! انى لا أقول لسائل ،   اذا جاء يوما ، حل فى مالنا نزر !
أماوى ! ما يغنى الثراء عن الفتى ،   اذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر ،
أماوى ! أن يصبح صداى بقفرة   من الأرض ، لا ماء هناك ولا خمر ،
ترى أن ما أهلكت لم يك ضرنى ،   وان يدى مما بخلت به صفر !

وعلى هذا النحو راح الجاهليون يواجهون الفناء المادى بخلود وجدانى ان صح هذا الوصف ، وقد أدرك عمر رضى الله عنه دور المديح فى هذا الجانب ، وعبر عنه تعبيرا طريفا فى قوله لولد هرم بن سنان : انه (أى زهير) كان ليحسن فيكم القول ، قال : ونحن والله ان كنا لنحسن له العطاء . فقال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم !

وعلى الرغم من أن مفهوم الزمن قد فقد فى ظل التعاليم الاسلامية كل ما تعلق به من معانى المشقة والألم والنقصان والفناء كما تصورها الجاهليون ، فان هذا المفهوم نفسه ظل مسيطرا على الشعر العربى فى العصور الاسلامية المختلفة . ونستطيع أن نجد صدى هذا المفهوم فى شعر المتنبى خاصة ، الذى أكثر من الحديث عن الزمان ودوره فى شقاء الانسان . ويعود ذلك الى حقيقة أن الشعر العربى ظل يدور ، من الناحية الفنية واللغوية ، فى فلك الشعر الجاهلى دورانا جعل منه محاكاة خالصة له الا فى قليل من النماذج .

(٢)

وحين نترك الشعر القديم الى الشعر الحديث نلاحظ أن مفهوم الزمان قد أخذ فيه اتجاهين مختلفين :

الأول ، اتجاه قديم يقرن الزمان بالمعاناة والموت والألم على نحو ما رأينا فى الشعر الجاهلى ، ويغلب هذا المفهوم بصفة خاصة ، على شعر المقلدين من الشعراء الذين يحرصون على استعارة تجاربهم من الشعر القديم ، واحتذاء نماذجه الفنية احتذاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والثانى ، اتجاه جديد يتخذ شكل قضايا ومواقف فكرية وفلسفية وانسانية معاصرة ومتنوعة ، هى فى الحقيقة ثمرة فلسفات حديثة أخذت تغزو البيئات العربية منذ مطلع القرن العشرين . ولا حاجة بنا الى الوقوف عند المفهوم الأول فقد رأينا شيئا منه فى كلامنا عن الشعر الجاهلى .

أما المفهوم الثانى فسوف نعرض له من خلال قصيدة لصلاح عبد الصبور ، هى قصيدة « العائد » ، وهى قصيدة رغم بساطة تجربتها الفنية نموذج جيد لهذا الاتجاه الفكرى الذى أخذ يغزو الشعر العربى الحديث حتى بلغ مبلغ الظاهرة الفنية فى تيار الشعر الجديد . وهى تشخص بالاضافة الى ذلك الموهبة الابداعية التى تميز شعراء هذا التيار من غيرهم من شعراء التيار التقليدى ، تلك الموهبة التى تنبثق من ثقافة فنية ، أدبية ونقدية ، حديثة ومتطورة ، استمدها الشعراء من قراءاتهم وتجاربهم الانسانية المعاصرة أكثر منها مجرد مواهب ذاتية خالصة . وبعبارة أخرى ، انها موهبة يمتزج فيها الفن بالفكر امتزاجا يجعل منهما عنصرين متكاملين فى بنية واحدة ، وصيغة شعرية جديدة لا نكاد نظفر بما يماثلها فى الشعر العربى القديم على طول حياته وكثرة شعرائه وتعدد تجاربه الفنية .

وعنوان القصيدة نفسه له مغزاه ، فهو يوحى الينا منذ البداية بأن الشاعر يسجل مشاعره الفياضة بالحب والفرحة بعودة طفله الضائع اليه ؛ وهى مشاعر تمتزج فيها فرحة الأبوين بعودة طفلهما بخوفهما من ضياعه مرة أخرى ، خاصــة فى هذه السن الكبيرة التى جعلت منهما شخصين عاجزين عن ولادة طفل آخر يعوضهما عنه ٠٠ ولكن هذا المعنى نفسه ليس سوى وسيلة فنية وموضوعية ، أو بلغــة النقد الحديث ، ليس سوى « قناع فنى » يشف عن تجربة أخرى ، عاطفية وفكرية يتخذ الشاعر من هذين الحدثين : ضياع طفله ، وعودته اليه ، وسيلة للتعبير عنهـا ونستطيع ، لكى نتعرف على هذه التجربة أن نلاحظ فى القصيدة ثلاثة مستويات من المعنى ، يسلم كل منها الى الآخر ، فى حلقة متصلة الوشائج تفضى بنا الى هـــذا الموقف الفكرى للشاعر من الحياة وأحداثها من حوله :

ويتلخص المستوى الأول ، فى حكاية هذا الطفل الضال الذى عاد الى أبويه بعد أن صارا شيخين ضعيفين يؤمنان بأن استمرارهما فى البقاء مرهون بوجوده معهما ، ولكنا لا نلبث أن نتبين ، حين نمضى فى قراءة القصيدة أن الشاعر يبث فى مقاطعها المختلفة من المعانى ، ويصوغ من الصور ما يكشف عن حقيقة أنه لا يتحدث عن طفل ضاع ، فقد جعل منه كائنا غريبا ، حين احتفظ بطفولتـــه على الرغم من أنه عاش بعيدا عنهما عشرة أعوام ليعود اليهما فى نهاينها طفلا كما عرفاه :

طفلنـــا الأول قد عـــاد الينـــا
بعد أن تـــاه من البيت ســنينا
عاد خجلان ٠٠ حييا ٠٠ وحزينا
فتلمسنا بكف نبضت فيها عروق الرعشة الأولى ، الجبينا
وتعرفنا عليــه
وبكى لما بكينا فى يديه
وارتمى بين ذراعينا ، وأغفى مطمئنا ، وغفونا
وتكسرنا على مبسمه المزموم أنفاسا نديات ٠٠
وطـــلا ٠
. . . .
كان طفلا عندما فر عن البيت وولى
من سنين عشرة ، ذات مساء ، كان طفلا
. . . .
نعمت بين الليالى ليلة عاد الينا فى دجاها
وبكى لما بكينا ذلنا عشر سنين فى يديه
ذلنا عشر سنين شيبت منا الجباهـا
جعلت منـا عبيـدا للأسى
وهو ما زال صغيرا والها

وقد عمد الشاعر لتأكيد غرابة هذا الطفل ، أو فلنقل لتحوير صورته الطبيعية ليجعل منه قناعا يشف عن تجربته الذاتية والانسانية ، الى اضـفاء هـذه الصــفة عليه ، صفة الاله ، ولعله يريـد بذلك أن يؤكـد قدرته على البقاء على حاله التى كان عليها دون أن تغير السنون العشر منه شيئا !

وهذه الغرابة ، أو فلنقل هذا التحوير الذى أحدثه الشاعر فى حقيقة طفله التائه ، يسلمنا بدوره الى المستوى الثانى من المعنى ، وهو أن الطفل هنا رمز عن تجربة عاطفية قديمة (أشار هو نفسه اليها فى حديث له منشور فى مجلة البيان الكويتية) ، فى مطلع حياته · وقد أكد الشاعر هذا الرمز عن طريق سلسلة من المعانى التى أخذ يبثها فى مقاطع القصيدة المختلفة ، جعلت من الطفل رمزا عن الحب فى مثل قوله راصدا مشاعره الحزينة لضياعه :

وافتقدناه ، وناديناه فى أحلامنا
وانتظرنا خطوه المخضر فى كل ربيع
وشكونا جرحه خلاننا
وتسلينا بكأس مرة من يأسنا
وتناسيناه الا رعدة تجتاح أيام الربيع
عندما نشعر بالشوق الى طفل وديع
عندما تلقى بنا وحدتنا فى وهمنا
عندما يعصر قلبينا ضنى مر ، وجوع للفرح
لائب يسأل عن فرحتنا

فهو يربط بين الطفل والربيع حين ينتظر عودته فيه ، ويصف خطواته بالاخضرار ، وحين ينساه فى كل فصول العام لا يلبث أن تجتاحه ذكراه عند أول يوم من أيام الربيع ، عندما يحس بالحاجة الى شىء يوقظ فى نفسه الفرحة !

ولا نحتاج الى تأكيد الصلة الرمزية التى تشيع فى الفن بين الحب والطبيعة ، فهى صلة مألوفة تشف عن حقيقة الرؤى والصور التى تزحم الأعمال الفنية على اختلافها وتنوع وسائلها ، مستغلة عناصر الطبيعة فى أيام الربيع ، فى تجسيد أحاسيس الحب والفرحة بالحياة ، كما تستغل عناصرها فى الخريف وما يتصل به من الشتاء والليل فى رصد مشاعر الفقد والقلق ·· وهذه كلها عناصر طبيعية أثيرة لدى الرومانسيين فى بناء صورهم الشعرية ·

وهذا الحب يسلمنا بدوره الى المستوى الثالث من المعنى ، وهو ما نسميه مقولة القصيدة ـ أى فكرتها ، أو قضيتها · وهى هنا ، اذا صح ما نذهب اليه من التفسير ، رؤية فلسفية لواقع الحياة المعاصرة وما فيه من جذب نفسى وضياع انسانى يعانى الشعراء المحدثون من وطأته ، ويكثرون من الحديث عنه فى قصائدهم حتى أصبح بمثابة مرض عصرى يجتاح كل الشعراء ! وقد جسد صلاح عبد الصبور هذه الرؤية الفلسفية ، المتشائمة والحزينة لواقع الحياة من حوله فى صورة طريفة ، دالة وممتعة ، هى صورة هذا الصراع الخالد فى الحياة بين الانسان والزمن ، أو بين الماضى والحاضر :

فالطفل الضائع هنا رمز عن الماضى ، والماضى رمز عن الزمن الذى يتمثل للشاعر فى تجربة عاطفية ساذجة عايشها فى مطلع شبابه ، وبقيت ذكراها الحلوة قوية فى نفسه ، وهى ذكرى فرضت نفسها عليه فى هذا الواقع المضنى الذى يقاسى منه ·· وعودة الطفل هنا محاولة لتجسيد هذا الصراع بين الانسان والزمن ، فالانسان يظل يتوهم أن الماضى خير من الحاضر ، وأن عودة هذا الماضى فى صورة واخرى لم

كفيلة باسعاده وبعث عناصر الخصوبة فى نفسه ٠٠ ولكنه لا يلبث أن يكتشف ، حين يستحضر هذا الماضى ، عجزه عن مواجهة الواقع الذى يعايشه ٠

وقد عبر الشاعر فى الجزء الأخير من القصيدة عن شكه فى قدرة هذه التجربة العاطفية الساذجة التى عرفها فى مرحلة الصبا ، على البقاء ومطاولة الزمن ، ومواجهة الواقع الذى يعانى فيه من الوحدة والجدب النفسى ، تعبيرا استغل فيه ظواهر الطبيعة استغلالا بارعا ، مما يجعل منه امتدادا فنيا وموضوعيا للأجزاء السابقة ، فقال :

نحن لم ننس ، ولكن طويل الجرح يغرى بالتناسى
عندما يخلع صيف ثوبه بعد شتاء مكفهر الوجه قاسى
وعلى عقبيهما يأتى خريف مجدب دون نداوه
وتعرى كفه العالم من كل بهاء وحلاوه
عندما ينقلب التذكار عبئا وعذابا وقصورا
وبكاء أخرس النبرة وحشيا ضريرا
حينما يلجئنا الحزن الى بطن جدار
ليسفى فوقنا مثل تراب الموت زهره
زهرة ميتة طال عليها الاحتضار
لا نرى الا التناسى مهربا من موتنا
موتنا القادم فى ضوء النهار !

الى أن يقول :

قل لنا أيها العائد هل أنت مقيم بيننا
واتئد يا طفلنا الأوحد
فالدنيا عقيم وعجوز
لم يعد غيرك فى الدنيا لنا !

وهكذا يقيم الشاعر بناء قصيدته على ثلاث أفكار أو فلنقل على ثلاثة أصوات ، هى الطفل والحب والزمن ، ليشخص من خلالها احساس الانسان المعاصر بوطأة الزمن عليه وعجزه عن مواجهة أحداثه ، من خلال تأكيده لعجز ماضى هذا الانسان عن مواجهة حاضره ٠٠ انها دعوة لا نعتاق الانسان من أسر الزمن المدمر والاقبال على واقعه الواعد ٠

ولكن ما قيمة هذه الفلسفة الجديدة فى مواجهة الزمن بالقياس الى ما سبقها من مواقف الشعراء القدماء ، انها فى الحقيقة تكشف عن أمرين : أحدهما هذا الاتجاه الفكرى الذى يدل على أن الشعراء الجدد قد أخذوا يواجهون حياتهم بمواجهة عقلية منتجة ، لا وجدانية غائمة وعاجزة عن رؤية الأشياء فى صورها الحقيقية ٠ وثانيهما تأكيد النظرة الواقعية فى معالجة مشكلات الحياة والانطلاق الى اصلاح ما أخذ يصيب حياتنا من خلل بسبب الأوهام والرؤى الرومانسية المسرفة فى التخيل ، والغارقة فى بحار العواطف ٠

القاهرة : د ٠ ابراهيم عبد الرحمن محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مضحك الملك

شعر : فاروق شوشة

الملكُ لك ..
الملك لك ..
فكلُّ ماتقوله صوابْ
وحكمةٌ « لم يحْوها كتاب »
وينحنى المُسامرُ الأنيس
وبهجةُ الندّ والجليس
والحافظُ الأسرار والأخبار والحكايا
يُخرجها من كُمّه النفيس :
« ياسيدى
ماأجملك !
ما أعدلَكْ !
لولاك مادار الفلَكْ
ولانتهى التاريخ من بلادنا ، بلاجدالْ
ألسْتَ أشجعَ الرجالْ !
والطاهر النقىَّ فى مهابة الملَكْ ! »
وينتشى المَلِكْ
منتفخ الأوداج كثَّ الحاجبيْنْ
مُحدّقا إلى البعيد
مصطنعًا تكشيرةً أو اندهاشه
أو راسمًا على الجبين سحْنةَ الملائكة
وعندما يهمّ بالكلام
يسّاقط الحديث من فمه
قعقعةً تذوبُ فى الصدى
يظُنها العقولَ تستمع
وأنها القلوبُ تنخلع
لأن شيئًا قادمًا كأنه الرّدى ..
وضاع ظنُّه سُدى
فقد تمخّض الزئيرُ عن هشاشه
ويسقط المسامرُ الأنيسُ بيْنَ بيْنَ
يحارُ كيف يبتدىء
أو يشبكُ الكلامْ من جديد :
ياسيدى
الملكُ لك .
لم يقدْروك قدْرَك العظيم
ولم تطُلْ قاماتهم ليبصروا ما أبْصرتْ
عيْناك من خبىء
وليس فيهم حيلتُك
ومكْرُك المراوغُ المُداور
كأنّه نسيمْ
حين تصوغ من عجائبِ القرار فعْلك
الجرىء
وسعْيَكَ المبُاركَ البرىءْ

مُستلهمًا شمائل الرسول
ونفحة المَلَكْ – »

* * *

يجتمع الصغارُ حول تُحفة المُسامرِ
الأَنيس
يُسْمِعُهُمْ ما دار فى مجالسِ السَّمر
مُطأْطئين فى ذهول
مُحدِّقين فى العجائب التى يقول
وفى الغرائبِ التى لم يحْوِها كتاب :
نشهدُ أنك المُقرَّبُ الأَثير
والصاحبُ الخطير
وإننا بين أصابعك
تملكُنا ، كيف تشاءُ
فيستحيل شاعرُ الربابه
فى سُمته المنفوخ
ربَّما يُجالسُ المُسوخ
والقامةُ التى اعتادت صُنوف الانحناءْ
انتصبت فارعةً تهتزُّ كبرياء
وتستديرُ فى شموخ
لتمنح الصغار لفتةً أو لفتتيْن
وينتهى الكلام
تُسكتُهم إشارةُ من اليديْن
أو نظرةٌ بطرْف عيْن
ويزحفُ الصغارُ ظامئين للمزيْد
ماضرَّ أن يكونوا تابعين للتّبيع
فليحسنوا الصنيع

لعلَّ فى عطائه ما يشمل الجميع
وليهتفوا ،
وليُطلقوا البخور والأَشعار
أليْس سيد السمَّار
والواحد المعدود فى غرائب الأَسفار
والآمر المطاع فى بوَّابة الرّجاء
فمن يُلامسْ حوْضه ملك
ومن يُخالف ورْدهُ هلك
ومن تزُغ عيْناهُ ساعة اللّقاء
أغرقه التيّار !

* * *

الآن يخرجُ المذعورُ من مكامنه
مُفتِّشا عن وجهة أخرى ، وعن سماء
تُظلّه من غضبة البشر
ومن شماتة الذين عاينوهُ فى الرَّغام
قولوا له – إذا لقيتموه هائماً بلا دليلْ
فلم يزلْ يعيش فى غيابة الحلك
منتشيًا بجهله العظيم
وسرِّه المُجرَّب القديم
وقفزه من غاية لغاية
وفنِّه فى لُعْبة الكلام – :
« أفق ..
فإنَّ من ظننتهُ الملك
قد كان يومًا ، مُضحك الملك
فهل وعيْتَ مقْتلك ! »

القاهرة : فاروق شوشة

حدث فى بيت الراحة

لم تكن بدايات اليوم تنبىء بما يختبىء فى سره ، الصباح قادم كأنه كان ينوى ألا يأتى من فرط ما تكرر كل شىء · مد يده عليه واطمأن انه فى وضعه التمام · هنأه وهنأ نفسه بأنه كان وسيبقى دائما قطعة للزينة · فمنذ اضطربت الدنيا ، وجاء المؤسسة ليصبح رجل أمنها وهو على وضعه وعلى جانبه الأيمن رمز لم يستدعه أى حدث من الأحداث المتوقعة ليكون فعلا ·

فى لوح الزجاج البللورى الضخم ، داكن اللون ، الذى يحمل الاسم والعنوان ، وأرقام التليفونات بثلاث لغات أخذ لنفسه منظرا ، واطمأن على وسامته ، وبروز عضلاته ؛ وبداتسكعه اليومى ؛ وراء شىء يملأ فراغ النهار ·

كل الأخبار الصادرة فى الصباح يقرأها أو يسمعها فى بروفات الليل أو الأمس أو قبل الأمس ، أو قبل الشهر أو قبل العام ·

قال له صديق من المحررين الشبان :

— نصيحة لتنتقل الى صفوفنا · انقل أخبار الغد من صفحة قديمة · المشكلة الوحيدة لو نسيت تغيير التاريخ ·

ثم لكزه فى جانبه المزدان بالمسدس ·

— اياك أن تكتبها فى تقاريرك السرية المرفوعة الى الأجهزة ·

البساطة التى أبداها رجل الأمن فى تلقى مناوشات محرر شاب ، فى مثل عمره وتعاسته ، كان يتمنى أن تكون طبيعية ، لولا أنه يعرف أن تقاريره عليها تقارير ، وعيونه فوقها عيون ·

ابتلع طين القهوة كاملا · وتقلد منصبه ، وشهر سيفه ، ودق طبول أهميته ، وأخذ خطوة الحجلة التى صدرت الأوامر لرجال الأمن أن يمشوها للتفرقة بين من يعمل ، ومن لا يعمل ؛ وليثيروا الفزع الواجب والهيبة الكافية ·

حجل كحنجل البحر ؛ فمنذ حاول أن يكون لا أصبح من طيور البحر ولا الجو ولا البر · ذهب الى المصعد الكهربى ينزل به الأدوار التسعة · فتى المصعد من طول ما عاشر الكتاب تأدب لسانه ، وفسد حاله · لا أحد من ركاب كبسولته الفضائية — كما يسمى مصعده — يستحق احترامه ، الا نفر قليل يعدهم على أصابع يده · يتمنى اصطيادهم فى الكبسولة ؛ ويستخدم الحركة البطيئة ليحبسهم ، ويحبس دماءهم ، ويثبت جهلهم الذى يتحول الى عبر ، وحكم منشورة ·

من طرف فمه قال لرجل الأمن بعبارة بليغة ، وهو يشير بطرف أصبع لم يخرج من جيبه :

— نأسف — المصعد لا يعمل — لانقطاع التيار ·

عبارة انقطاع التيار الكهربى ، وعطل المصعد؛ أعادت ذكريات يوم عصيب من أيام الاضطرابات قطعت الكهرباء عمدا لشل حركة الأدوار العليا ·

تنفس رجل الأمن عميقا لما تذكر أن الأيام الصعبة · راحت بعيدا ، وان كانت أركان الأمن استتبت من زمن ، وذكر أن أيامه أصبحت قهوة، وشايا ؛ ومللا ؛ جميلا ؛ ورغيفا محشوا بالحديد فى بقدونس الطعمية ؛ ومسدسا محشوا بأصابع زينب الرقيقة المنمنمة ، التى يملأ بها الحلوانى الزلبانى أطباق الورق المرصوصة جاهزة دائما فى الفترينة الزجاجية « بالنيون » على الطوار المواجه للمؤسسة والحركة بين الطوارين لا تنقطع ·

سكينة فؤاد

وهو عائد ، من ورديات الليل ، يأخذ دائما لها طبقا . يحبها وهى تمص أصابعها من العسل . ثم يأخذ منها الدور . تخلع له مسدسه وتصوبه عليه . تنتهى المعركة دائما بوقوعها صريعة لطلقاته .

أبعدها عن رأسه ويديه ، فالمسافة اليها مازالت طويلة ، والنهار فى أوله .. و .. بحث عن دورة المياه . كانت يدها مازالت تجذبه ، تفك مسدسه لما اصطدم بالمفاجأة ، وقفز فوق سطح البئر العميق الذى يقع فيه دائما معها لما يتذكرها .

أصغى للصوت القادم من وراء الباب المغلق .

أعاد الاصغاء .

لا مجال لوهم ، أو لبس ، أو شك . الحوار الهامس يسخن أحيانا ، فتفلت منه كلمة عالية .

الحوار يدور بين اثنين أو ثلاثة .

ما الذى يجمعهم وراء باب مغلق فى دورة مياه صغيرة نورها مقطوع وسقفها مصلوب على أعمدة خشبية لصد احتمالات الوقوع المتوقعة والأرض غارقة فى بحيرة مياه . وروائح العطن مختلطة بروائح البشر .

الهدف واضح للتستر ، والاختباء .

من زمن وهو لا يصدق أنهم سيهمدون ، ويسكتون .

تزاحمت ردود الفعل التى تستدعيها اللحظة .

المفاجأة .

المباغتة .

أطبق على المسدس واندفع وراء كتفه الأيمن تراجع قبل التلامس الأخير مع الباب .

خاف أن يجهز على الثمرة قبل أن تستوى وتكتمل وتكشف عن كل ما وراءها .

يجب استدعاء بقية قوة الأمن لمحاصرة الدورة . جرى الى تليفون الطوارىء ، المعلق فى الممر المواجه ــ سمح له موقع الجهاز بالتخاطب مع بقاء عينيه على الباب المراقب .

الشفرة المتبادلة جعلت السلم يمتلىء أقداما مهرولة فى طريقها الى مركز التجمع ، عند باب العملية الذى أخذ رقما سريا .

فى انتظار وصولهم ، عاد الى الباب ، وأدخل أذنه فيه مرة ثانية .

سكتت الأصوات . دق قلبه . أين ذهبوا ، والباب لم يفتح .

عاد حفيف ورق يتحرك ، يؤكد أن أشياء بالداخل تحدث .

عادت الأصوات واتصل الحوار . الهمهمات لا تفصح ، ولكن رؤوس كلمات غاضبة تفلت ثم ابتلاع واضح للكلمات . ثم الصمت .

تعاقبت الاقدام القادمة ، واكتملت حلقة رجال الأمن الثلاثة ، وبقى الرابع يرسل شفرة للمركز الرئيسى يطلب قوة تتحرك فى اتجاه المؤسسة .

لم تأت الكهرباء . ولكن فلاش بطارية استعد للانطلاق فى الوجوه التى ستطل من وراء الباب .

عاد الحوار من وراء الباب يتصل وينقطع . سخن وبرد . وجاءت أصوات مياه طبيعية وصناعية .

احكام المنظر الطبيعى لما يحدث وراء الباب كان كاملا ، كأنهم انتهوا من أداء الطبيعة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدقائق التى اســتغرقها الموقف طالت فى ساعات ، وثقلت بالحذر والتوجس • استعدوا لاصدار أمر بفتح الباب • فى اللحظة التى هموا فيها باطلاق الصيحة •• فتح الباب •

صوبوا الضوء والمسدسات فى الوجوه الخارجة من ظلام الدورة • الخارجون واحد •

باغتته المفاجأة ، وأسكتته ؛ وأوقفته ؛ ووقف يتلفت معهم على ما يحدث •

طلوا على القادمين بعده •

لا أحد •

دفع أحدهم الباب بحذر •

لا أحد •

أصدروا أمر الخروج •

لا أحد •

سألهم الساعى العجوز المندهش أكثر منهم عما أصابهم • !!

تطايرت أنباء ما يحدث فى دورة مياه الدور السابع الى كل أدوار المؤسسة •

تدافع العمال والمحررون الشبان وبقى الكبار ينتظرون مرالاتهم بتفاصيل الأحداث أولا بأول •

حدثهم ــ عم عبده ــ وهو أقدم سعاة المؤسسة، أنه بالفعل كان يتحدث مع آخرين ــ لا يستطيع أن ينكر ــ فالكذب خيبة ، وكل الخيبات مقبولة الا خيبة الكذب • أما عددهم ــ فأقسم بالله أنه لا يعرفه ــ لأنه لا توجد له شروط • أحيانا يكون واحدا • ومرات اثنين • وقد يكونون ثلاثة •

فتح اللفافة التى كانت تحت ذراعه ، وفردها على الأرض ، وجلس أمامها ؛ وحكى الحكاية من أول السلام على سيدنا رسول الله •

أكمل معه الجمع الصلاة والسلام عليه ــ فلعم عبده منزلة ومحبة خاصة • والكل : من راح من العاملين ، ومن يأتى ، يتغير ؛ وهو ثابت كأنه أنشىء مع المؤسسة ، وأصبح من أرضها ولحمها ، وعظمها ••

قال انه ذهب ليأتى بسندويتشــات الفــول والطعمية ، وأخذ ربع الجنيه من «الاستاذ» وجاء بغير المطلوب • رماهم فى وجهه • فهذا النوع ــ كما قال الأستاذ ــ من الأرغفة التى بحجم نصف الريال • بنصف الثمن الذى أعطاه •

ولما رجع للحاج صاحب المطعم ، وقال له ما قاله «الاستاذ» • ثار الحاج واعتبر بها ما يمس الذمة والضمير وهو رأسماله الذى كبر به القليل ــ وقال الحــاج انهــا بالثمن وأكثر منه • ولما عــاد « للأستاذ » ــ وكان قد جاع ، وبرد الشاى ، فبصف عليه وعلى شيبته ؛ فهو أما سارق واما خائب • عليه أن يختار واحدا من الاثنين ، فـلا ثالث لهما •

ولما عاد الى المطعم ليختار ، أخذ منه الحاج لفافة السندويتشات ورماها بعرض الطريق • فجمعها، ورجع بها ، لينظر فى أمرها •

ولما رجع كان قد تعب • وهو حين يتعب يدخل بيت الراحة ليرتاح حتى لا تستدعيه الأجراس •

وفى محل الراحة يأخذ لنفسه أكبر فسحة من الوقت ، ويجلس ؛ ويتنفس ؛ ويتمشى ويتكلم فهو يستحضر الحاضرين والغائبين ، ليشهدهم على حال الزمان •

وفرد اللفــافة وفرجهم عليهــا • وحكى لهــم حكايتها وضحكوا لأن رغيفهم كان قمرا فى التمام• وبكوا لان رغيفنا أصبح نصف ريال •

ولما شكا التعب ، وقلة الحيلة ، دعت له جدته بالستر •

ودعت له أمه بالعز الذى يتحدث به الحاضر والغائب ، فلما غضب ، وقال انه يقف على باب القبر • ذكرته بالصبر ؛ وعلقت فى صدره مفتاح الفرج •

كان عم عبده مازال يحكى عن ناسه الطيبين الذين يستحضرهم ، عندما تضيق فتنفك، وتتسع؛ ويبتــل الناشـــف ، ويلين الشــديد ، ويخضر الجاف •

و •• مد يديه تحت صديرته القديمة يبحث عن مفتاح الفرج • جاءت الكهرباء بالنور وجــاءت الحكاية بالضحكات والدعابة التى فعلها عم عبده ، بتغيير أعطى اليوم لونا جديدا ، وطعما مثيرا ، وطير الملل لساعات ! وفرد المكاتب حكايات •

لم يتوقف عم عبده عن الحديث عن ناسه الذين يأتون ، عندما تضيق •

ثم بدأ يتحدث معهم •

حاولوا أن يخرجوه • تشــبث ببيت الراحــة الأخيرة •

القاهرة : سكينة فؤاد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجهات الأربع

سحر توفيق

« للنهر جهات أربع »
« من الجنوب يأتى والى الشمال يمتد »
« وعلى بريه الشرقى والغربى يفيض »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجهة الغربية

النهر المقدس يأتى من باطن الأرض ، حاملا معه الخصب والنماء ، يعلو فيغمر به الوادى جميعا ، يغسل التربة السوداء ، ويعود فيهبط بأدران كل عام ، ليلقيها فى البحر الواسع ٠

تبتهل الأرض وتضحك اذ اغتسلت وبوركت ٠٠

ونحن نريد أن نعبر الى الضفة الأخــرى ٠٠

نركب المركب ونبحر ، نخوض الطريق الطويل بين عيدان القصب والذرة ، حتى نصل الى الهضبة الغربية ٠٠

وقبل أن نصعد ، نريح تحت نخيل عم على ٠

وهو ٠٠٠ بقامته السوداء الممتدة ، يلقى فــوق رؤوسنا بالظلال ٠

نفترش أرضه ، ونلتحف حكاياه ٠

قال عم على :

ـ حبيبتى الوحيــدة رحلت عنى منــذ زمن طويل ٠ كنت ألقاها فى الليالى المظلمة عنـد الطاحونة القديمة ، كنت أحكى لهــا عن الحب وأقبلها وتقبلنى ، وكنا نحكى الحكايا الحلوة سويا ، وننسج من أحلامنا نورا يضىء لنا طريق العودة ، فى الظلام والسكون ٠ لكن حبيبتى رحلت عنى فى ذات فجر ، لقيتها عند الفجر وكنت أعرف أنها راحلة ٠ وحينذاك حكت لى حبيبتى الوحيدة الحكاية كاملة ٠

حبيبتى الوحيدة قالت :

ـ سأحكى لك ما يحدث تماما ٠

أنام فى الليل وأحلم كثيرا جـدا ، أقوم فى الصباح ، وأذكر كل ما حلمت به أو بعضه ، أو ، أحيانا ، لا أذكر شيئا ، وأظل أعتصر رأسى حتى أتذكر ٠

وعند ذلك ، تفاجىء رأسى الحكاية بكاملها ، فاعرف ما حدث ، وما يحدث وربما ، أحيانا ، ما سوف يحدث ٠

ومن هنا أنطلق ، أتحدث مع الناس ، وأعمل أى شىء ، لأننى أعرف ٠

من هنا عرفت أن ذلك سوف يحدث ٠

حقا ٠ ان كل الأمور كانت تشير اليه ، وكانت الفتاة السمراء النحيلة قد قالت لى ما يشبه ذلك ، وكل الأحداث كانت تسير فى نفس الاتجاه ، لكننى حلمت به ٠

حلمت فجأة ، فجأة وأنا نائمة بالليل ، ولم يكن هناك أى أحد على الاطلاق ٠

حلمت بأننا نسير فى الطريق ، والازدحام كان شديدا ، كنا نجرى ونصيح ونندفع الى الجسر ٠

وكانت الأصــوات تأتى من مذياعات كثيرة ، مع الناس ، وفى السيارات ، والحافلات ، تصيح بأن على الجميع أن يتوجه الى الجسر ٠

وفعلا ، كان كل شىء يتدافع الى الجسر ٠

و ٠٠٠

أتذكر حكاية دودة القز ؟

كان كل دود القز يتدافع فوق بعضه ، ويريد أن يصل الى أعلى مكان ، ليعرف ما يكون هناك ، ولكن الحقيقة أنه لم يكن هناك أى شىء ، سوى أن الذى يصل لنهاية كومة الدود والحجارة ، كان يقع من الناحية الأخرى ٠

وهذا ما كان ٠

آخر الجسر كان يسقط فى الماء ٠

ولم يكن هناك أية فرصة للعودة ، ولا لأخبار الآخرين ، لذلك ترددت قليلا ونظرت حولى ٠

وهناك كان صوت آلة يصيح : ألقى بنفسك ، انه النيل حقا ٠

وعندما صحوت ، كان الضوء يأتى من ثقوب النافذة ضـعيفا كليلا ٠ ولكننى نظرت حـولى ، تذكرت ما حدث بكامله ، وعرفت كل شىء ، قضى الأمر ، وما عاد عندى ما أفعله ٠

وفى الصباح قلت لأبى : ان اللعنة سوف تحل نظر الى طويلا ، ولم يجب ٠

وأخبرتنى أمى ، أننى اذا كنت رأيت فى الليل قطا أسود ، فانــه ــ هى تعرف ــ يحمل روحا شريرة ٠

وقلت لها : نعم ، لكن ذلك لم يحدث ٠

وأخيرا قال أبى : يا ابنتى ، الأمر ما عاد كمافى الماضى ، لقد سد المجرى منذ زمن ، وهكذا فقد انتهى الأمر ٠

وعندما ذهبت الى النهر فى ذلك الصباح ، نزلت من الحافة العالية حتى سطح الماء ، وتركت ساقى

فى المياه ، وبعد قليل من الوقت سمعت النهر يهمس لى بسر عظيم ، قال : اذهبى وتخضبى ، فغدا تتزوجين ٠

بكيت بشدة ، وعدت الى البيت ، خضبت يدى وقدمى ، ولم أقل شيئا لأحد ٠

لكن أمى أتت ، ونظرت الى وقالت ٠ يا بنيتى ، لا تذهبى ٠

قلت وعيناى لا ترتفعان عن قدمى ، ورأسى منكس : لكن الأرض ما عادت تأتى بخير كثير ٠

فأجابتنى ، لكنها تظل هى الارض ٠

وقالت لى أمى : لا تخافى يا ابنتى ، عندما كنا صغارا ، صغارا جدا ، أتى قريتنا رجل عجوز فى ذات صباح ، وقف هناك عند رأس الطريق المؤدى الى دروب البلدة ؛ والآتى من المزارع ، يحمل قربة ماء ؛ هناك وقف يسقى الناس ٠ هذه القربة لم يفرغ منها الماء أبدا ، ظل يسقى الذاهب والآتى ، وتجمع حوله أهل القرية جميعا ، وجعلوا يشربون من قربته ، وينظرون اليه واليها ، يراقبونها لكن الماء لم يفرغ منها أبدا ، جعلت النساء يحضرن أطفالهن جميعا حتى الرضع ، ليسقونهم من ماء هذه القربة المباركة ، حتى أظلمت الدنيا ، وبدأ الناس ينفضون ، كل منهم يدعوه للمبيت عنده وهو يأبى ، ورحل فى الظلام ، لأنه — كما قال — يجب أن يشرب منها المصريون جميعا ، قبل أن يموت بعد عام ونصف العام ، فلم يعد له ما يكفى من الوقت ٠

وسألتها : وهل شرب منها المصريون جميعا ؟

شردت لحظة وقالت : أظن ذلك ، لقد كان يعرف ماذا لديه ، وكم من الوقت عنده ، وكان لديه ما يكفى ، وكان فى عينيه من العناد ما يكفى لكى يقاوم كل أشباح الموت ، حتى يؤدى مهمته ٠

ثم نظرت الى طويلا ، وأخيرا قالت : أنا شربت منها ٠

قلت : وهل شرب منها أبى ؟

قالت : نعم ، كنت طفلة صغيرة ، وكان أبوك فتى يافعا ؛ يحكى لى أبوك أنه شرب منها ، وانه رآنى وأمى تمسكنى فى يدها آتية بى لتسقينى ، انه يذكرنى ، ولكننى لا أذكره فى ذلك الوقت ، أذكر فقط ذلك العجوز بلحيته البيضاء وعينيه المحاطتين بتجاعيد كثيرة ، والقربة الجلدية يصب منها الماء فى وعاء من الفخار ، وأناس كثيرون حوله ؛ وبعيدا عنه ، ينظرون اليه ٠

قلت : حسنا ، لكنى لم أشرب ٠

قالت : ماذا يهم ؟ فى ذلك الوقت كان المصريون بحاجة الى مثل ذلك ، أما اليوم فلا ينفعهم الا ماء النيل ٠

قلت : نعم ، لكنه أصبح قليل الماء ، لم يعد يفيض ٠

جلست على الأرض ، ساقاى ممدودتان ، ويداى قابضتان على الحناء ، وحكيت لها ما قال لى الفتى الأسمر فى المساء عند الطاحونة القديمة ، وحكيت لها أيضا ما حدث بيننا من أشياء صغيرة ٠

قلت لأمى : سأحكى لك يا أمى ما يحدث لى ، اننى أنام بالليل فأحلم ، وحينذاك أعرف كل شىء ، ما حدث ، وما يحدث ، وأحيانا أيضا ، ما سوف يحدث ٠

وبالأمس ، حلمت بالنهر يدعونى اليه ؛ ولذلك يا أمى أتخضب اليوم ، وأريدك أن تنتهى من تطريز ثوب زفافى اليوم ، وارسمى يا أمى على صدر الثوب شمسا كبيرة ، تتناثر اشعاعاتها فى كل مكان من جسدى ، عندما ارتديه ، وطرزيه يا أمى بكل الألوان الضاحكة ٠

أخذتنى أمى فى صدرها وراحت تهدهدنى ، وتحكى لى حكاية الأمير الذى عبر البحور السبعة من أجل حبيبته ، الحبيسة فى البرج الذى يرتفع سبعة طوابق ، ولا تحوطه أبواب ولا نوافذ ، الا باب واحد يحرسه سبعة مردة من الجان ، وعلى باب كل طابق من طوابق البرج السبعة ، يقف سبعة مردة آخرون أكثر شراسة وقوة ٠

نمت قبل أن أسمع الحكاية الى نهايتها ، ولكنى كنت أحلم بها فى الليل ، فأعرف كل شىء عنها ، ورأيت الأمير عندما قتل المردة السبع الأوائل ، فعرفت أنه سينتهى من الآخرين جميعا ٠

وعندما شق الخيط الأبيض السماء ، جلست فى فراشى ، ووجدت أمى ساهرة تطرز الثوب على ضوء شمعة كليلة ٠

نظرت الى أمى ، ووضعت الثوب أمامى وقالت لى : لقد انتهيت يا بنيتى ، ولكنى أريد أن أقول

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

لك كلمة واحدة ، أنا شربت من القربة المباركة وأنت تذهبين الى النيل ليشرب المصريون جميعا .

قلت : أعرف يا أمي .

قالت : تستطيعين ألا تذهبي .

قلت : بل سأذهب .

بكت وقالت : فليباركك الله .

ارتديت الثوب وخرجت ، كان أبي بانتظاري ، قال لي : يا بنيتي تستطيعين ألا تذهبي .

قلت : بل سأذهب يا أبي .

بكي وقال : اذن اذهبي ، وليباركك الله .

وها أنا أقف بجوار الطاحونة الآن ، أحكي لك ما حدث بكامله ، وبيني وبين النيل عشرون ذراعا لا تزيد ، والآن سأذهب ، ألم أقل لك انني أنام فأحلم ، فاعرف كل شيء .

أذهب الآن اليه ، ليحملني الى البر الغربي ، ثم يعيدني في الحياة الجديدة ، ليحتضنني ، ويحنو علي ، ويسكنني بجواره على شاطئه الأسود ، أدلي قدمي اليه كل يوم وأنزل اليه ، فلما أنزل الى أعماقه يحولني الى سمكة صغيرة تسبح فيه ، لتقبل كل ما فيها ، ثم يعيدني الى الكوخ الصغير حيث أنام ، ورائحته تدغدغني ، وصوته الهادىء يدهدهني ، والاطمئنان يغمض لي عيني برقة وهدوء .

ها أنا ذي أمامه ، عروس صغيرة جميلة ؛ أذهب اليه بكل الشوق حقا ، لعله يعود فيخصب الأرض كما كان .

أريد أن أقول لك كلمة واحدة وأخيرة : اذا أردت أنت أيضا أن تعرف اذن ، نم ، وأحلم .

وقال عم علي : وهكذا ، نمت ؛ وحلمت .

ورأيت سكان الضفة يخرجون جميعا قبل الشروق في صمت ، يتبادلون النظرات ، وكانما كانوا على موعد ، خرجت العروس من بيت أبيها ترتدي ثوبا أسود مطرزا بشمس ذهبية أضاءت الفجر ؛ بخيوط من الأشعة المضيئة بكل ألوان الطيف .

سكان الضفة ساروا خلف العروس ، عند باب كل بيت يقفون ، وينادون الأطفال بأسمائهم ، الرجال والنساء بأسماء أطفالهم ، ويغنون أغنية . يأتي الأطفال ضاحكين ، وأقف وحدي بعيدا أبكي ، عند باب كل بيت تخرج النساء بثياب زاهية جميلة . مرتديات حليهن جميعا ، فلما تعاود المسير يزيد صوت صليل الحلي ، فلما انتهوا من بيوت الضفة جميعا اتخذوا طريقهم بين المزارع المخضرة بلون باهت ، موكب بكل الألوان يتقدمه ثوب مطرز بالشمس الذهبية ، والأشجار تميل ، وتسأل ، ويجيبها الغناء والبكاء ، عند كل شجرة يقفون ، ويحكون ؛ وتجاوبهم همسات الأوراق الحزينة ، حتى اقتربت من عريسها ، ورفعت يديها المخضوبتين بلون قان ، حينذاك التفت الجميع عائدين .

وعندما التفتنا ، رأينا الأشعة الحمراء تمتد من آخر الأرض ، وتعبر السماء فوق رؤوسنا ، وبدأت أطراف القرص الأحمر الكبير تظهر ، ونحن في طريق العودة ، نحمل أعواد القمح الجافة ، وعندما ظهر القرص بكامله رأيتها تجلس في عين الشمس ملكة متوجة .

الجهة الجنوبية

أردت ان اكتب باللون الأخضر أحرف السموات والأرض .

ولم يكن هذا كافيا .

وبحثت عن السر الدفين في كل الأماكن الممتدة والمحدودة .

ولم يكن هذا كافيا .

وسردت بين الأسطر الضيقة والمسطوحة حكايات الأطفال والكبار ، حكايات النساء والرجال ، حكايات الشمس والروابي ، حكايات النهر الوحيد المستمر حتى آخر الأرض .

وكان لا بد أن أذهب الى آخر الأرض حتى أحلى حكاية الرجال الذين رسموا الشمس والحدائق والآدميين .

وهناك كان النهر بلا أسوار ، لذلك كان واسعا وبلا نهاية ، يجري بلا حزن ؛ ويلمس الضفتين البريتين بكل الحب والرقة ، يحمل الطين الى الشمال ، ويلقيه على الأرض الجوعى ؛ وبكل الشجاعة يلقى بنفسه في البحر الكبير .

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

وعبرنا الى البر الغربى •
وهناك جلسنا تحت نخيل عم على •
نفترش أرضه ، ونلتحف حكاياه •
قال عم على :

وعرفت نساء كثيرات ، ورحلت مع نساء الى أراض أخرى ، لكنى كنت دائما أعود ، ما أحببت بعد ذلك سوى الطين •

قالت امرأة ما ذات يوم وهى تحكى لى :

عندما أحببتك فى اليوم الأول ، أردت أن آتى معك الى آخر الأرض ، وأريتك الأرض التى أحبها، وهناك بنينا بيتنا ؛ وزرعنا القمح على شاطىء النهر ، وعندما كان النهر يفيض كنا نصعد الى الجبل ، حتى تغتسل الأرض ، ويأتى القمح فى العام التالى بأعواد طويلة ، وسنابل فى لون الشمس الصيفية •

وفى الصباح ، كنت تخرج الى النهر الذى يمر بجوار بيتنا ، تقف عند الجسر وتشهد الخيل والجاموس فى طريقها لتستحم ، وتظل تتأملها طويلا ، وهى تسبح ، ومعها الرجال يغسلونها ويداعبونها •

وعندما تعود ، حاملا بعض الأعواد الخضراء من شاطىء النهر ، كان وجهك يتبدى لى حاملا آثار الشروق ، ومنبسطا كوجه الماء السارى فى النهر الذى يمر بجوار بيتنا •

حتى كان ذلك اليوم •

أتيت متأخرا للمرة الأولى ، وعندما نظرت اليك رأيتك قد تغيرت ، وعندما التقت عيناك بعينى ، حاولت أن تقول لى كل شىء ، ولكنك لم تستطع ؛ وظننت أننى أسألك ، لكنى لم أفعل ، تركتك ، وغادرت المكان ، ذهبت الى المقهى الذى لا تعرفه ، وجلست فى صمت أرقب اللاعبين ، مرت الساعات الطوال ، وأنا أعدها ، وعندما عدت كنت أنت تنتظر ، ولم أعرف أبدا ، لماذا كنت تنتظر •

يومها قلت لى : أحبك وحدك وأنت امرأتى ، وليس هناك من امرأة أخرى لدى ، أحبك وأعرفك أكثر مما تعرفين نفسك ، أعرفك وأنا معك ، وأنا لست معك ، أحبك وأنا أفعل كل الأشياء . أحبك ، وأنا أمشى ، وأنا أعمل ، وأنا أنام ، وأنت كل شىء لى ، أعرف ما يحتويه رأسك ، وأنا أراك ، وأنا لا أراك ؛ أعرف فيم تفكرين ، وأعرف ما تحبين وما تشتهين ، أعرفك •

وأما هى ، هى ككل النساء ، ليس لها منى أى شىء ، وأنا لست لها ، وأنا لك وحدك •

« هو ليس لها ، هو لى وحدى ، هو ليس لها ؛ قال ــ هو ــ ذلك لى ، أعرفه أكثر من كل الأشياء ويعرفنى ، وهى له ككل النساء ، ليس لها منه أى شىء ، لأنه هو لى وحدى ، يحبنى ويعرفنى • »

كان ذلك ما قلت ، ولكنه كان كافيا ، دفنت أحزانى فى داخلى ، وسادنى الصمت دائما ، كل يوم تزيد ساعات غيابك حتى أصبحت دائما تأتى متأخرا ، وأنا أجلس وحدى أروى الزروع القليلة وأرعاها ، وأعد لك الطعام ، وأسأل نفسى ؛ نفسى فقط ؛ ولا أسأل أحدا آخر ، ولا أجيب ، حتى أصبحت ، وقد نسيت الكلمات كيف تقال •

حتى كانت ذات ليلة ؛ وفى البلدة عيد ، وفى بيتنا آخرون كثيرون ، يرقصون ، ويضحكون ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أتيت متأخرا كعادتك ، لكن لأول مرة ، على غير عادتك تحدثت برقة ، واعتذرت عن ذلك والأغرب من ذلك أنك كنت مرحا ، لأول مره أراك ترقص ، لكنك رقصت كما لم يرقص احد من قبل ، الزينات بدت غريبة فى عينى ، والأضواء ، والناس ، وفى النهاية كنت لا أفهم ، وجدتنى لا أفهم ، أنظر اليك ، وصوت الطبل يهز رأسى هزا ، حينذاك دفعت الصوت بعيدا ، بكل ما بى من شدة وقوة ، ونظرت اليك ، لكنك لم تنظر الى ، وحينئذ عرفت .

كنت أفهم تماما ما الذى تعنيه عيناك عندما تنظر ، لذلك كنت أفهم عندما نظرت اليها ، وبعد ذلك ، وجدتك تنظر اليها فى كل الأيام ، وفى كل المرات التى كانت تغيب فيها ، كنت تذهب فى الطريق لتلقاها مصادفة ، تنتظرها عند الجسر ، وعندما تمر عليك تصيبك الدهشة ، كأنك تراها للمرة الأولى .

فى ذلك اليوم لا تعود الى ، بل ترحل معها الى حيث تشاءان ، كأنما أنتما حبيبان يلتقيان للمرة الأولى .

عندما خرجت مع أول رجل أحببته لأول مرة ، ذهبنا الى حديقة كبيرة ، وظللنا نجرى ، ونلقى بجسدينا على الأرض الناعمة ، ونتدحرج .

وعندما انتهى اليوم ، فوجئنا به وقد انتهى ، وعندما أفقنا ، تذكرنا أيضا أننا نسينا أن نأكل ، وأن ندخن ، طوال اليوم .

والآن أتخيلكما كل يوم ، فى نفس ذلك الموقف ، مع الفارق الوحيد ، وهو أننى اليوم لا أحس بالسعادة .

اليوم لم يعد كالأمس ، فقد تغيرت الأشياء .

البناء الكبير مقام فوق الربوة المرتفعة ، رأسه فى السماء وجذوره فى الأرض ، ... وأطرافه تمتد لمسافات بعيدة ، تحت قدميه تربض السفن ، والبحار ، والأرض ، والحجارة ، أراه فى الصباح والمساء ، وأمد اليه يدى ولا يرانى ، أصعد اليه ويبتعد عنى ، أعانقه ولا يحتوينى ؛ أجلس عند أحجاره السفلى ، وأصمت .

أنظر اليها ودعها تنظر اليك ، أطل النظر فماذا يعنينى ؟ .. لو كنت قد وعدتها فماذا يهم ؟ لو كنت أرسلت اليها ، أو تنتظرها ، أو تنتظرك ، أو آتية . لو كنت قد ذهبت ولم تعد لمرات كثيرة ، وفى كل مرة يطول الوقت حتى أصبح أطول من ان أنتظرك ، فذهبت أنا أيضا .

ركبت السفينة ، وتحليت ، وتزينت ، ونزلت الى ظهر المركب . وحيدة كنت ، وكل الناس كانوا سويا ، أما ذلك الرجل الجالس وسط رفقائه ، فقد كان ينظر الى ؛ كنت أعرف كيف أتحدث اليه ، وكان هو يعرف . تحدثنا وتغير كل شيء . اذ ذاك ، رأيت البحر ؛ والسماء ؛ ورأيت السفينة ، رأيت الناس والدفء والسكون ، رأيته ؛ مرة واحدة فى حياتى رأيته ، مرة واحدة امتدت لأيام لا أعرف عددها ، وأعرف فقط انى رأيته ، أجلسنى بجواره وعانقنى ، أحاط كتفى وصدرى ، وأحاط كل ما بى ، نظر لى فقط مرة واحدة ونظرت اليه ، ورأيته .

جلسنا على ظهر السفينة وكنا سويا ، سقانى بيديه وعانقنى ، أطعمنى التمر حلوه ومره ؛ أحاطنى بالدفء ، وفى النهاية ، كانت السفينة تحط على الشط .

نزلنا من السفينة وكنا سويا ، ذهبنا الى هناك ، جلسنا عند أحجاره السفلى ، وهناك تحققت الرؤيا .

لا شيء فى العالم مثل ذلك ، يبتسم لى ، وأبتسم له ، ونبتسم لكل الأشياء ؛ لكن الشمس كانت مشعة جدا ، أضاء شعاعها جدراننا خفية ما كان لنا أن نراها ، وحين رأينا ، نظر كل منا الى الآخر ؛ وتبادلنا الأسرار الحزينة ، حينذاك عانقنى ، وعانقته ، وبكينا .

هكذا تغيرت الأشياء ..

وهكذا ألفت رجلا آخر ، رغم أننى عرفت أنه فى ذات يوم سيرحل عنى ، قبل أن تشرق الشمس .

وهكذا تعذبت كثيرا ، لكننى عرفت أيضا أنه اذ يرحل ، تعود أنت الى ، ولكنى ما عدت أريدك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن تأتى ، يجلس بجوارى فى الخلاء ، ويلفنى بالدفء ، ويحكى لى ألف حكاية ٠

ولم تكن الحكايات قد انتهت عندما كان راحلا ، وكيف تنتهى الحكايات ؟ لكنه رحل ؛ وقبل ان يذهب بلا عودة ذهبنا سويا الى الهرم ، وجلسنا عند قدميه ، واستلقينا ننظر الى السماء القاتمة فى الليل ، والنجوم القليلة تتحرك ببطء شديد٠ عدت الى بيتى وحيدة ٠٠ كما خرجت وحيدة عدت وحيدة ، أضأت الأنوار كلها ، ولكنى لم أشعر بالدفء جلست أقلب فى أشيائى وأشيائك الباقية عندى ، ونمت وكل شيء حولى ، ورأيت فى نومى دثارى يطير بعيدا ، فلما بحثت عنه لم أجده ، ظللت أبحث عنه ، وأسأل الناس فى الطرقات والحوانيت البعيدة ؛ وأخيرا وجدته لكنه كان متسخا ومهترئا ٠ بكيت كثيرا ولم أعرف ماذا أفعل به ، خفت من عيون الناس وهى تنظر اليه، عدت وأخفيته لئلا يراه أحد ٠ وعندما فتحت عينى كانت الشمس فى وسط السماء ، وكنت انت هناك ، أخيرا تأتى الى ، ولكن اليوم لم يعد كالأمس ، فقد تغيرت الأشياء ٠

اليوم لم يعد كالأمس ، فقد تغيرت الأشياء ٠

النهر ما عاد يفيض كما اعتاد كل عام ، انتظرت الأرض ، لكنه ما عاد يأتى ٠

اجترت أحزانها فى صمت ، حتى تراكمت عاما بعد عام ، وما عادت تجرؤ على الضحك ، ولا عادت تنبت الزروع المباركة ٠

مرضت بأزرع ذابلة ضعيفة ٠

اليوم ما عاد كالأمس ، فقد تغيرت الأشياء ٠

أخيرا تأتى الى ، أخيرا تنتظر ، وتأتى الى ، ولكنى أراك اليوم أبعد من أطراف الجدران الكبيرة الممتدة ، أسألك الآن فلا تجيب ، أعرف الآن ما حدث تماما ؛ ذلك الحلم الغريب بالعودة ، وعندما وجدت الأشياء التى أضعتها كانت متسخة ومهترئة ، أخفيتها فى دولابى تحت أكوام الثياب والمفارش ، واليوم تأتى الى ٠ ما الذى عندى لأعطيه لك ؟ لدى بعض الطعام ، ومأوى اذا أردت ، لا تجب ، فقط ، انظر الى ، كتبك الملقاة فى كل مكان ، لا أعرف ماذا أفعل بهما ، والأشـــياء المتسخة المهترئة دفنتها تحت الجدار ٠٠

الجهة الشـــمالية

فى الحلم رأيت حبيبى ، جناحاه يحملانه نحو الشمال ، أدعوه لكنه لا يجيب أدعوه ولا يأتى ٠

فى الحلم رأيت السماء تضىء بالف لون ، الف لون يطفىء الظلام ٠

والشـــجر فى الحلم ينمو ويخضر ، وتعلوه الزهور ، لكن آخر الجســد يسقط فى الميـاه ، وجموع الناس والسيارات تأتى من الجانب الآخر، النسوة المتشحات بالسواد وكل الجمــوع ، وبلا توقف ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نلقى بأعمارنا فى أحضان النهر المقدس .

قال عم علي :

كل واحد فيهم يذهب معها هناك ، وليس هناك من لا يذهب ، وحده أو مع غيره ، أنا أيضا مثلهم ، أذهب كما يذهبون ، أفعل كما يفعلون ، لكن فى الحقيقة ، أنا لا أدرى ماذا يفعلون ، لا شيء كما يبدو ، لا شيء .

مفيدة ، امرأة الشـاعر ، كل ما فيـها هو لامرأة ، حتى ضـحكتها المتسعة بطول مفيـدة وعرضـها ، ضـحكة هى لامرأة ، حتى كلماتها اللاذعة والرقيقة ، وخطواتها القوية ، ولسانها بين شفتيها ، وثوبها القديم والجديد ، وحزنها ، وغضبها ، كل شيء فيها ، هو لامرأة .

وشاعر مفيدة رجل ، عنيف ومنافق ، متمرد وكذاب ، رقيق وغامض ، فارس وقاس ، شـهم وثائر ، نذل وشجاع ؛ وكل شيء فى شاعر مفيدة انما هو لرجل .

قال عم علي : مفيدة قالت :

أكانت حكاية طويلة ، طالت أكثر مما يجب .

ولكن ، دعنى أحكى لك ما أستطيع ، ربمـا أستطيع أن أصدق ، ربما ، وفى الحقيقة ، الصدق الوحيد هو أننى لا أعرف .

أمرأة الشاعر أنا ، بين ثديى يبيت ، لكنه ؛ فقط ، يبيت ، فبالله عليك ماذا أفعل ؟ ..

ومن هو الساذج ؟ أنت ان صدقتنى ؟ أم أنا ؟ ، ان استطعت أن أجعلك تصدقنى !

الأطفال ، نعم ، هم كما قلت لك ، الصـدق الوحيد .

كنت طفلة صغيرة ، عيناى لا تفهمان ، شعرى مبعثر وأبى قد مات ، أبى تزوج امرأتين ، لذلك كان لى كثير من الاخوة ، اخوتى كلهم رجال ، وأنا الوحيدة امرأة ، لذلك دللتنى أمى ، كانت تحتضننى بالليل ، وتنظر فى بالنهار ، تصفف لى شعرى ؛ وتلبسنى ثوبا جميلا . صدرى نبت مبكرا ، وكبر بسرعة ، أسير فى الطريق ، كل الرجال ينظرون الى ، واخـوتى يضربـوننى ، وزميلاتى يضاحكننى ، ويحكين لى عن الجنس .

أما ذلك الرجل الغريب ، فقد رأيته فى بيت جيراننا ولا أعرف ما الذى جعلنى أتزوجه ، ربما لأن أمى قد ماتت ، وربما لو كنت أحببته ، لكنت ذهبت معه الى آخر العالم ، لكنى لم أحبه ، فقط أحببت أولادى ، ولم يحبونى بقدر ما أحببتهم ، فبعد قليل من الوقت ، تركونى وذهبوا .

عندما ذهب زوجى الى آخر العـالم قال لى : تعالى معى .

حينذاك قلت : لا أدرى .

لكننى ذهبت ، هناك السماء غريبة ، والأرض ، والبيوت ، والناس ، ولكنى ذهبت ؛ الشـمس هناك ليست شمسنا ؛ ولا النباتات والأشجار ، ولكنى ذهبت .

الأشياء والآدميون ينظرون الى ، وأنا أحس بأنى بعيدة ، أعمل ، وآكل ؛ وأشرب وأخرج فى عرض الطرقات ، الأسفلت بلا رائحة ، والسـيارات تروح وتجىء بلا حب ، أذهب الى عملى ، وأترك أولادى فى الشارع ، أولادى زهرات صغيرة ، دافئة ، وتحمل كل الضوء ، أتركهم فى الشارع ، وأذهب الى عملى ، الأشياء والآدميون ينظرون الى أولادى ، وأولادى ينظرون الى ، نظراتهم فقدت معانيها ، يشيرون الى السماء ، والأرض ، والبيوت ، وكل الأشياء ، لكنها كانت غريبة ، ولذلك ، كان لابد من أن أعود .

هنا ، تحت الشمس أضـعهم ، ألفهم فى صدرى ، وأكبرهم ، يتدفؤون وينمون فى التراب ، يترعرعون كالنباتات الأليفة ، وأنا أبتسم ، وأنظر اليهم ، وأريهم الخضرة ، والنهر المتسع ، والناس ، يمتد الدفء من حولهم ، ويهدهدنى ، لكنهم ليسوا منى ، قالوا لى هذا ، وذهبوا .

ما أسوأ أن أكون منهم ، وهم ليسوا منى .

هذه هى عذاباتى ، اذن قل لى من هو الساذج ؟ لا تقل ، فلم أنته بعد ، كيف تزوجته ، رجل لا يعرفنى ، ويتركنى النهار والليل ؛ وفى آخره يأتى ، ويريد أن يمارس معى الجنس ، ولكنى لا أستطيع .

لا أستطيع أن أمارس الجنس معه ، وهو سكران .

ولا أستطيع أن أمارس الجنس ، وأنا غضبى ، ولا وأنا متوترة ، ولا وأنا لا أحبه ، ولا وأنا أعرف أنه لا يريدنى لأننى أنا ، النساء يملأن الأماكن كلها ، ولكن أنا ، لا .

وأمارس الجنس معه ، وأنا لا أفهم .

ولكنه رحل ، وأولادى تركونى وذهبوا ، فهل الساذج هو أنا ؟ لا تقل ، لقد انتهيت الآن ، ولكنى لم أنته بعد .

قال عم على : شاعر مفيدة قال :

مفيدة ليست امرأتى ، ولا أنا رجل لها ، وليست امرأة لأحد غيرى ، كانت امرأة ذلك الرجل ، كانت ، وأما أنا فشاعر ، لم تنجب الأرض شاعرا مثلى ، ولا السماء ، قرأت كل الأشياء ، وفهمتها جميعا ، وفى يوم ما ،سأتزوج ، ولكن ليست مفيدة ، سأتزوج امرأة أخرى ، سأتزوج عذراء صغيرة ، عذراء صغيرة ، وعندما يحدث ذلك ستعلم ، وسيعلم كل الآخرين .

قال عم على : قالت مفيدة :

امرأة الشاعر أنا ، لكنه لا يشتهينى ، أشتهيه ولا يشتهينى ؛ جربت كل الطرق ؛ صنعت له الأحجبة من كل الأنواع ، ارتديت له أحلى الثياب ، جربت معه كل فنون النساء ، لكنه لا يشتهينى .

اخوتى كانوا يضربوننى ، وزوجى كان يضربنى وأولادى لم يضربونى ، لذلك تركونى وذهبوا ، وهو لا يشتهينى .

أنجبت من الأبناء ثلاثة رجال ، أحببتهم كما لم تحب أم أبناءها احتويتهم وربيتهم ، أعطيتهم كل ما عندى ، تحولت من أجلهم الى رجل ، وامرأة ، وأم ، وكل ما يريدون .

وعندما بلغ أكبرهم السادسة عشرة ، قال لى اننى لست بأم .

وقال لى : أنت تغنين من أجل لا شىء ، أنت مصرية ، وأنا لست بمصرى .

وعندما رحل ، صرخت حتى اهتز كل جسدى ، وارتجت جدران رأسى ولم يسمع صراخى أحد .

ولم يبق لى الا اثنان .

لكنه أتى .

وصادق من ؟ صادق ابنى الثانى .

ابنى الأول مضى ، وابنى الثانى صادقه هو .

ويا للعجب حين يصبح بيتنا بيته ، وابنى صديقه ، وأول من يعرفه النساء ، هو .

نزل معه الى كل الأماكن التى لم يرها أبدا عرف مصر كما لم يعرفها أبدا ؛ وجن ، جن ولم يفهم ، جن لأنه لم يفهم ، ولهذا لم يبق .

يعود الى معه فى آخر الليل ، سكران ، أو مسطولا ، وهو يضحك .

ينام ابنى ويبقى هو ، يحدثنى عن كل الأشياء وأحدثه ؛ واشكو له ، وأخيرا نتحدث عن الحب ، لكنه يحدثنى كأحسن ما يكون الحديث ، فقط ، ولما قلت له أننى أحتاج اليه أجابنى : أنت لست فى حاجة الى أحد ، أيا كان هذا الأحد ؛ وأيا كان السبب .

لم يفهم ، لم يستطع أن يفهم ، رغم أنه رجل

حتى رحل ابنى الثانى ، وكان هو معى ، ولا يفهم .

ينام صغيرى وينام هو ، وأنا وحدى ، وفى الليل ، فى الظلام ، أستيقظ فزعة من الأحلام الحزينة ، ولا أرى شيئا حولى ، أقوم أسير فى البيت بين الحجرات ، وأنظر الى باب الحجرة التى ينام فيها ، والتى كانت لابنى ، ومرات افتح الباب ببطء ، وأنظر اليه ، نائم بلا صوت ، وفى الليلة فزعت فيها حتى صرخت جاء مسرعا أضاء الحجرة ، ونظر الى ، وربت كتفى ؛ وراح يطمئننى؛ بكيت ، ولأول مرة أخذنى فى صدره ، وربت على ظهرى حتى نمت ، ونام هو ، وفى الصباح فتحت عينى على الصغير يوقظنى ، وينظر الى وهو نائم بجوارى ، قمت وأعددت افطا ونظـرت فى مرآتى ؛ فـ حمراوين .

وبعدها ، كان ينام الى جوارى ، نتحادث طويلا قبل النوم ، ثم ينام ، وأنا أظل أنظر الى سقف الغرفة وقتا طويلا ، فلا أرى شيئا .

ومرات أدلف الى فراشى ، ويجلس هو على الأريكة فى الركن البعيد ، بين يديه كتاب لساعات طويلة من الليل ، أتقلب على جنبى ، حتى أصبحت أدعوه كثيرا فيجيبنى بصوت شارد ، وعندما يأتى الى النوم أداعبه طويلا ، وما جنيت سوى نظرات مختلسة الينا من ابنى الوحيد .

حتى رأيته يأخذ ابنى معه خارجا مرات عديدة ، يذهبان سويا ، ويعودان سويا ، وحين أسأله يقول لى : لا تخافى ، انه ابنى أيضا ، وصديقى .

وحين أسأل ابنى ينظر الى بدهشة ، حتى جاء يوم قال لى : وماذا تريدين ؟

سكت وقال : أحاول أن أرى الأشـــياء كما ترونها ، وهو يحاول أن يكون صـــديقا لى حسنا ، فليدع لى الوقت كى أعرف ، حتى الآن لا أستطيع أن أفهم ، أمصرى أنا ؟

فلما اجتمعنا ذات مرة على مائدة العشاء ، كنت أرى نظرات ابنى اليه ، وأنا أقدم له الطعام ؛ وأحسست به وهو يتلقاها بشعور غريب .

فلما كنا سويا عدت أسأله فقال لى : أتعرفين ماذا طلب منى اليوم ؟

قلت : ماذا ؟

قال : قال لى انه يريد أن يمارس الجنس

وصرخت فى خوف : لا ، لا تجعله يفعل ذلك .

هز كتفيه قائلا : ولم لا ؟ لقد كبر .

هذا ما كنت أخافه ، أن يأتى الى قائــلا انــه راحل ، وهــذا ما حــدث بعــد أيام ، قلت لا ؛ وعدت فقلت : لا ، ولكنه لم يهتم لى .

قلت له : لم يبق لى الا أنت ، رحل اخواك ولم يبق الا أنت !

قال : لست وحدى ، لديك هو أيضــا ، هو منك ، مثلك ، وأما أنا ، فلا .

رحل ابنى الثالث ، وأصبحت وحدى تماما بلا أحد ، ولا حتى هة ، يأتى الى كل مســاء ، ويحادثنى ، يأتى دائما ، فقط يأتى ، أحكى له ويحكى لى ، أقول كل ما حدث لى فى يومى ، ذهبت الى عملى ، وعدت ، لقيت أناسا كثيرين ، ولم ألق أناسا آخرين ، وذهبت الى أماكن وقلت كلاما ، سمعت أحاديثا ، وضحكت ، وبكيت ، وعدت الى بيتى ، ولم أطق البقاء ، فعدت لأخرج ، وأسير فى الطرقات ؛ وأجلس فى المقاهى ، وأدخن المخدرات ، وأضاحك رجالا كثيرين ، وأعود آخر الليل مع بعض أصـــحابى ، نكمل الضـــحك ، والحكايات الغريبـــة ، وحين يأتى يجلس معنا ، ويضاحكنا ، حتى تبدو تباشير الصباح ، فيرحل من يرحل ، ويبقى من يبقى ، لينام فى أى مكان ، وهو ينام جانبى ككل يوم ، ويظن الجميع أننا متحابان ، ويقولون اننى امرأته .

كل يوم ، نفس الشىء حتى أمل أحيـــانا وأرحل وحدى الى البلاد البعيدة ، وأعود بلا تغيير، أبنائى أيضا تغيروا ، وما عادوا كما كانوا .

حتى كانت تلك الليلة الغريبة ، ماذا حدث ؟ لا أعرف ، لكنى ساحكى لك ما عرفت عنها ، وكل ما وعيته آنذاك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جاءت ليلة رأس السنة ، وجاء معها جمـــع صغير من الأصدقاء ، كل يحمل قنينته ، وأعدت بعض الأطباق الصغيرة ، وأخذنا نسمر ، ونضحك، ونرقص .

وقبل أن ينتصف الليل بقليل جاء ، جلس فى ركن وحده وبدأ كأنه لا يرى أحدا .

كنت أرقص مع أحــدهم ، لكنى كنت ألمحــه يراقبنى فى هدوئه البعيد ، نظرات هادئة ، لكننى أحسست بها تحمل الكثير ، انتابتنى حالة من المرح ، وتماديت فيها لكن ؛ بعد قليل من الوقت أحسست بالتعب .

اقتربت الساعة الحزينة ، ساعة الحب والوداع .

تركتهم جميعا ، ووجدتنى أذهب اليه ناولته كأسه وقبلته ، وقبلنى، ولم يقل شــيئا ، كان

يزداد انطواء وصمتا ، أخذت أشرب ، وأنا أنظر اليه ؛ وما كنت أريد الا أن أشرب وأنظر اليه .

ثم تذكرت .

جذبته من ذراعه وأنا أبكى ، لقد تذكرت الآن.

أولادى ، كانوا هنا ، لابد أن أريهم له ، لابد أن يراهم عندما تدق الثانية عشرة .

بدأت أبحث عنهم فى كل مكان ، ولم أجدهم .

حينذاك قلت له : لا أجدهم ، كانوا هنا يكبرون تحت الشمس ، يترعرعون فى الأرض السوداء ، كنت أضعهم فى الساحة الواسعة ؛ فى الهواء النقى ، الناس يحوطونهم بالرعاية ، لذلك كانوا أصحاء وأقوياء ، هنا كنت أكبرهم فتمموا أعوادهم ، تصبغم الشمس ، وتلون وجوههم ، أما هناك فقد أصبحوا فى مثل لون أبيهم ، بلا لون .

أنظر الى أماكن لعبهم ، تركونى وذهبوا ، أعطيتهم كل شىء ، فأخذوا كل شىء ، وذهبوا وتركونى ، بلا شىء .

أحببتهم ، أراهم فى كل الرجال ، كل رجل كأنه ابنى ، وأحبه ، أريد أن أحتويه ، لكن كل الرجال لا يفهمون ، أريد منهم فقط الحب والفهم، لا أريد نقودا ؛ لا أريد حماية ، لا أريد سوى الحب والفهم ، لكنهم لا يفهمون .

حينذاك ، بدأت دقات الساعة تعد اللحظات الأخيرة ؛ ارتفع صوت المرح بين الأصدقاء ، وارتفعت دقات الطبل فى رأسى ، تبادلنا القبلات جميعا ، وفتحنا عيوننا معا على اللحظات الجديدة.

وبعد قليل ، بدأوا يرحلون واحدا بعد الآخر ، حتى رحلوا جميعا ، ولم يبق الا أنا ، وهو .

ليس هناك من شىء مثل ابنى ، ولا ابنى يشبه أحد . هو فارع وعظيم ، هو جميل وقاهر ، وقاس كالحجر الصلد ، صوته فى أذنى أحلى الأصوات ، وليس من شىء مثله ، يشيح عنى ويؤذينى ، ولا أستطيع أن أحتويه كما كنت يوم حملت به .

أنت أيضا حملت بك ؛ وضعتك فى بطنى ، وعانيت بك الآلام كلها ، كل شىء فيك هو ، لكننى امرأتك ؛ تعال معى أعطيك كل ما تشتهيه ، تعال أنظر كيف أستطيع أن أحبك ، سوف أسقيك كأسك بيدى ، وأطعمك حتى تشبع ، وعندما تنام بعد أن أذيقك الحب كأحلى ما يكون سوف أحنو عليك ؛ أغطيك وادفئك ، وأربت على رأسك وأنا أحتويه فى صدرى ؛ أعلم أنه لن تعطيك امرأة فى الأرض مثلما أعطيك تعال أجعلك ابنا لى ، ورجلا كما لم يكن رجل من قبل.

ليلتها ، حملنى الى السماء ، طار بى كملك عظيم بين كل الجنات ، اذاقنى كل الفاكهة التى حرمتها أعواما طويلة ، جلس بى على ضفاف الأنهار الأسطورية ، أنها الخمر ، والمياه العذبة ، سقانى بيديه عصير التمر والعنب ، وأرانى الأطياف الجميلة بأحلى الألوان ، أطياف الضياء ، وملائكة الجنة ، وأحلام السحب الوردية ، لمسنى ، وضمنى ، وعصرنى ؛ حتى سلت شرابا أرويه وارتوى ، فأنبت خضارا قاتما حيا .

وفى الصباح رحل .

وبعدها ، كان يأتى ويرحل ، ويتغيب كثيرا ، وأقول اننى لن أفتح له مرة أخرى ، لكنه كان يأتى ، فأفتح له ، واحتضنه كثيرا ، وعندما يرحل أبكى ، وفى كل مرة ، قبل أن يرحل ، يقسم أنه لى ، ولكنه بعد أن يذهب ، أعرف أنه ليس لى ، مرات كثيرة ، حتى مللت من حسابها ، نزلت من بيتى ، واقسمت أن يعود فلا يجدنى ، وقفت طويلا عند شاطىء النهر ، ثم تذكرت أن المغيب قد قرب ، وأنه قد يأتى هذا المساء .

الشمس اختفت فى الناحية البعيدة ، ولم يبق منها الا لون المياه الأحمر الداكن ، وبقايا اللون فى الأفق ، والسيارة تجرى مبتعدة عن النهر ، وأنا أظل أنظر اليه حتى اختفى ؛ ولم أعد أرى الا السماء الرمادية ، والمبانى المتربة القذرة ..

هذه هى ، القاهرة .

المدينة العجوز الحزينة .

كل ما حدث هو أننى لم أكن أريد الذهاب الى البلاد البعيدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجوه الأطفال المنطفئة كانت تعذبني ، وفي كل يوم ، كنت أصرخ ألف صرخة وصرخة ، وكنت ألعن ألف لعنة ولعنة ، ألعن الأشياء التي أحببتها جميعا .

لم أكن أريد الرحيل وحسب .

والآن أعرف كم كان البقاء غاليا ، وكم كلفني . لكنني أردت البقاء ، وسأظل أريده ، حتى لو كنت انتظره كل مساء ، ولا يأتي ؛ حتى لو أمضيت الوقت انظر الى أشيائهم وفرشهم ، حتى لو اني ذات ليله وذهب ، وأنا أظل أنظر اليه من خلف الستائر المسدلة .

ها هو ابني الآن يرحل .

ما أسوأ ان أنجب الأبناء ، وأكون منهم ، ولا احد منهم يكون مني !

الجهة الشرقية

أريد أن أضع الشمس في مكانها الأول ، من حيث كانت تبزغ في اول الخليقة ، وحينما كانت تضيء الأرض كلها ، والسماء ، وقبل أن يأتي العمالقة العظام ويقذفوا بها الى الغرب .

في ذلك اليوم ، سرت البرودة في ضلوع الجبال ، وضعضعت مسالك الأرض الحزينة ، الزهرات الكبيرة الصفراء حنت رؤوسها على أعناقها الذابلة ، وانتظرت المطر .

نامت الأغنيات الرقيقة الحنون على شفتي النهر المستمر بلا عودة .

والنهر يأتي من باطن الأرض .

ونحن نمضي الليل نشرب ، ونتعانق ، ونتعلم السير ، نضع رؤوسنا على الأرض ، وهي تحنو علينا ، وتحكي لنا حكاية .

« لكي تتعلم السير ، لا بد لك أن تترك العصا »

هكذا كانت تحكي لنا الأرض الحكاية .

قال عم علي :

سأقص عليكم يا أبنائي قصة الأيام الأربعة الأخيرة ، ولكني اريد قبل أن أقول لكم السر بكامله أن أبين لكم كيف أرى الأشياء .

انني أنظر الى العالم من حولي ؛ فأراه متسعا ؛ وممتدا بامتداد الجهات الأربع ، في كل امتداد منها لا نهاية بلون الشفق الوردي ، ولكن ، المعتم بالسحب الرمادية الداكنة .

هكذا هو العالم .

وهكذا أراه ، في مفترق الطرق .

ليس أمامي الا أن أتجه الى جهة واحدة فالطريق دائما ، بلا عودة ، واذن ، فلكل من الجهات الثلاث الأخرى أحد ثلاثة : القلب ، الكبد ، الرحم .

اما البذرة الوحيدة التي أحفظها معي بلا امل في الاخصاب ، فانني لا بد أن أرسل بها الى الجهة الشرقية ، وأذهب معها .

في اليوم الأول ، عرفت أنني سأترك قلبي يتخذ امتداد الجهة الغربية ، حيث روائح التراب المعتق .

أخذت قلبي من صدري ، وأمسكته بيدي ، وأودعته أسراري وقصص الحب الأولى ، وأغاني الصبايا والصبية القديمة ، وعلقته في مقدمة القافلة المتجهة الى الغرب . أوصيت قائد القافلة أن يرعاه ويسقيه بالسائل الأخضر كلما ضمر ؛ حتى اذا ما وصل الى الهضاب العالية ؛ ووجد الأرض المظلمة المجدبة، يبحث عن حبيبتي الوحيدة وحين يجدها يسلمه لها لتزرعه في كوخها ؛ عندما تعود لتعبر النيل ، فاذا ما أتت من رحلتها اليومية في أحضان النهر ، فستجده في المساء ، وقد أنبت لها زهرة جديدة .

وفي اليوم الثاني ، عرفت أنني سأدفع كبدي الى الجهة الشمالية حيث البحر الواسع .

علقتها بطوف صغير ، وسلمتها الى النهر الهادىء الذاهب الى الشمال ، وكتبت عليها اسمي، وأعطيتها بركاتي ، وأملي أن نصل الى البحر ، فتنتشر فيه خلايا دقيقة ، تتصل بكل أجزائه ، وتتبخر معه لتعود مع المطر اليه .

وأما الرحم ؛ فقد عرفت في اليوم الثالث أنني سأحمله الى طريق الجهة الجنوبية ، على المنبع العظيم يخصبه ؛ فينبت للارض جميعا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سلمته للنوتي ، ليعلقه بطرف الشراع ، حتى تلقاه الرياح الآتية من الشمال ؛ فتدفعه الى المكان الذي يأتي منه النهر ؛ وأوصيت النوتي أن يضعه اذ ذاك في باطن الأرض ، حتى ينبت كل عام خصبا ؛ يعود مع النهر الى الوادي ٠

وفي اليوم الرابع أخذت وجهتي الى الشرق حاملا البذرة الوحيدة ؛ وكلي شوق وأمل ؛ أن أصل الى الأرض التي تشرق منها الشمس ٠

كنت أعرف أنني سألقى أهوالا كثيرة ، ولكن آمالي كانت أكبر ٠ حزمت رحالي ، وحملت سترتي على كتفي ، وأثقالي على ظهري ، وقمت لأسير ، وعندما قمت وجدتني محنيا ، ولكني علمت أنني بعد أميال قليلة أضع بعض أثقالي ، ولم أعلم انني سأحمل غيرها ، ولكن هكذا كان ٠

عند كل عطفة وشارع ، وجدت شيئا ملقى ، أو انسانا متعبا ، أو حيوانا جريحا ، حتى ما عدت أقوى على المسير ، فأجلس في أحد الأركان تحت ظل ما ، وأتزود بعضا مما أحمل من حكايا ٠

قال عم علي : حبيبتي الوحيدة حكت لي حكاية ، كان ذلك في صباح يوم من أيام الله ٠

أطلت الأشعة الوردية على العالم النائم ، وحبيبتي فتحت عينيها ، وأطلت علي ، وحكت لي حكاية ٠

قال عم علي : حبيبتي الوحيدة قالت :

أردت أن أكتب باللون الأخضر أحرف السماوات والأرض ، فلما جلست لأكتبها وجدتها كلها حمراء ، بلون وردة حديثة الولادة ، وضعت القلم ، وأقسمت أن أحتويها جميعا حتى أكبر وأشيخ مثل زهرة ، أنتشر بجسدي وذراعي حولها ، وأزرع قدمي في الأرض ، حتى يمتد جذورهما الى أعمق الأعماق ٠

وعندما أردت أن أكتب باللون الأخضر أحرف السموات والأرض ، غمست قلمي في الزروع الجديدة ، ورسمت وجه انسان ٠

وكان هذا كافيا ٠

حينذاك ألقيت بجسدي في المركب الصغيرة ، وأبحرت الى الضفة الأخرى ، وكنت أريد الوصول الى الأرض التي تشرق منها الشمس

سرت في الطريق المنحدر ، أصعد وأنزل بين الصخور ، وعندما قطعت مسافة مائة ذراع ، بدأت أتعرى ٠

ورأيت بعد مائة ذراع أخرى أن أتعرى أكثر ، وبعد مائة ثالثة ورابعة وخامسة ، رأيت أن أتقدم الى الأرض التي تشرق منها الشمس ، وقد تعريت تماما ٠

وعندما تعريت ، وجدتني أرفع رأسي ، وأرسل شعري ؛ وأعدو ، أنتزع ذراعي من العتمة وأعدو ٠ بقدمي العاريتين ، من الحقول أطلع والى الرمال الممتدة أعدو ، وفي آخر الطريق أجد الشجرة الكبيرة التي تثمر كل صباح شمسا جديدة ٠

وكلما كنت أقترب ، كان جسدي يطول ويمتد ، وأطراف أقدامي تلامس الأرض بحب واشتياق ، وتعود لتمتد في الهواء طاوية من الأرض أذرعا جديدة ٠

وعندما وصلت الى المنبع العظيم للنهر ، اغتسلت في المياه المقدسة ؛ وعاودت المسير والماء يقطر من جسدي ورأسي ، يقطر قطرات كبيرة ، وكلما لامست الأرض قطرة مني ، نبت مكانها نبات مبارك ٠

قال عم علي :

وهكذا نمت ٠٠ ورحلت ٠

وعرفت أنه لهذا خلق الله العالم ٠

القاهرة : سحر توفيق

http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحن على الطريق

قراءة في ديوان الشاعرة :
كاث ووكر

د. على الحديدى

نحن على الطريق عنوان أول ديوان للشاعرة «كاث ووكر» الأبورجينية ، أى التى تنتمى الى أهل أستراليا السود الأصليين والتاريخ يسجل به أول شعر يرى الوجود ويخرج مطبوعا لأول شاعرة من سكان استراليا الاصليين ، وهم الشعب الابوريجينى الاسود الذى عاش على القارة السادسة منذ الخليقة ، عميقة جذوره فيها من الوف السنين قبل ان يكتشفها الأوروبيون . والخلفية التاريخية والنفسية والاجتماعية للشاعرة وشعبها تلقى الضوء على الدوافع الكامنة وراء ما استهدفته فى شعرها من بث ألوان المعاناة التى يئن تحت وطأتها شعبها ، وما سجلته من قصيد يعالج قضايا هذا الشعب الذى ظلمه التاريخ بعزلته ، والانسان بقسوته وآثامه .

فقد ظلت استراليا ملايين السنين من تاريخ البشرية منعزلة عن العالم محجوبة عنه ، بعد أن فصلتها البراكين والزلازل عن آسيا أو أمريكا الجنوبية ، من زمن يمعن فى الأغوار السحيقة من التاريخ المجهول .

وحين أخذ الزحف الأوروبى ، فى عصر النهضة ، يمتد الى الشرق ويحتل بلاده ليستنزف ثرواته ويبنى بها حضارته ، وصل المكتشف الانجليزى « جيمس كوك » عام ١٧٧٠ الى شواطىء أستراليا ، وطاف بها ، واكتشف صلاحيتها للحياة والزراعة ، وأعلنها مستعمرة بريطانية . واتخذتها بريطانيا ، أول أمرها ، مرتحلا ومنفى لمجرميها الخطرين الذين امتلأت بهم سجونها بعد أن توقف ترحيلهم الى أمريكا عقب استقلالها عام ١٧٧٦ .

هبط الى استراليا عام ١٧٨٨ أول فوج من السجناء المجرمين البريطانيين ، وأصبحت منذ ذلك التاريخ ولمدة ٦٠ سنة أخرى مهجرا ومأوى للمجرمين ، وسجنا كبيرا ينفى اليه من يلفظهم المجتمع البريطاني . « وكانت القاعدة العريضة من المرحلين الى المستعمرة الجديدة من أحط الطبقات في المجتمع البريطاني ممن تلطخت أيديهم بدماء القتلى ، وقساة القلوب من أشد المناطق بربرية في أيرلندا ، ومحترفي السلب والنهب والاجرام من أهالي لندن . ومن أخس المستعبدين لشهوات التهتك والفحش ونزوات السكر والعنف والشهوة » (١) ووصل الى أستراليا في فترة اتخاذها منفى وسجنا للمبعدين من بريطانيا نحو ١٦٠ ألف مذنب .

ولم تمض فترة طويلة حتى اكتشفت الامكانات الزراعية والانتاجية في الأرض الشاسعة التي تقبع بخيراتها في انتظار المستغلين لها ، فهاجر الى أستراليا أفواج المغامرين وطلاب الغنى والثراء السريع . وتخلصت استراليا عام ١٨٤٠ من وصمتها كمنفى للمجرمين وأعلنت « مستعمرة مدنية » ، وفتحت أبوابها للمهاجرين الأوربيين . وبلغ تعدادها ٤٠٥ آلاف نسمة عام ١٨٥٠ . واكتشف الذهب فيها عام ١٨٥١ فهرع اليها ألوان شتى من أصحاب المصانع والانتهازيين والمحتالين والأفاقين ، وطلاب الثروات يلهثون وراء الصيحات المحمومة لاكتشاف المعبود الأصفر والتي ظلت عشر سنوات كاملة (٢) .

وبعد أن انتهت ثورة البحث عن الذهب ، وانداحت موجة جنونه ، استقر الوافدون الجدد على السواحل الشرقية والغربية والجنوبية من القارة ، لوفرة مصادر الحياة فيها ، وصلاحية أرضها للزراعة ، وللراحة النفسية من احساسهم بالصلة عن طريق البحر بينهم في المهجر البعيد وبين الوطن الأم في أوروبا . اما الذين أجبروا على العيش داخل القارة في المزارع ومحطات تربية الماشية ، وأكثرهم من بقايا المجرمين المنفيين ، فقد عاشوا في عزلة موحشة ووحدة قاتلة ، ولم يكن يصلهم بالعالم أو بالمدن الكبرى سوى مواصلات بدائية قد لا يرونها لعدة أسابيع من قوافل الجمال ، وعربات تجرها الثيران تحمل البضاعة والمحاصيل الزراعية ، أو عربات الخيول تحمل البريد ، أو تأتيهم بمهاجرين جدد ينضمون الى عالم العزلة والتيه والنسيان .

واذا كان هذا هو التاريخ الرسمي للأيام الأولى في المستعمرة البريطانية ، فان هناك تاريخا آخر أحق بالتسجيل ، لأنه يمثل الحياة في المجتمع الجديد . فمنذ اللحظة الاولى التي وطئت أقدام الوافدين البيض أرض استراليا واجهتهم الأجسام العارية السوداء للسكان الأصليين في جماعات من قبائل الشعب الأبوريجيني ، تنظر الى القادمين في فضول . وظن الوافدون أن هذه التجمعات من السود قد جاءوا لمحاربتهم ــ كما فعل الهنود الحمر من قبل في أمريكا ــ وأعادتهم الى البحر ثانية دفاعا عن وطنهم ، وحرمانهم من احتلال المستعمرة . فسلطوا عليهم نيران بنادقهم ومدافعهم تحصدهم وتفتك بهم . ولم يكن قد صدر من السكان السود عمل عدائي ، لكن روح الشر الكامنة في المجرمين الوافدين تغلبت عليهم فقاتلوهم أينما ثقفوهم ، وطاردوهم حتى اختفى من ظل منهم على قيد الحياة في الغابات وفي شعاب الجبال وكهوفها .

(1) A Haris, Settelers and Convicts, Sydney 1953, p. 230.
(2) The Story of Austrelia, by A.G.L. Show, London, 1960, pp. 110-111.

وحين تبين للوافدين المحتلين لاستراليا أن الأبوريجيين يعيشون فى بدائية ضاربة فى التخلف لا تتعدى العصر الحجرى ، وليست لديهم فكرة عن الدفاع المنظم ، ولا يعرفون شيئا عن حقوق الملكية للارض أو المياه ، ولم يجدوا لهم حكومة تجمعهم وتتولى أمرهم ، ولا زعماء يتفاوضون معهم ، ولا يعرفون من الأسلحة غير الحراب الخشبية وأقواص مدببة تسمى « بوميرانج » يصيدون بها الطيور وحيوان الكنغر • سيطرت على الوافدين - وأكثرهم من المجرمين - فكرة ابادة هذا الشعب الأسود حتى تخلص لهم القارة الجديدة فلا ينازعهم فيها أحد ، ولتصبح استراليا اوروبية بيضاء • وقاد حملات الابادة قطاع الطرق والسفاحون ومحترفوا الاجرام ، وقعدوا لهم كل مرصد ، على مشارف الغابات ومصادر المياه ، كلما ظهرت منهم جماعة انقضوا عليهم ذبحا وتقتيلا ، ووضعوا لهم السم فى العيون والآبار •

وتسربت أنباء المذابح الى أوروبا والعالم المتحضر ، وحينئذ أعلنت وزارة المستعمرات البريطانية أنها أعدت مشروعا لتطوير الأبوريجينيين ودعوتهم الى المسيحية وبنى حاكم أستراليا أول مدرسة لأطفالهم عام ١٨١٥ ، وأخذ المبشرون يذهبون اليهم بدعوة المسيحية ، ولكن الابوريجينيين كانوا يفرون هربا كلما رأوا الرجل الأبيض ، ومن ثم لم يقبلوا لى التعليم ولم يعتنقوا المسيحية • وسريعا ما نفضت الحكومة يديها منهم • وأعلنت أن الأبوريجينيين شعب متخلف عقليا وغير قابل للتعليم أو التحول الى المدنية • وأن الخير كل الخير لهذا الشعب أن يظل على حالته البدائية التى يجد فيها سعادته •

لكن السبب الحقيقى وراء فرار السود وهربهم هو الرعب الذى ملأ قلوبهم من الرجل الأبيض ، والذبح والتقتيل الذى يجريه فيهم ، وخطف نسائهم واغتصابهن أو استعبادهن للخدمة والمعاشرة ، وسوق الصبية والشباب فى سلاسل وأغلال ليكونوا عبيدا يقومون بما يقوم به السود فى أمريكا •

وظل فقدان الثقة فى البيض من جانب السود يسيطر على أفعالهم ، ومعارك الابادة من جانب البيض ظلت دائرة من وراء ظهر الحكومة أو بتغاض منها حتى عام ١٩٣٠ حين تنبهت عصبة الأمم وناقشت ما يدور فى استراليا من مذابح لابادة شعب بكامله ، وحملت دول العالم بريطانيا جريرة ما يحدث للأبوريجينيين فى وطنهم الأصلى وقامت المظاهرات فى بريطانيا تشجب السياسة البربرية التى يعامل بها سكان استراليا الأصليين • ونوقفت المذابح والقتل منذ ذلك التاريخ بعد أن فنى اكثر الشعب الأبوريجينى على يد المستوطن الأبيض الجديد •

وما بقى من الشعب الأبوريجينى اقسام ثلاثة : قسم يعيش فى الغابات وكهوف الجبال كما كان يعيش اسلافهم من آلوف السنين ، وقد تركتهم الحكومة الاسترالية يختارون طريقتهم فى الحياة زعما منها أنها خير حياة تناسبهم وتدخل السعادة فى قلوبهم ، وقسم هم سلالة الأبوريجينيين الذين استعبدهم الاسترالون الأوائل ليفلحوا الأرض ويعملوا فى حظائر الماشية ، وقد آثروا ، بعد أن تعلموا طريقة الحياة الجديدة ، أن يظلوا يقومون بالخدمة عاملين فى المزارع ومحطات تربية الماشية عند الملاك البيض • والقسم الثالث هم المولدون الذين تجرى فى شرايينهم بعض الدم الأبيض من أبناء الأبوريجينيات اللاتى اختطفهن المستوطنون البيض واغتصبوهن أو احتجزوهن اماء للخدمة والمعاشرة ،وخاصة فى الولايات التى تقع داخل القارة وتسمى «ارض الرجال» كولاية كوينزلاند والولاية الشمالية لأن بعدهما وصعوبة الحياة فيهما جعلا المرأة الأوروبية ترفض العيش فيهما ، فكانت الهجرة اليهما من الرجال دون النساء •

هؤلاء المولودون من الأبوريجينيين يعيشون فى الأحياء الفقيرة على أطراف المدن • وفى مستوطنات أعدت لهم فى الولاية الشمالية وعاصمتها داروين ، وكوينزلاند

وعاصمتها بريزبين ، والولاية الغربية وعاصمتها أديليد • وقد فتحت مدارس خاصة بهم من عهد قريب وتولوا بعض الوظائف الدنيا للخدمات ، وتطوع فريق منهم فى الجيش أثناء الحرب العالمية الثانية ، واختلطوا بالجيوش الأمريكية التى كانت تعسكر فى استراليا ، وعملوا معهم • وقد أعطى ذلك الاختلاط ، والتطوع فى الجيش ، والتعليم دفعة قوية لآمالهم فى مستقبل أفضل •

والشاعرة « كاث ووكر » من هؤلاء المولدين ، وقد ولدت عام ١٩٢٠ ـ كما تقول الشاعرة ـ فى قبيلة « نونيكال » بجزيرة « ستراد بروك » القريبة من « بريزبين » وشعار القبيلة وطوطمها « الثعبان النائم » • والتحقت بالمدرسة الابتدائية هى مدينة « دنويتش » ، وحين بلغت الثالثة عشرة من عمرها تفرغت للعمل فى الخدمة بمنازل البيض لقاء شلنين ونصف فى الأسبوع •

وفى مرحلة شبابها انضمت الى المتطوعين فى الجيش الاسترالى عقب اندلاع الحرب العالمية الثانية ، واشتغلت عاملة على لوحات التليفونات ، وتزوجت خلال الحرب ورزقت بطفلين • وحين بلغت السابعة والثلاثين أحست بالرغبة الملحة والحنين الجارف الى العودة مرة أخرى الى المدرسة ، فدرست بمنحة من مشروع اعادة توطين العائدين من العمل فى الجيش وحضرت دورة فى الاختزال ، لكن حبها الشديد للقراءة الحرة ، وعقليتها اليقظة المتطلعة الى المعرفة ، واستعدادها الطبيعى للتزود بالثقافة الأدبية جعلها معلمة نفسها بنفسها وخاصة فى الأدب •

« وكاث ووكر » ـ على الرغم من سواد لونها وانتمائها الى الجنس الأبوريجينى ـ استطاعت ، بعد أن تفجرت لديها موهبة الشعر أن تثبت وجودها فى الأوساط الأدبية بولاية كوينزلاند ، واختلطت بالمجتمع الأبيض فتقبلها وسلكت طريقة الحياة فيه • واتخذت الشاعرة الأبوريجينية من ادبها منبرا تعرض فيه قضايا بنى جنسها ، وكرست نفسها للعمل من أجلهم ، وانضمت الى هيئات كثيرة تهدف الى رعاية شعبها والأخذ بيده ليخرج من عالمه البدائى والمظلم الى المستوى الانسانى ، وليستمتع كغيره من سكان القارة بثرواتها وخيراتها الكثيرة • فهى سكرتيرة المجلس الاتحادى الوطنى لتقدم الابوريجينيين فى ولاية كوينزلاند ، وسكرتيرة شرفية لمجلس كوينزلاند لتطوير الابوريجينيين وسكان جزيرة تورز ، وعضو باتحاد المرأة الاسترالية الذى يضم مجموعة من الأديبات اللاتى يصدرن فى أدبهن عن واقع الحياةالاسترالية ، كما تشترك فى كثير من الهيئات الثقافية • وهى فى كل ذلك تعمل من أجل هدف كبير هو تقدم بنى جنسها وتعلن ذلك فتقول فى قصيدة بعنوان « حبى » :

تريدنى ملكا لك ••• لا
لا أستطيع ان أكون كالمحبين
فقد وهبت نفسى لهدف كبير
أنسانى كل شىء عداه •

★ ★ ★

تريدنى لك وحدك
جسما وروحا وعقلا شان الأحباء
لكن حبى لقومى سبق وملكنى أولا
ومن بعده حب البشرية جمعاء !
جانب حياتى العامة •• وجانب حياتى الذاتية
تخليت عنهما من زمن بعيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واصبحت كلي وقفا على قومي
فلم يبق مني شيء يتملكه حبيب !

★ ★ ★

ألا ترى عجزة البيض السفهاء
يتبعونني بأصوات السخرية وألفاظ الازدراء ؟
فلا بد أن أكون حرة وأن أظل قوية
لأناضل كيلا تهزمنا الثلة الحمقاء
وهناك أخطاء قديمة لا بد لها من تصحيح
ونتحمل في ذلك حقد الانسان السفيه
وطريقنا طويل تصاحبنا فيه الوحدة والعزلة والتيه
وهدفنا بعيد .. لكنه آت لا ريب فيه

وديوان الشاعرة كات ووكر « نحن على الطريق » وقف على قضايا الأبوريجينيين، فعبرت في قصائده عن احساسهم بالأسى ، والألم ، والاحباط ، وكشفت عن الحالة المزرية التي يعيشون فيها ، والشعور المفقود بينهم وبين بعض البيض ، والانحباس في دائرة المستوطنات ، والعزلة ، والتفرقة العنصرية ، وقوائم المحرمات ، وهي دائرة الجبر ، والقهر وفقدان الحرية من الحياة الكريمة ، على الرغم من الدعاوى الرسمية التي تزعم المساواة والأخوة والمعايشة المتكافئة . فتقول في قصيدة بعنوان « التفرقة العنصرية » :

حين يتبعني الأوغاد بصفير السخرية
أتغاضى ، فقد تعودت جريمتهم النكراء
لكن طفل حين يعير بلونه ويأتيني باكيا
يكتسحني غضب كالنار الهوجاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ★ ★

التفرقة العنصرية ! نعم
مستقرة في النفوس العفنة والقلوب العقيمة
تطل بوجهها القبيح
من العيون المتحجرة والشفاة الدنيئة
أليس الذين يعيروننا يعذبوننا لسوادنا
يلومون الاله ؟
ألم يخلقنا جميعا ويمنح كل أطفاله
الحب في عدل ومساواة ؟
وطالما تفرقون بين الأخ وأخيه الانسان
فانتم مبعدون من رحمة الله
ودعوتكم المسيحية رافعين راياتها البيضاء
ان هي الا أكذوبة صفراء

والمتتبع لقصائد الديوان يجد أن نظرة « كات ووكر » لقضايا الأبوريجنيين ليست نظرة المتعصبة لقومها ، لأنها لا تؤمن بالتفرقة بين الانسان على أساس من اللون

او الطبقة أو الجنس ، بل تعلن كراهيتها لهذه التفرقة سـواء أكانت على مذبح الوطنية أو القومية أو الدم ، وتنادي بأخوة الانسـان للانسان فتقول في قصيدة بعنوان « البشر جنس واحد » :

انا عالمية ٠٠ ووطنى كل مكان
ودعوتى : البشر جنس واحد
والانسان اخ للانسان

والأبوريجنيون عامة لا يستطيعون انتزاع الماضي المرير باحداثه البشعة من ذاكرتهم ، بل تعيش حية في قلوبهم تتوارثه الأجيال بمذابحه الجماعية ، والقتل بالسم والخطف والاغتصاب ، والاستعباد ، وامتهان الانسانية وقد لمست الشـاعرة « كات ووكر » في قصائد الديدان احداث الماضي التي تعيش في اعماقها بين الشغاف والقلب ٠ لا لتجعل منها موضوعا لاثارة الأحقاد بين البيض والسود ، بل لتذكر المعاصرين من البيض بما فعله آباؤهم واجدادهم بجنسها ، عسى أن تستيقظ ضمائرهم فيعوضوا ما بقى من الابوريجينين خيرا ، وتعليما ، وعدلا ، ومساواة في الحياة ٠ وفي قصيدة بعنوان « بني العزيز » تقول :

بني ، عيناك بحر من القلق يصب في اعماقي
حائرتان متألمتان من الحواجز الاجتماعية
بشرتك السوداء الناعمة كالقطيفة اللامعة !
وماذا يمكن ان اقول لك عن « التفرقة العنصرية »
يا بني العزيز
أاحكي عن الأسى المحطم للقلوب والكراهية العمياء
ام أحكي عن الجرائم التي تلطخ وجه البشرية بالعار
أم عن الاغتصاب والقتل الجماعي بالسموم
أم عن الظلم الوحشي والأعمال الشنعاء ٠
يا بني العزيز
لا ٠٠ بدلا من الغرق في الماضي ومآسيه
سادلك على الطريق الانساني الشجاع
عندما يجمع الاخاء الرجال
ويعيش الأسود والأبيض في زمان يمتزجان فيه
ذلك ما اود ان اقول لك يا بنى العزيز

والشاعرة « كات ووكر » ـ على الرغم مما تقاسـيه وقومها من آلام ـ فان قصائدها تنبض فخرا بلونها وقومها ، وبأصالتهم الضاربة في أعماق التاريخ ، وما فيهم من أخلاقيات الرجال وشموخ الأبطال ، وان قهرتهم القوة وغلبهم الفقر ، وتقول في قصيدة بعنوان « **أنا فخورة** » ٠

اعيش بجلدى الأسود بين البيض
وأنا فخورة
فخورة بقومي فخورة بلوني
مفلسة انا وفقيرة
وأرتدى النفايات من ملابس البيض القديمة
ولا أفكر أن أتوارى خجلا ، بل انا فخوره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحراب لا يمكنها الصمود امام المدافع ، وقد هزمنا
ولكن ، هناك أمور لا يمكن أن تتحطم فينا أو تسلم منا
وأنا فخورة
غزيت بلادنا ، ولكنا أبدا لم نذل للفاتحين
أجبرتنا القوة ، ولكنا أبدا لم نستسلم طائعين
ولا نتملق ملق البيض للبيض ، وأنا فخورة
مقهورة أنا ، وفقيرة بلا مأوى أعيش
ألم يكن كذلك المسيح ؟
فأنا فخورة .

والهدف الرئيسى الذى استهدفته « كاث ووكر » فى ديوانها هو التطلع الى الأمل فى مستقبل أفضل لقومها ، والعمل من اجل اكتساب حقوقهم الشرعية ، معتمدة على الاستراليين البيض المعاصرين من ذوى الضمائر الحية التى أثقلتها الجرائم ، التى اقترفها اباؤهم وأجدادهم فى حق هذا الشعب الطيب المسالم صاحب الارض الحقيقى ، فيسعون الى تكوين الهيئات والمؤسسات التى تعمل على تطوير الأبوريجينيين ونقدمهم . والشاعرة بذلك تقف على ارض الواقع فى ايجابية فاعله هادئة ، ولا يجرفها الحديث عن الماضى بمآسيه فى عصبية قد تجرها الى وادى السلبية . وفى ذلك تقول :

فليذهب الماضى بمآسيه
وما فيه من سخيمه
ولنتحكم على الوافدين البيض
بما يفعله منهم ذوو القلوب الرحيمة .

والنداء من أجل غد مشرق هو بيت القصيد فى أغانى الديوان ، وخاتمة قصائدها « أغنية الأمل » تؤكد نغمها فى المستقبل وفيها تقول :

الى آباء آبائنا
الأسى والألم البعيد
والى أبناء أبنائنا
الغد المشرق السعيد

واذا كانت قصائد الديوان تدور فى محور واحد هو قضايا الشعب الأبوريجينى واكتسب بذلك وحدة الموضوع ، فانها تكشف كذلك عن أن الشاعرة « كاث ووكر » حين كتبتها كانت تنادى بها قومها أكثر مما توجهها الى الاستراليين البيض .

والشعب الأبوريجينى غنى على مدى عمره الطويل بصانعى الأغنية الشعبية ومنشديها يعيشون بين قومهم جيلا بعد جيل ، الا آن « كاث ووكر » أول شاعرة يفرزها شعبها فى العصر الحديث ، ويقدمها للعالم تنشد له بالانجليزية مأساته ، وتدعو الى تحقيق آماله فى غد قريب وبذلك تصبح «كاث ووكر» شاعرة الأبوريجينيين .

وديوان « نحن على الطريق » باكورة نتاج الشاعرة السوداء ، وقد دخلت به مدينة الشعراء تزفها موهبة خلاقة دافقة . وحس شعرى مرهف ، وسهولة العبارة مع قوة الأداء .

القاهرة : د. على الحديدى

صحائف الميلاد

نبيلة أبو الليل

ولأني لا أملك غير الجسد الواحد
لا أملك غير القلب الواحد
لا أملك غير العقل الواحد ..
ينبت في الأرض وفي الآفاق
- وللأرض .. وللآفاق .. وللألوان .. عيون -
وعند الشطئان يضل الزورق في ساكنة الليل
يندثر الجسد الواهن بين الموج

يتبعثر عند تلال الثلج ..

وحيث الضوء المتراجع من ذاكرة الليل ..

وقوافل من زمن الغربة تنشر أشرعة الخوف

وتحمل ألوية العودة ..

* * *

ولأنى لاأملك غير الجسد الواحد

غير القلب المتقد ..

ولا أملك غير العقل المتوهج

سافرتُ إلى كل الألوان

– لم أشطر نفسى نصفين –

– لم أنظم ظل الأحرف والكلمات –

– حين أطل النجم الأكبر ينقش حرفى

الأول فى ذاكرة الصبح القادم –

ويطل النجم الأكبر ..

تبرق عيناه

تلمع عيناه

يمنحنى ثوبًا منسوجًا من وهج الشمس

– وبين الشمس وبين الليل حوار ممتد –

لاتقطعه الغيمات الرملية ..

يتناقله العشاق على ألسنة الموج

وفى أعماق بين نسيجى . .بين نسيج

الجسد الواهن.

عمر لايعرف عنوانًا للصمت

لايقهر بين الموج ..

وأصابع كفى تقترب .. وتفترق ..

وتبتعد .. وتتصل .. وتتعانق ..

تبحر بين خطوط العمر ..

– والنجم الأكبر ينثر حبات الضوء –

تنمو .. تنمو ..تزهر .. تثمر فى الصبح

الأبيض

ولأنى مازلت .... !

تساءلت .. تحررت .. تحاورت ..

وجدتك أنت الآن ..

(صدرك منقوش فيه صحائف ميلادى)

وجدتك – فى يوم الميلاد ..

القاهرة : نبيلة ابو الليل

زمن الفيضان

علي عيد

داخلني خوف لم أعتده .. « مبهم وغريب .. سرت بامتداد الشاطىء ، أحسست أن المياه تنحر في الجسر .. تأكله . قابلني رئيس الأنفار .. قلت : انني غير مطمئن ، تركني ..

كنا في النصف الأول من الليل ، كانت العتمة تهبط على دور البلده . على الغيطان والجسر .. على النهر ذاته ، كانت البلدة صغيرة واطئة دورها .. والأنفار المعينون لحماية جسر النهر ينتشرون .. غلمانهم تغنى مواويل لم أعرف متى تعلموها أو كيف حفظوها .

كانت أصواتهم عذبة يشوبها حزن وتوجس ..

في الطريق للخيمة التى أنام فيها كنت أضع عينى وأذنى على صفحة النهر ..

كانت رمادية ومعتمة ، وكانت المياه تندفع بسرعة خرافية .. لكن بلا صخب . خفت من سرعة اندفاع المياه فى العتمة .. وتذكرت أننى أبلغت التقرير « للباشمهندس » .

قلت : ان البرابخ التى تحت جسر النيل مقفلة وعددها خمسة ، وقلت له : ان المياه مماسة لجميع الجسور .. وغمرت السواحل والحوش ، والرشح ليس شديدا ..

الباشمهندس أخذ منى التقرير وعاد بعربته لتفتيش مصلحة الرى .. ليبلغه بدوره للجهات العليا ، سمعته البارحة يقول : « مرتفع فيضان هذا العام » ..

السماء لا أثر فيها لنجمة واحدة . اشتد اندفاع المياه ، أحدث الاندفاع صوتا ، علا الصوت ، الغلمان صمتوا ، الصوت يوحى بأن جسرا يتهايل ــ ينهار .

قهر الصوت الصمت .. لحظات ..

علت فى الجو صفارات .. كلمات متداخلة ..

درت حول نفسى .. وقفت .. وبالكاد تبينت الكلمات :

« انهار الجسر يا رجاله .. البلد راح تغرق راح تغرق مطوبس يا رجاله .. »

صرخت .. لم أعرف حتى الآن كيف وأنا الموظف البسيط الحجم والقيمة كانت صرخاتى بهذا الارتفاع .. وبهذه القوة .. حتى خيل الى أنها تضرب عتمة السماء .. كل العتمة ..

انفجرت صيحات رئيس الأنفار :

« يا رجاله .. هاتوا الخشب والشكاير المليانه تراب هاتوها واعملوا التكسية .. »

المصابيح الواهنة . والسيقان العارية .. والهمهمة .. والكلمات المبتورة . والشكائر التى تجرى بها الأكتاف الجافة ــ والأخشاب التى ترتطم بالمياه .. والهدير المتدافق ، تؤكد لى ان الجسر انهار ..

اقتربت من رئيس الأنفار ، اكتشفت فى الضوء الواهن أنه طويل وضخم ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلت :

ـ أنا هاموت من الخوف

قال :

ـ ما تخاف أبدا ـ معانا رجاله وعيال الزلط .

قلت :

ـ أنا ..

قاطعني :

ـ قلوبهم على بلدهم زيك .

قال ذلك واختفى .. صيحاته تتبعه ..

كنا في منتصف أغسطس .. كان الجو حار! ..

وللمرة الأولى يرسلني التفتيش للملاحظة وعمل التقرير ..

قالوا ان مهمتك أن تلاحظ ما يحدث . وتكتب عنه تقريرا . ، الرجال والغلمان يرمون بأنفسهم في النهر ، أخشاب وفئوس وشكائر طارت في الجو .. وقعت في المجرى .. حاولت وبصعوبة بالغة أن ألاحظ بعناية .. كان المخزن على مقربة من الخيمة .. كان مليئا بمئات العروق من الخشب والفئوس والشكائر .. وأشياء أخرى . وزميلي رئيس المخازن لديه التعليمات « أن يعطي أنفار العونة ما يحتاجونه لدفع خطر الفيضان » .

امتلأ الجو بالصياح .. ظننت أن الغرق وشيك .

احتواني رعب .. ، رحت أبحث عن رئيس الأنفار .. لم أجده ، فقط وجدت أذرعا وسيقانا جافة .. ، وصدورا تتلقى ضربات مياه النهر .. تولدت بداخلي رغبة في البحث عنه .

بالقرب من المخزن رأيت عربة نقل ورجلين وقفت ، تبينت بصعوبة أن الرجلين غريبان ..

تقدمت خطوات خلف المخزن .. سمعت رئيس الأنفار يهمس :

ـ نبيع المخزن كله أحسن .

ـ لا يا راجل كفاية الخشب .

ـ يا بيه متخفش .. نقول كله وقع في الميه .

ـ لا .. كفايه الخشب .

عرفت أن الصوت الآخر صوت زميلي .. ، كنت سأصرخ فيهما .. لكن الغريبين ظهرا أمامي فجأه .. ابتعدا ..

ارتفعت دقات قلبي وأنا أرى جيدا العربة وقد امتلأت تماما بالأخشاب .. جرت العربة بعيدا .. توارت .. فرحت في بطء شديد ناحية الخيمة .. انزلقت داخلها .. لم أصدق ، كان الباشمهندس مع امرأة .. شعرت برغبة شديدة في البكاء .. خرجت ..

على الجسر نظرت الى السماء ، بكيت . فقد كانت أكثر اعتاما . وضجيج الأنفار يدوى .. وضجيج مياه النهر يدوى ، ومشاعل كل الغلمان أطفأها الخوف ، وهدير من جوف الدور شق السكك المنبعجة والغيطان .. ، ترسم أقدامه كل الأحزان تجرى صوب النهر الغاضب ..

لكن الماء ضغط على الشاطىء .. أكل الشاطىء.

دفع الأذرع المتهالكة بعيدا .. وجرى في الأرض .. في الزرع .. في الدور .. في جوف الدور النيئة الطوب .. ، ونسيت أني جئت لألاحظ بعناية .. ورميت بنفسي بين الأنفار .. وسط هدير رجال البلدة .. كانوا يحاولون أن يدفعوا الخطر .. ورحت معهم أحاول .

وفرحت للحظة أني نلت شرف المحاولة ..

وللحظة راحت عيناى تبحثان عن زميلي .. عن الباشمهندس والمرأة .. عن رئيس الأنفار .. عن الخيمة ..

كان قميص الباشمهندس يحمله الماء بعيدا ومؤخرة العربة في الطين .

وعروق الأخشاب تسبح في النهر وفي الغيطان ..

أغمضت عيني لثوان .. فتحتهما .. لم ترا شيئا ..

كان الليل الموغل في العتمة ، والنهر الغاضب .. والغرق الجاثم .. يكتسح الأرض .. يكتسح الغلمان ..

يكتسح الأنفار .. كل الأنفار وكل الأشياء ..

علت صيحات الغرقى .. و .. و ..

القاهرة : علي عيد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عِلَّةُ الزاهد

تأليف: نيقوس كازانتزاكس

ترجمة: فؤاد كامل

بحروف الأبجدية الستة والعشرين (وهى الأحجار والخرصانة الوحيدة التى أملكها) رصفت طريقى الجديدة المؤدية الى الخلاص . والآن وقد عرفت ، وما زلت أعرف ، أخذت أنظر الى العالم فى هدوء ، وبلا خوف ، لأنه لم يعد يستطيع الآن أن يغرر بى . وعندما كنت أطل من نافذتى ، كنت أنظر الى الرجال ، والنساء ، والعربات ؛ ومحلات الجزارة المكدسة باللحوم ، وحوانيت البقالة ، والمشروبات ؛ والفاكهة ، والكتب ـ كنت أنظر الى هذا كله ؛ فأبتسم ، لم يكن هذا كله أكثر من سحابات مبرقشة ، ويكفى أن تهب عليها نسمة واهنة حتى تبددها جميعا . انها فى حوزة الشيطان ، وبها يتمسك عطش الانسان وسغبه ساعة أو ساعتين ، قبل أن تهب تلك النسمة فتبعثرها شر مبعثر .

ودلفت الى الشارع ، فاختلطت بموجة من الناس يهرولون جميعا الى مكان ما فى عجلة شديدة . فهرولت معهم ؛ ذلك أننى لم أعد أخشى شيئا . وقلت لنفسى ، انهم مجرد أطياف، ضباب يتكون من قطرات الندى . فلماذا أخشاهم ؟ لماذا لا أمضى معهم لأرى أين هم ذاهبون ؟ فما أن بلغنا دارا للسينما تسطع على واجهتها أنوار حمر وزرق وخضر ، حتى دخلناها ، وانحططنا فى مقاعدها المخملية . وهناك فى الطرف الآخر ، كانت شاشة مضيئة ، تعبر عليها سراعا ظلال يدفعها القلق واللهفة . ماذا كانوا يصنعون ؟ كانوا يقبلون بعضهم بعضا ؛ ويقتلون ويقتلون ، والى جانبى جلست فتاة ، تفوح من أنفاسها رائحة القرفة ، وشعرت بصدرها يعلو ويهبط كلما تنفست . وكانت ركبتها تلامسنى حينا بعد حين ، فارتجفت ، ولكننى لم أبتعد عنها ، فالتفتت ناحيتى ؛ ونظرت الى لحظة ، فظننت أننى ألمح ابتسامتها فى القاعة المعتمة .

وسرعان ما شبعت من مشاهدة تلك الظلال ، فهممت بالانصراف ، وهمت الفتاة أيضا . وعند باب الخروج ، استدارت مرة أخرى ، ورمتنى بابتسامة . فاشتبكنا فى حديث . وكان القمر متألقا فوق رأسينا ، فيممنا شطر المنتزه، وجلسنا على أريكة خشبية صغيرة . كنا فى الصيف ، وكان الليل عذبا كالشهد المصفى ، وأزهار الليلك سخية العطر . وظلت أزواج العشاق تمر بنا ، على حين كان عشاق آخرون يتعانقون وهم راقدون على الحشائش . وانطلق بلبل يتوارى فى أعماق أزهار الليلك ، يغرد فوق

رأسينا ، فأمسك قلبي عن الخفقان · انه ليس طائرا ، وانما لا شك في أنه جني خبيث · فهذا الصوت نفسه قد كان من قبل ـ على ما أعتقد ـ عندما كنت أصعد الى جبل بسيلورتي ـ وأنا أعرف ما يقول · ومددت يدي ، وجعلتها ترتاح على شعر الفتاة · سألتها : « ما اسمك ؟ »

فأجابت ضاحكة : « فريدا ، ولم تسأل ؟ ان اسمي امرأة » ·

وفي هذه اللحظة : أفلت من شفتي شيء رهيب · فالكلمات التي نطقت بها لم تكن كلماتي ، لابد أنها تنتسب لأحد أجدادي ، لا لأبي الذي يزدري النساء ؛ وانما لشخص آخر سواه · وفي اللحظة التي تفوهت بها ، استولى على الرعب ، ولكن ·· فات الأوان ·

ـ « فريدا ، أيمكن أن تمضي الليلة معي ؟ »

فأجابت الفتاة في هدوء : « الليلة لا ·· لا أستطيع · غدا · »

وتنفست الصعداء ، ونهضت في عجلة شديدة ، وافترقنا · وهرعت عائدا الى حجرتي ·

وعندئذ ، وقع شيء لا سبيل الى تصديقه ؛ شيء يبعث القشعريرة في جسدي حتى وأنا أتذكره الآن · حقا ، ان روح الانسان شيء لا سبيل الى تحطيمه ، شيء نبيل وجليل حقا ؛ ولكنها تحمل جسدا يزداد تعفنا يوما بعد يوم · ففي طريق عودتي الى المنزل ، سمعت صوت دمائي وهي تصعد الى رأسي · لقد اهتاجت روحي ، وعندما أحسست أن جسدي يوشك أن يقارف الاثم ، وثبت على قدميها ؛ ملأى بالازدراء والغضب ، وأبت أن تسمح بذلك · واستمرت الدماء تتدفق صاعدة الى أعلى ، وتتجمع في وجهي ، حتى أدركت شيئا فشيئا أن شفتي ووجنتي وجبيني آخذة في الانتفاخ · ولم تلبث أن صغرت عيناي ، حتى لم يتبق منهما سوى شقين ، وفي عسر شديد جاهدت حتى أستطيع أن أرى شيئا على الاطلاق ·

وطفقت أتعثر في طريقي دون انقطاع · فضاعفت سرعتي وعدوت متلهفا صوب المنزل حتى أنظر في المرآة لأرى الحالة التي وصلت اليها ·

وعندما وصلت أخيرا ، وأضأت الحجرة . ونظرت ، أطلقت صرخة فزع ·· كان وجهي كله منتفخا ، ومشوها بصورة مرعبة ، وكادت عيناي تختفيان بين كتلتين متدفقتين من اللحم المتورد وأضحى فمي شقا مستطيلا عاجزا عن الانفتاح · وفجأة تذكرت الفتاة « فريدا » · فكيف أستطيع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن ألقاها غدا ، وأنا في هذه الهيئة التي تبعث على التقزز ؟ فكتبت برقية قلت فيها : « لا أستطيع الحضـور غدا ، سـأحضر في اليوم التالى » ، وتهالكت على فراشي يائسا • ترى ماذا يكون هذا المرض ؟ أيكون برصا ؟ فلطالما شاهدت وأنا طفل في كريت البرصى بوجوههـم المنتفخة الحمراء بلون الدم ، المتقشرة باستمرار ، وهاأنذا أتذكر الآن ماكانوا يثيرونه في نفسي من الرعب ، حتى قلت لنفسي ذات يوم: « لـو كنت ملكا ، لأخذت البرصى جميعا ، وعلقت أحجارا حول رقابهم ، وأغرقتهم في البحر • » أمن الممكن أن يكون ذلك « الذي لا تدركه الأبصـار » قد تذكر عباراتي اللاانسانية فبعث الى هذا المرض الرهيب عقابا لي ؟

وفي تلك الليلة لم أذق النوم لحظة واحدة ، فقد كنت أتلهف على ظهـور الفجر ، اذ حدثت نفسي قائلا لعله عارض ينتهي في الصباح ، وكنت أفحص وجهي باسـتمرار لأرى ان كان الانتفاخ قد بدأ في الانحسار • وما كادت خيوط الفجر تتسـلل الى غرفتي ، حتى وثبت من الفراش ؛ وهرولت الى المرآة •• كان قناع بشع من اللحم ملتصقا على وجهي ؛ وشرعت البشرة تتفجر لتفرز سـائـلا أبيض مائـلا الى الاصفرار •• لم أكن انسانا ، ولكن شيطان مريد •

وناديت الخادمة لأعطيها البرقية • فصرخت ، وأخفت وجهها وراء راحتيها عندما فتحت الباب وأبصرتني • ودون أن تجـرؤ على الاقتراب ، اختطفت البرقية وولت مدبرة •

وانقضى يوم ، يومان ؛ ثلاثة ؛ أسـبوع ؛ أسـبوعان • وفي كل يوم ، وخوفا من أن تأتي الفتاة الى غرفتي وتراني ؛ كنت أرسل اليها نفس البرقية : « لا أستطيع الحضور اليوم ، سأحضر غدا » ولم أكن أشعر بأدنى ألم ، ولكنني لم أكن أستطيع أن أفتح فمي لأتناول طعامي ؛ فاقتصر غذائي على اللبن وعصير الليمون ، وكنت أمصهما بمصاصة من القش • وأخيرا ، لم أعد أطيق • وكنت قد قرأت عدة مؤلفات في التحليل النفسي كتبها تلميذ فرويد الذائع الصـيت « فلهلم شتيكل » ، فسعيت اليه • لقد فرضت نفسي هذا المرض علي ، وان لم أكن أعـرف لماذا •• كل ما استطعت تخمينه هو أن اللوم يقع عبؤه على نفسي •

وأخذ الأستاذ الضليع يستمع الى اعترافي • حكيت له قصة حياتي ، وكيف كنت أبحث عن سـبيل الخلاص منذ صـباى ، وكيف تبعت المسيح سنوات طويلة ، ولكنني اكتشفت •• أخيرا أن ديانته شديدة البسـاطة ، شـديدة التفاؤل ، فهجرته لأقتفي طريق بوذا ••

وابتسـم الأستاذ قائلا ، « أن تبحث لمعرفة بداية العالم ونهايتـه هو في حد ذاتـه مرض • فالشخص السوى يعيش ، ويكافح ، ويشـعر بالسرور ويعـاني الحـزن ، ويتزوج ، وينجب أطفالا ، ولكنه لا يضيع وقته متسائلا متى والى أين ، ولماذا • بيد أنك لم تكمل قصتك • ومازلت تخفى شيئا عنى •• اعترف بكل شيء » •

فرويت له كيف التقيت بفريدا ، وقلت اننا اتفقنا على موعد للقاء •

فانفجر الأستاذ ضـاحكا ، ضـحكة خشنة متهكمة •• فنظرت اليه حانقا •• وكنت قد بدأت فعلا أبغض هذا الرجل لأنه كان يفحص أسراري تحت منظاره المكبر الأرعن ، ويجاهد لفتح كل الأبواب الموصدة ذات القضبان التي تقوم داخلي•

قال بطريقته الساخرة : « كفى ! كفى ! هذا القناع سـيظل ملتصقا بوجهك طالما بقيت في فيينا • أن المرض الذى تعانيه يسمى « مرض الزاهـد » ، وهو مرض نادر في زماننـــا ، أين الجسم الذى يخضع اليوم للروح ؟ ألم تقرأ قصص القديسين ؟ ألا تذكر الزاهـد الذى ترك صحراء طيبة ، وأسرع صوب أقرب مدينة ؛ لأن شيطان الفسق ركبه فجأة ، فأحس أنه مندفع الى مضاجعة امرأة ؟ وما برح يجرى ويجرى •• ولكنه ما أن أوشك على اجتياز أبواب المدينة ، حتى شـاهد البرص ينتشر على جسده • ولم يكن برصا على كل حال • وانما هو نفس المرض الذى أصابك • فكيف يستطيع بهذا الوجه المنفر أن يتقدم لامرأة ؟ ومن هي المرأة التي تستطيع أن تلمسه ؟ ومن ثم ،فقد أسرع عائدا الى صومعته

فى الصحراء شاكرا الله الذى عصمه من الخطيئة؛ وتقول الأسطورة أن الله غفر له ، وكشف الضر عن جسده ٠٠ هل تفهم الآن ؟ فانغماسك فى العقيدة البوذية جعل روحك – أو بالأحرى ما تسميه أنت « روحا » – تعتقد أن مضاجعة امرأة خطيئة منكرة ٠ ولهذا السبب ابت أن تسمح لجسمها باقتراف الخطيئة ٠ ومثل هذه الأرواح القادرة على فرض أنفسها بمثل هذه الدرجة العظيمة على الجسد ، نادرة فى عصرنا ؛ وفى حياتى العلمية كلها لم أصادف الا حالة واحدة اخرى ، وهى حالة سيدة من فيينا تتحلى بأقصى درجات الاستقامة والتقوى ٠ وكانت تحب زوجها حبا جما ٠ ولكنه كان بعيدا عنها فى الجبهة وتصادف أن التقت بشاب فوقعت فى غرامه ٠ وذات ليلة كانت على وشك الاستسلام له ، غير أن روحها هبت فجأة معلنة ثورتها ، وتمردها عليها ٠ وهنا انتفخ وجهها انتفاخا منفرا ، كحالة وجهك الآن ٠ فسعت الى يائسة ، فطمأنتها وقلت لها : « ما أن يعود زوجك من الحرب ، حتى تتماثلن للشفاء ٠ » وفعلا ، ماكاد زوجها يعود او بالأحرى ما كاد خطر الوقوع فى الاثم يزول ، حتى استعاد وجهها جماله الأصيل ٠ وحالتك هى نفس الحالة ٠ وسوف تبرأ حالما ترحل عن فيينا وتترك فريدا وراء ظهرك ٠ »

ولم أصدق شيئا من هذا ٠ وقلت لنفسى ؛ مجرد خرافات علمية ٠ وتركت نفسى فى حالة من الحيرة العنيدة ٠٠ سأبقى فى فيينا ، سأبقى وأتحسن ٠٠ ومكثت شهرا آخر ، بيد أن القناع لم ينحسر ٠ وواصلت ارسال برقيتى اليومية الى فريدا : « لن أستطيع الحضور اليوم ، سأحضر غدا ٠ » وهذا الغد لم يات أبدا ، على كل حال ٠ وذات صباح ، وكنت قد سئمت من المسألة كلها ، نهضت من الفراش وقد عزمت عزما حازما على الرحيل ٠ فحملت حقيبتى ، ونزلت على السلم ، وخرجت الى الشارع قاصدا المحطة ٠ وكان الصبح فى ساعاته المبكرة ، ونسمة باردة تلامس الوجوه وكان العمال والعاملات يهرعون الى أعمالهم فى زرافات مرحة ، وهم يمضغون بأفواه ملأى لقيمات من الخبز ٠ ولم تكن الشمس قد بزغت على الشوارع بعد ٠ وثمة نوافذ عديدة قد انفتحت ٠٠ كانت المدينة تنهض من سباتها ٠

ومشيت بخطوات خفيفة لا وزن لها ، وبمزاج رائق ، كنت انا أيضا استيقظ كما تفعل المدينة ٠ واحسست بوجهى يفقد ثقله كلما أمعنت فى السير ٠ لقد تحررت عيناى ، واستطاعت أن تنفتح الآن ٠ وبدأ الانتفاخ الذى جثم على شفتى يتلاشى ، وشرعت فى الصفير كأننى طفل ٠ ومسحت النسمة الباردة على وجهى كأنما كف حنون ، يريد أن يحتضننى ٠ وعندما بلغت المحطة فى نهاية المطاف ، وتناولت من حبى مرآة لأنظر الى نفسى ٠٠ ياله من فرح ، وياله من حظ سعيد ! لقد اختفى الانتفاخ من وجهى تماما ، وعاد الى ملامحى القديمة : أنفى ، وفمى ، ووجنتاى ٠٠ ولاذ الشيطان بالفرار ؛ وأصبحت مرة أخرى كائنا بشريا ٠

ومنذ ذلك اليوم أدركت أن روح الانسان زنبرك ملفوف شديد الخطورة ٠ فنحن نحمل جميعا دون أن ندرى ، قوة عظيمة متفجرة ملفوفة فى لحمنا وشحمنا،والأسوار من ذلك أننا لا نريد ان نعرف ذلك ، لأنه فى هذه الحالة يفقد الشر والجبن والزيف ما يبررها ؛ ولا يعود فى وسعنا حينئذ أن نتوارى وراء عجز الانسان المزعوم ، وقصوره اللعين ، فعلينا أن نتحمل بأنفسنا الوزر اذا كنا أشرارا ، جبناء ؛ كاذبين ، لأننا على الرغم من أننا نمتلك طاقة قوية فى داخلنا ، فاننا لا نجسر على استخدامها خوفا من أن تحطمنا ٠٠ وبدلا من ذلك نتخذ الطريق السهل المريح ، ونسمح لأرواحنا أن تبدد قوتها شيئا فشيئا ، حتىتنحل هى أيضا الى لحم وشحم ٠ فما أفظع أن نجهل امتلاكنا لهذه القوة ! فاذا كنا نعلم ، فينبغى أن نفخر بأرواحنا ٠٠ فليس فى السماء أو الأرض شيء شديد الشبه بالله مثل روح الانسان ٠

القاهرة : فؤاد كامل

الدرب المطروق

قصة قصيرة للكاتبة الأمريكية

يودورا ويلتى

ترجمة:

عبد الحكيم فهيم

ذات صباح باكر فى يوم صاف قارس البرد من أيام ديسمبر ٠٠ وفى مكان بعيد فى أعماق الريف ٠٠ كانت هناك امرأة زنجية عجوز تلف رأسها بقطعة من قماش أحمر ٠٠ وتسير عبر طريق يمتد بين أشجار الصنوبر ٠٠ كانت تدعى فونيكس جاكسون ٠٠ سيدة طاعنة فى السن ٠٠ ضئيلة الجسم ٠٠ تمشى ببطء تحت الظلال الكثيفة لأشجار الصنوبر وكانت تهتز قليلا يمنة ويسرة فى خطوها ٠٠ وكانت تحمل عصا صغيرة رفيعة لابد أنها كانت بقايا مظلة ٠٠ وبهذه العصا ٠٠ كانت تدق الأرض المتجمدة ٠٠ الممتدة أمامها ٠٠ وكانت هذه الدقات الخفيفة تحدث ضجة مستمرة يتردد دويها فى الهواء الساكن ٠٠ الذى كان يسرى فيه هسيس مثل زقزقة طائر صغير وحيد ٠ ٠

وكانت العجوز ترتدى رداء أسود مخططا ينسدل حتى حافة حذائها ٠٠ وفوقه مريلة ذات جيب كبير وتماثله فى الطول ٠٠ مصنوعة من خيش أبيض من ذلك النوع الذى تصنع منه أكياس السكر ٠٠ وكانت ملابسها كلها أنيقة ٠٠ ونظيفة بيد أنها كانت فى كل خطوة تخطوها تكاد تتعثر بسبب رباط حذائها غير المعقود ٠٠ كانت تنظر أمامها بثبات ٠٠ وكانت عيناها زرقاوين ٠٠ بفعل التقدم فى السن وكان جلدها كله تتخلله غضون وتجاعيد بغير حصر وكان يبدو كما لو أن شجرة صغيرة بكاملها تقوم وسط جبهتها ٠٠ الا أن صفرة بلون الذهب كانت تكسو جلدها ٠٠ كما كانت وجنتاها البارزتان تلمعان بوهج أصفر تحت الظلمة ٠٠

وتحت رباط الرأس الأحمر كان شعرها ينسدل على جيدها « رقبتها » ٠٠ فى خصلات خفيفة ٠٠ كان لم يزل محتفظا بلونه الأسود ٠٠ تفوح منه رائحة مثل رائحة ٠٠ النحاس ٠

وبين وقت وآخر ٠٠ كانت تسرى رجفة فى الأحراش المحيطة بها ٠٠ وكانت فونيكس العجوز ٠٠ تقول : « ابتعدى عن طريقى أيتها الثعالب والبوم والخنافس والأرانب الوحشية ٠٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakhrit.com

يودورا ويلتى

ولدت يودورا ويلتى مثل الروائى الامريكى الشهير وليم فوكنر فى ولاية المسيسبى احدى ولايات الجنوب الأمريكى .. حيث امضت معظم حياتها .. وبعد ان امضت الكاتبة سنتين فى الدراسة فى احدى الكليات فى المسيسيبى ومثلهما فى جامعة ويسكونسين التحقت بجامعة كولومبيا حيث درست فن الاعلان الا أنها تمردت على هذا اللون من الدراسة الذى يستهدف استخدام لغة تقوم على الخيال والوهم لا لشىء الا لحمل الناس على شراء السلع ..

وبعد أن عملت فترة مراسلة صحفية وكاتبة اذاعية فى مسقط رأسها .. تفرغت لكتابة القصة والرواية علاوة على ممارسة هوايتها فى التصوير والرسم وقد تأثرت هذه الكاتبة الأمريكية التى ولدت عام ١٩٠٧ فى بداية حياتها الأدبية بكتابات عدد من كبار الادباء الأوروبيين من بينهم أنطون تشيكوف وتوماس مان وفيرجينيا وولف ووليم بتلر بيتس .

وقد نشرت أول مجموعة قصصية لها باسم ستارة خضراء عام ١٩٤١ ثم تابعت بعدها سلسلة من الروايات والمجموعات القصصية نذكر منها التفاحات الذهبية عام ١٩٤٩ ، والمعارك الخاسرة عام ١٩٧٠ ..

ويرى البعض أن يودورا ويلتى تمزج فى كثير من قصصها المستوحاة من بيئة الجنوب الأمريكى وتحمل خصائص الحياة فى ولاياته الحلم بالواقع وتضفى عليها فى بعض الأحيان رموزا لا تفسير لها .. لكنها تحرص دائما على أن تجعل ما هو خيالى يبدو كما لو كان واقعا .. كما لو كان جزءا منا وتكشف ما تنطوى عليه الحياة اليومية من غرابة بل ولا واقعية ..

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابتعدى عن موقع هاتين القدمين أيتها الحيوانات البرية .. وأنت يا طيور السمان البيضاء .. أبعدى الخنازير الضخمة البرية عن طريقى .. لا تدعى أيا من هذه الحيوانات يجرى مسرعا فى اتجاهى .. أن أمامى طريقا طويلة لأقطعها .. » وفى قبضة يدها السوداء المغضنة .. كانت العصى تمتد مثل سوط تضرب بها العشب .. كما لو كانت تحاول أن تفزع ما قد يكون مختبئا فيه ليبتعد عنها ..

.. وفى طريقها مضت العجوز .. كانت الغابات كثيفة يلفها السكون .. وكانت أشعة الشمس تنصب على أوراق الصنوبر المدببة فتتوهج بالضوء لدرجة يصعب معها النظر .. الى ذوائب الأشجار حيث تعصف الرياح .. على حين كانت ثمار الصنوبر تتساقط خفيفة مثل الريش .. وفى الخلاء .. كان هناك فرخ حمام ينوح رغم أن الوقت لم يكن قد فاته بعد ..

كانت الطريق تمتد صاعدة فوق تل .. وقالت العجوز : « يبدو كما لو أن هناك أغلالا تكبل قدمى .. فى كل مرة أتوغل فيها الى هذا الحد . قالت ذلك فى نبرة يتمسك المسنون باستخدامها فى حديثهم مع أنفسهم . وأضافت قائلة . « ثمة شىء ما يمسك بتلابيبى فوق هذا التل » .

وبعد أن بلغت قمة التل .. استدارت وألقت بنظرة عامة صارمة الى الاتجاه الذى جاءت منه . وقالت فى النهاية .. « لقد صعدت الى أعلى بين أشجار الصنوبر .. والآن لأهبط بين أشجار البلوط « السنديان » .

وبعينين قد اتسعت حدقاتهما .. راحت تنحدر برفق ولكن وقبل أن تبلغ سفح التل .. أمسكت

عليقة بثوبها وراحت أصابعها تعمل بتصميم على تخليص الرداء .. الا أنه كان طويلا .. ومن هنا كانت لا تكاد تتمكن من تخليص جزء منه حتى تمسك به أشواك العليق فى موضع آخر . ولم يكن من المستساغ بالطبع أن تدع ثوبها يتمزق وقالت العجوز .. « هذا العشب الشائك يمسك بى .. أيتها الأشواك انك تؤدين عملك المرسوم لك .. أبدا لا تريدين أن تدعى الناس يمرون . أن العينين العجوزين قد حسبتاك عشبا جميلا صغيرا أخضر » ..

وفى النهاية وبينما جسمها كله ينتفض .. انتصبت واقفة لقد تخلصت من الأشواك وبعد لحظة تجاسرت على الانحناء لتتناول عصاها .

« ياللشمس البالغة الارتفاع .. » هتفت قائلة وهى تميل الى الوراء .. وتنظر .. على حين غشيت عينيها دموع غزيرة « آه .. ان الوقت سوف يتبدد هنا .. »

وعند سفح التل كان ثمة موضع .. يمتد منه جذع شجرة فوق جدول تنساب فيه المياه ..

وقالت العمة فونيكس : « والآن تحين لحظة الاختبار » .

ومدت العجوز قدمها اليمنى .. وصعدت فوق جذع الشجرة وأغمضت عينيها ورفعت طرف ثوبها .. ومدت العصا بشكل أفقى أمامها ومثل شخص يسير فى استعراض أخذت تعبر الجدول.. ثم فتحت عينيها والفت نفسها سالمة عند الضفة الأخرى ..

وقالت « لست عجوزا مثلما ظننت » ..

لكنها جلست لتستريح .. بسطت طرف ثوبها على شاطىء الجدول وعقدت يديها فوق ركبتيها .. وكانت ثمة شجرة تعلو فوقها .. تغطيها نباتات طفيلية .. ولم تجسر على أغماض عينيها .. وعندما حمل اليها صبى طبقا عليه شريحة من كعكة بيضاء .. خاطبته قائلة : «هذا مقبول منك» وعندما مدت يدها لتتناولها . لم تجد شيئا .. فقط كانت هناك يدها الممتدة فى الهواء ..

وابتعدت عن تلك الشجرة ووجدت نفسها أمام سياج من السلك الشائك يتعين عليها .. اجتيازه .. كان عليها أن تنبطح على الأرض وتزحف .. وهى تفرد ركبتيها وتبسط أصابعها مثل طفل صغير يحاول صعود درجات سلم .. وأخذت تحدث نفسها بصوت عال : ما كانت لتستطيع أن تسمح لثوبها بأن يتمزق الآن .. كان الوقت متأخرا وما كان فى مقدورها أن تدفع ثمن بتر ذراعها أو ساقها اذا ما أمسكت بها الأسلاك الشائكة ..

وتمكنت فى النهاية من اجتياز السياج بسلام ونهضت واقفة فى الخلاء كانت ثمة أشجار جافة كبيرة تبدو مثل رجال لكل منهم ذراع واحد .. يقفون وسط الأكوام القرمزية لأعواد القطن الجافة .. وهناك كان يربض صقر .. وخاطبته العجوز قائلة : « ترى من تراقب .. ؟ » ثم مضت فى طريقها .. عبر الأرض .. المتشققة .

مما يبعث على الارتياح .. أن النيران لا نشب فى مثل هذا الفصل « قالت ذلك وهى تنظر حولها وأردفت قائلة : «ان ارادة الله الخيرة جعلت الثعابين تلتف حول نفسها .. وتنام فى الشتاء .. شىء سار أننى لم أر ثعبانا ذا رأسين يزحف حول تلك الشجرة .. حيث رأيت ثعبانا يزحف ذات مرة لقد استغرق الأمر بعض الوقت للافلات منه .. كان ذلك فى الصيف .. »

واجتازت العجوز حقل القطن الى حقل للقمح الجاف .. كان ثمة هسيس يسرى بين أعواد القمح المتماوجة .. التى تعلو فوق رأسها ..

« والآن لأمضى وسط التيه فليس ثمة طريق آخر » ..

وفجأة تبدى شىء طويل أسود .. راح يتحرك أمامها .

وفى البداية حسبته رجلا .. كان من الممكن أن يكون رجلا يتراقص فى الحقل .. لكنها وقفت ساكنة وأخذت تنصت .. ولم يصدر عن هذا الجسم صوت .. كان صامتا مثل شبح .

« شبح « .. قالتها بحدة .. وتساءلت .. « شبح من تكون .. ؟ » اننى لم أسمع عن حدوث أية وفاة فى مكان قريب .. »

ولم تتلق جوابا .. فقط كان الجسم يتراقص مع الرياح ..

وأغمضت عينيها ·· ومدت يدها ·· ولمست كما والفت معطفا لم يكن بداخله سوى الفراغ وكان المعطف فى مثل برودة الثلج ··

وقالت : « يا لك من خيال للمآتة » ·· وأشرق وجهها وأضافت وهى تطلق ضحكة ··« خير لى أن احتجز فى غرفة وتغلق على ·· » ·· لقد ضعفت حواسى ·· أصبحت طاعنة فى السن ·· اصبحت أكبر من عرفت سنا ·· تراقص يا خيال المآتة العجوز ·· وسوف أرقص معك » ·

ودقت قدمها فى الأرض وأحنت رأسها الى الأمام وهزته مرة أو مرتين وهى تتمايل فى خيلاء ·· وتساقطت بعض الأوراق الجافة فى ثنايا ثوبها ·· ثم واصلت العمة فونيكس سيرها ·· راحت تتحسس طريقها من جانب لآخر بعصاها ·· عبر حقل القمح الذى يسرى فيه صوت كالهمس ·

و ·· أخيرا بلغت النهاية ·· وصلت الى شريط للسكة الحديد ·· حيث كان الحشيش الفضى ينبت بين الشقوق وكانت طيور السمان ·· تتهادى · وهى تبدو كلها جميلة رشيقة ووديعة وكان أحدا لا يراها ··

وقالت العجوز : « لأمشى برفق ·· فقد أصبحت الطريق الآن سهلة ·· »

وتابعت فى سيرها الخط الحديدى ·· الذى يمتد بين الحقول العارية الساكنة ·· بين صفوف صغيرة من أشجار تغطيها أوراق جافة فضية اللون ·· وراحت العجوز تمر على أكواخ أحالت العوامل المناخية لونها الى لون الفضة ·· كانت أبوابها ونوافذها موصدة ·· كانت كل هذه الأكواخ تقبع ساكنة مثل نساء حسناوات تسيطر عليهن رقى سحرية ·

« ها أنا ذا أسير فى أثناء نوم هذه الأكواخ ·· قالتها وهى تهز رأسها فى نشاط ·

وانحدرت الى واد ضيق كان فيه نبع ينساب فى سكون عبر جذع شجرة أجوف ·· وانحنت فونيكس العجوز وشربت من الماء وهتفت قائلة :

« ان الصمغ الحلو المذاق ·· يجعل الماء عذبا » ثم شربت قدرا آخر من الماء ·· وأضافت · « لا أحد يعرف من حفر هذه البئر ذلك لأنها كانت قائمة فى مكانها عندما جئت الى الدنيا ·

وامتد الخط الحديدى عبر منطقة موحلة من الأرض ·· حيث كانت الطحالب تنتشر مثل قماش الدانتيلا الأبيض فى كل مكان ··

وقالت العمة فونيكس : « واصلى نومك أيتها التماسيح وانفخى الفقاعات الخارجة من أفواهك » ·

ومرة أخرى استقام الخط الحديدى على الطريق

وكان الطريق يواصل انحداره بعمق بين حافتين عاليتين تكسوهما الخضرة ·· على حين كانت أشجار السنديان تتعانق متعالية فى الفضاء وتجعل الطريق يبدو مظلما مثل كهف ·· ومن حفرة بين الأحراش برز كلب أسود يتدلى لسانه من فمه ·· كانت العجوز مستغرقة فى التفكير ·· ولم تكن مستعدة لمواجهته ·· وحين اقترب منها اكتفت بضربه ضربة خفيفة بعصاها ·

و ·· سقطت فى الحفرة ·· وغابت عن الوعى ·· استغرقها حلم ·· ورفعت يدها الى أعلى بيد أنها لم تلمس شيئا ولم يكن ثمة ما يساعدها على النهوض وهكذا بقيت مستلقية فى مكانها ·· وأخذت تحدث نفسها « أيتها العجوز ·· ذلك الكلب الأسود ·· برز من بين الأحراش لكى يعوق سيرك ·· وها هو ذا يقعى فوق ذيله الرشيق ·· مبتسما تحوك ·· »

وفى النهاية عثر عليها رجل أبيض كان يمر بالمكان ·· كان صيادا شابا يصحب كلبا فى رقبته سلسلة ·· وصاح بها الصياد ضاحكا : حسنا يا جدتى ·· ماذا تفعلين هنا ؟

« أننى يا سيد استلقى على ظهرى ·· مثل الخنفساء تنتظر أن تقلب على وجهها » قالتها وهى ترفع يدها ··

وانهضها الصياد ·· رفعها فى الهوء ثم أجلسها على الأرض ··

ـ هل تشعرين بشىء كسر فى جسمك ·· يا جدتى ؟

وقالت العمة فونيكس : كلا يا سيدى ·· هذه الأحراش الجافة العتيقة ·· تحتوى على ينابيع عديدة بما فيه الكفاية ··

وعندما استردت أنفاسها قالت : « أشكرك على تعبك » ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ أين تقيمين أيتها الجدة ؟ سألها الصياد بينما كان الكلبان .. يزمجر كل منهما في عداء للآخر .

ـ أقيم هناك بعيدا فيما وراء تلك الجبال .. ليس في مقدورك حتى أن تراها من هنا .

ـ أفي طريقك أنت الى مسكنك .. ؟

ـ كلا يا سيدى .. انني في طريقي الى المدينة .

ـ لماذا .. انها تبعد كثيرا عن هذا المكان .. انها تبعد نفس المسافة التي قطعتها حتى بلغت هذا المكان .. وقد حصلت على شيء مقابل مشقتي « قال ذلك وربت على الحقيبة الممتلئة التي يحملها .. وكان يتدلى منها مخلب صغير لطائر من طيور السمان .. على حين كان منقاره مشدودا بقوة في خطاف كاشفا عن موته .

ـ من الأفضل لك أن تعودى أدراجك الى موطنك .. أيتها الجدة ..

ـ انني مضطرة الى الذهاب الى المدينة يا سيدى .. لقد حان الوقت .

وأطلق الصياد ضحكة أخرى تردد صداها في كل أرجاء المكان .

ـ انني أعرف المسنين الملونين .. انهم لا يضيعون فرصة الذهاب الى المدينة لمشاهدة سانتاكلوس ولكن شيئا ما .. جعل فونيكس تقف ساكنة تماما .. لقد التمعت التجاعيد الغائرة في وجهها بوميض صارم .. لقد رأت على غير توقع قطعة نقود لامعة تسقط من جيب الرجل على الأرض .. بينما كان يسألها : كم عمرك أيتها الجدة ؟

ـ لن أقول لك يا سيدى .. لن أقول لك ..

ثم أطلقت صيحة قصيرة وصفقت بيديها وقالت .. « اذهب بعيدا أيها الكلب .. أنظر .. أنظر الى ذلك الكلب .. »

وضحكت كما لو كانت تظهر اعجابها .. « انه لا يخشى أحدا .. انه كلب ضخم أسود » .

وهمست : « هسه عليه » ..

ـ راقبيني وأنا أتخلص من هذا الكلب الأسود .. قالها الصياد وهو يصيح بكلبه .. « هسه عليه .. بيت .. هسه عليه ..

وسمعت العجوز الكلبين وهما يتقاتلان .. وسمعت الرجل وهو يعدو ويقذف بالحجارة .. بل أنها سمعت كذلك طلقة رصاص .. لكنها كانت في ذلك الوقت تنحنى ببطء الى الأمام .. تنحنى أكثر .. فأكثر .. كانت أهدابها تنسدل على عينيها .. كما لو كانت تقوم بذلك العمل خلال نومها وواصلت انحناءها حتى أصبحت ذقنها قريبة من ركبتيها .. وانسلت راحتها الصفراء اللون من طيات ثوبها وامتدت أصابعها تحت التراب .. ورفعت قطعة النقود برفق .. كما لو كانت ترفع بيضة من تحت دجاجة تحتضن بيضا .. ونهضت ببطء .. وقفت منتصبة تماما .. بعد أن أخفت قطعة النقود في جيبها

وحلق طائر بالقرب منها .. وتحركت سفتاها وقالت « لقد راقبني الله طوال الوقت .. لقد وصل بي الأمر الى حد السرقة .. »

ورجع الرجل .. وراح كلبه وحده يلهث حولهما .

وقال الصياد : حسنا .. لقد طاردت الكلب الأسود وأرغمته على الفرار هذه المرة » .

وضحك الصياد ورفع بندقيته وصوبها في اتجاه العجوز .

ـ كلا يا سيدى .. لقد شاهدت الكثير من البنادق تنطلق بالقرب مني خلال حياتي .. ولأشياء أقل شأنا مما فعلت .. قالت ذلك وهي تقف ساكنة تماما ..

وابتسم الصياد .. وحمل البندقية على كتفه وقال : حسنا أيتها الجدة .. لابد أنك تبلغين من العمر مائة عام .. ولا تخشين شيئا . كان بودى أن أعطيك عشرة سنتات لو كنت أحمل نقودا .. لكن تقبلي نصيحتي .. واستقرى في بيتك ولن يحدث لك شيء ..

ـ انني مضطرة الى المضى في طريقي .. يا سيدى .. قالت العمة فونيكس ذلك وأطرقت برأسها المعصوبة في قطعة القماش الأحمر .. ثم مضى كل منهما في اتجاه مختلف .. غير أنه كان في وسعها أن تسمع طلقات الرصاص مرة بعد أخرى فوق التل ..

.. ومضت في سيرها .. كانت الظلال التي تلقى بها أشجار السنديان تخيم على الطريق مثل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ستائر ثم شمت رائحة دخان ‥ واستنشقت رائحة النهر ‥ وأبصرت برجا لكنيسة ومجموعة من الأكواخ ‥ وراح عشرات من الأطفال السود يدورون حولها ‥ وهناك على البعد ‥ كانت تقع مدينة ناتشيز المتألقة بالأضواء وكانت الأجراس تدق ‥
و ‥ واصلت السير ‥

كانت المدينة بشوارعها المرصوفة تحتفل بعيد الميلاد ‥ وكانت هناك مصابيح كهربائية حمراء وخضراء معلقة ومتشابكة فى كل مكان ‥ ويتدفق منها النور فى وضح النهار ‥

وكان من الممكن أن تضل فونيكس العجوز الطريق لولا أنها لم تتشكك فى نور بصرها ولولا أنها اعتمدت على قدميها اللتين كانتا تعرفان الى أين تحملانها ·

وتوقفت العجوز ساكنة على جانب الطريق حيث كان الناس يمرون بها وفى أثناء ذلك أقدمت سيدة وسط الزحام حاملة مجموعة من الهدايا الملفوفة فى أوراق حمراء وخضراء وفضية ‥ وكان يفوح منها عطر ‥ مثل عطر الوردة الحمراء فى صيف حار ‥ وأوقفتها فونيكس ·

ـ من فضلك يا آنسة ‥ أيمكنك عقد رباط حذائى ‥ قالت ذلك وهى ترفع قدمها ‥

ـ ماذا تريدين يا جدتى ؟

وقالت العجوز :

ـ أنظرى الى حذائى ‥ أنه يكون على ما يرام عندما أسير به فى الريف ‥ أما هنا فلن يكون من اللائق أن أدخل به على هذا النحو فى مبنى كبير ‥

ـ قفى ساكنة اذن يا جدتى ‥ قالت السيدة ذلك وهى تضع الهدايا على الرصيف الى جوارها ‥ وعقدت رباط فردتى الحذاء باحكام·

وقالت العجوز : لا أستطيع عقدهما باستخدام عصا ‥ شكرا لك اننى لا أتحرج من أن أسأل سيدة لطيفة أن تعقد رباط حذائى حين أخرج الى الشارع ‥

وتحركت العجوز ببطء ودلفت وهى تتمايل فى خطوها الى داخل المبنى الكبير ‥ وراحت تصعد وتصعد درجات مجموعة من السلالم ‥ تصعد وتدور ‥ وتدور الى أن عرفت قدماها أين تقفان ·‥

ودخلت الى غرفة ‥ وهناك أبصرت اعلانا مثبتا الى جدار ومدموغا بخاتم ذهبى ويحيط به اطار ذهبى ‥ يتماثل وصورة مرسومة فى رأسها ‥ ها أنا ذا قد وصلت ‥ وبدت على وجهها علامات صرامة ملحوظة ·

ـ حالة طلب احسان ‥ كما أفترض ‥ قالتها عاملة كانت تجلس الى مكتب أمامها ·

ولكن العجوز كانت تنظر فقط الى ما فوق رأسها ‥ كان وجهها ينضح عرقا ‥ وكانت الغضون التى تتخلل جلدها ‥ تلمع مثل شبكة ذات بريق ‥

وهتفت بها المرأة العاملة :

ـ تكلمى أيتها الجدة ‥ ما اسمك ؟ لابد أن نعرف تاريخ حياتك ‥ كما تعرفين ‥ هل جئت الى هنا من قبل ‥ مم تشكين ‥ ؟

واختلج وجه فونيكس العجوز فقط كما لو كان ثمة ذبابة تضايقها ·

وصاحت العاملة : هل أنت صماء ‥ ؟

وعندئذ جاءت الممرضة ‥ قالت

ـ أوه ‥ هذه هى العمة فونيكس العجوز ‥ أنها تقوم بهذه الرحلات بانتظام مثل ساعة ‥ أنها تقطن هناك بعيدا عن مدينة ناتشيز القديمة ·

وانحنت الممرضة الى الأمام ‥ وقالت وهى تشير الى مقعد ‥

ـ حسنا يا عمة فونيكس ‥ لماذا لا تجلسين ؟‥ اننا لن ندعك تقفين ‥ بعد رحلتك الطويلة ‥ وجلست العجوز منتصبة على كرسى ‥

وسألتها الممرضة : والآن ‥ كيف حال الصبى ؟

ـ أقول ‥ كيف حال الصبى ‥ ؟

ولكن العجوز ظلت صامتة تنتظر ‥ وتحدق أمامها مباشرة على حين تكسو وجهها ملامح جادة ورزينة · وعادت الممرضة تسأل : هل حلقه احسن الآن ؟ ‥ يا عمة فونيكس · ألا تسمعينى ؟

هل تحسن حلق حفيدك الى حد ما منذ آخر مرة جئت فيها الى هنا لأخذ الدواء ‥ ؟

وراحت العجوز وهى تضع يديها على ركبتيها ‥

تنتظر .. صامتة منتصبة وبلا حراك كما لو كانت تلبس دروعا ..

– لا يجب عليك أن تضيعي وقتنا على هذا النحو يا عمة فونيكس .. حدثينا بسرعة عن حفيدك .. وأنهي الموضوع .. انه لم يمت أليس كذلك .. ؟

وأخيرا .. صدرت عنها اختلاجة وعبر وميض يشي بالادراك وجهها .. ثم .. نطقت العجوز ..

– حفيدى .. يبدو كما لو أن ذاكرتى قد غابت عنى .. ها أنا ذا أجلس .. ناسية السبب الذى من أجله قمت برحلتى الطويلة ..

وقالت الممرضة وهى تقطب وجهها .. « نسيت .. ؟ بعد أن قطعت كل هذه المسافة البعيدة ؟ »

وقالت فونيكس التى كانت تبدو مثل امرأة عجوز تستجدى العفو بسبب استيقاظها .. خائفة فى الليل ..

« اننى لم أذهب قط الى مدرسة .. لقد كنت متقدمة فى السن وقت الاستسلام .. اننى امرأة مسنة بغير تعليم .. أن ذاكرتى هى التى خانتنى .. حفيدى الصغير .. انه كما هو .. ولقد نسيت ذلك وأنا فى طريقى الى هنا » .

– ان الحلق لا يشفى أبدا .. قالتها الممرضة وهى تتحدث بصوت عال واثق الى فونيكس العجوز .. وكانت الممرضة قد فرغت من اعداد بطاقة عليها بعض البيانات .. نعم لقد .. ابتلع .. « بوتاس » .. متى كان ذلك ؟ فى يناير قبل سنتين أو ثلاث سنوات ..

وبدأت العجوز تسترسل فى الحديث بغير أن يطلب منها ذلك .. « كلا يا آنسة .. انه لم يمت .. أن حالته كما هى .. تماما .. بين وقت لآخر يبدأ حلقه فى الانسداد مرة أخرى ويصبح عاجزا عن البلع .. كما يصبح تنفسه شاقا ويعجز عن مساعدة نفسه .. ومن ثم فقد حان الوقت .. وها أنا ذا جئت فى رحلة أخرى من أجل الدواء المسكن » .

وقالت الممرضة : حسنا .. لقد أمر الطبيب بأن تحصلى على الدواء فى كل مرة تجيئين فيها لأخذه .. لكن حالة حفيدك حالة مستعصية ..

– حفيدى الصغير .. انه يجلس هناك فى المنزل يحيط الغطاء كل جسمه .. وينتظر وحده ..

واستطردت العجوز قائلة : اننا نحن الاثنين .. أنا وهو الوحيدان اللذان تركنا فى العالم .. انه يعانى .. ولا يبدو أن الدواء سوف يعيد اليه الشفاء ثانية .. انه جميل .. وسوف يعيش انه يلف جسمه فى لحاف صغير متعدد الألوان .. ينظر منه فاغر الفم مثل طائر صغير .. اننى أتذكر هذا بوضوح الآن .. لن أنساه ثانية .. كلا .. لن أنساه على امتداد الزمن الباقى كله .. فى مقدرى أن أميزه من بين كل البشر الآخرين ..

– حسنا .. قالتها الممرضة وهى تحاول أن تسكتها .. وأحضرت لها قارورة من الدواء ... وأمسكت العجوز الزجاجة وقربتها من عينيها .. ثم وضعتها بعناية فى جيبها .. وقالت : شكرا لك

وقالت العاملة : هذا هو وقت الاحتفال بعيد الميلاد .. أيتها الجدة .. هل أستطيع أن أمنحك عدة بنسات من كيس نقودى .. ؟

قالت العجوز بجفاء :

– ان خمسة بنسات تساوى نيكل .

– هذه قطعة ذات خمسة بنسات ..

ونهضت العجوز بحرص، ومدت يدها تناولت قطعة النقود .. وأخرجت القطعة الأخرى من جيبها ووضعتها الى جانب القطعة الجديدة . وحملقت بدقة فى راحة يدها ورأسها يميل على أحد كتفيها .. ودقت على الأرض بعصاها .. وقالت : هذا ما ينبغى أن أعمله .. سأذهب الى المتجر واشترى لولدى طاحونة صغيرة من ذلك النوع الذى يبيعونه .. طاحونة مصنوعة من الورق . ولسوف يجد من العسير عليه أن يصدق أن هناك شيئا كهذا فى العالم .. سأعود أدراجى الى حيث ينتظر .. وأنا أمسك بالطاحونه فى هذه اليد ..

ورفعت يدها الخالية وحركت رأسها فى ايماءة صغيرة .. ثم استدارت ومضت خارجة من مكتب الصحة .. وفى خطوات بطيئة راحت تهبط السلم .

القاهرة : عبد الحكيم فهيم

تعريف بالكاتب :

يعتبر « سلافومير ميروجيك » من كبار الكتاب الأوروبيين المعاصرين . ولد فى « بورزيسين » ببولندا سنة ١٩٣٠ . ألف عددا من القصص القصيرة منها « الفيل » سنة ١٩٥٧ و « المطر » سنة ١٩٦٢ ، ولكنه اشتهر بمسرحياته الساخرة التى تنتمى الى مسرح العبث ، ومنها : « الشرطة » و « تانجو » و « المهاجرون » . يعيش حاليا فى فرنسا .

تأليف : سلافومير ميروجيك
ترجمة : سيزا قاسم

فى غرفتى كان السرير هنا ، والدولاب هناك ، وبينهما المنضدة .

وبعد حين لم أعد أطيق فوضعت السرير هناك ، والدولاب هنا .

بداية غمرتنى نفحة من الجدة المنعشة .. ولكن ، بعد حين ، مرة ثانية ، الملل . استنتجت أن مصدره المنضدة . بالأحرى ، وضعها الذى لم يتغير فى الوسط .

فوضعت المنضدة هناك ، والسرير فى الوسط . غير تقليدى .

مرة ثانية تملكتنى فورة الجدة ، واستمرت . طالما تقبلت ازعاج اللاتقليدية ، فقد تعذر النوم . فأنا لا أعرف النوم الا ووجهى الى الحائط . الوضع المفضل منذ الصغر .

بعد حين بلت الجدة وبقى الازعاج . وعليه نقلت السرير هنا والدولاب وسط الغرفة .

الدولاب وسط الغرفة هذا تغيير جذرى ! لم يعد الحل مجرد غير تقليدى بل طليعى .

ولكن بعد « حين » ... آه لو لم يكن هذا « الحين » ! باختصار ، حتى وضع الدولاب وسط الغرفة فقد جدته ، ولم يعد غريبا . فكان لابد للأمر أن يحسم ، أن يتخذ قرار .

لو استحال التغيير الحقيقى فى اطار الوضع القائم فلابد من الخروج عليه .. فعندما لا تكفى اللاتقليدية ، وتفقد الطليعية فعاليتها ، فلابد من قيام الثورة .

قررت أن أنام فى الدولاب .

كل من جرب النوم فى الدولاب يعرف أن هذا الوضع عامة غير مريح . يطير النوم . هذا بخلاف خدر باطن القدم ، وآلام العمود الفقرى .

نعم كان القرار صائبا . نجاح ونصر كامل . حتى « الحين » فقد فعاليته فى اعادة الملل هذه المرة .

غير أنى فى الواقع لم آلف هذا التغيير مع الزمن ، اذ أنه أرهف حواسى ؛ فتزايد الشعور بالألم مع الوقت .

كل شىء كان سيسير على ما يرام لولا ضعف الجسد . ذات ليلة خارت قواى تماما فخرجت من الدولاب واستلقيت على السرير .

نمت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ثم أسندت الدولاب للحائط ، والمنضدة وسط الغرفة .

والآن ، مرة أخرى ، السرير هنا ، والدولاب هناك ؛ وبينهما المنضدة وعندما يفيض بى الملل أتذكر أيام كنت ثوريا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

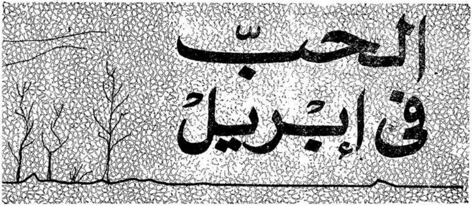

سحابة بيضاء تحجب القمر

والزهـر ما يزال ..

يراقص الرياح .. والشجر

وحارَّةٌ ريح الخماسين التى تهب

قويَّة فيها عواطف الصحراء .

وفى الحضَرْ ...

إبريل شهر الحب والكذب ...

أو هكذا يشاعْ !

* * *

قالت .. وفى عيونها التماعة الشعاعْ

لاتقترب ..

وظلَّ حيث أنت ...

بريَّةٌ أعود مثلما بدأت ...

أعود للوراء ...

قال المحب ..

لكننى أعود بالرحيق والمطر ...

أعود بالحياة .. للضفاف ..

محمَّلا بالخصب ... والنماء ...

قالت :

بل التعب ...

أضنَتْك أنت شُقَّة السّفر ..

أمّا أنا ففى بداية الرحيل كنت أنتظر

وحين طالْ ...

مات الجنين فى مخيّم الجفاف والسَّهر ..

وعاد لى قلبى الذى ذهب ..

قال الفتى الظمآن للعناق :

– وحارَّةٌ ريح الخماسين التى تهب –

لكننى أعود .. بالآمال.. من جديد ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

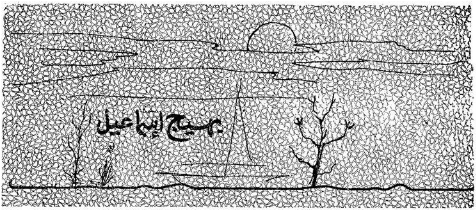

بالحب .. بالأحلام .. بالأشواق ...

قالت وفى عيونها شراسة الوعيد

لاتقتَرب ..

ولاتدنس لحظة الفراق ..

لاتقتربْ وظلَّ حيث أنت ..

بريَّةً أعود مثلما بدأت ...

أعود للوراء ...

قال الفتى المفتون بالشباب .... والقمر...

وطامعا فى أن يذوق لذة الثمر ...

« لكننى أعود بالجواد مُطهما ...

وبالحرير ناعما ...

وبالحنين ساهرا .. على الشموع ...

وبالرداء »

قالت .. وفوق وجنتيها زفّة الدماء ...

وحارّة ريح الخماسين التى تهبّ .

أعُدت .. حقا .. بالرداء ؟ ..

بل عدت أيضا بالقمر ! ..

ثم اقترب ...

يصالح الشفاه ...

يعتذر ...

* * *

قال القمر ...

وقد أطلَّ ... يرسل الشعاع :

إبريل شهر الحب والكذب ...

شهر الحياة والخصبِ

شهر .. الطَّلْع .. والمتاع ..

والصَّخَب !

القاهرة : بهيج اسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثالث

سامي فريد

المدينة من هنا يراها تحت قدميه • صغيرة البيوت • تمتد حدودها حتى الافق • من ورائها الجبل • تتشابك بيوتها ويلتصق كل شيء فيها • وأشجارها تبدو له صفا واحدا ، كتلك الرسوم التي كان يراها في مجلات الأطفال • تهبط الشمس وراء الجبل تسحب خلفها آخر خيوط الضوء الأصفر • تجتاح الظلمة تفاصيل المدينة • تضيء خلف زجاج نوافذها المصابيح • تذكر آخر مرة كانت فيها معه • في نفس هذا المكان • قال لها : انه مثل الآخرين يريد أن تكون له في هذه المدينة نافذة ينتظره خلفها انسان • قد لا يرى نافذته من مكانه هنا ، لكنه يشعر أنها هناك • يكفيه الاحساس أن له نافذة في المدينة يضيء خلفها مصباح • يتحرك وراء زجاجها انسان يعرفه • يفكر فيه وينتظره • يفتح له الباب اذا سمع دقته عليه •

في عينيها يقرأ سطور أيامه المقبلة • تتفتح أمامه بوابات المستقبل • يحتار أيها يختار ، ليدخل منها • ترشده نظرة عينيها • يسير الى حيث أشارت • على صدرها يحكي أحلامه •• يودع ظلال الأمس ، يدير ظهره للخوف • يتطلع في ثبات الى يوم جميل •

الخطوط في كفها البيضاء الدقيقة كثيرة ومتشعبة • سار بأصبعه فوق واحد منها • ضاحكة ضمت أصابعها بسرعة • سألته ماذا رأى في كفها ؟ رفع اليها وجها مبتسما • قال انه يراها خلف زجاج النافذة التي يحكي لها عنها • أطرقت • رفع وجهها اليه • وأضاف انه يجوب شوارع المدينة كل يوم • ويضرب فيها على غير هدى • يفتش في بيوتها عن نافذة تكون له • لا يعرف أسماء الشوارع • لا تهمه الأسماء • تضيق الشوارع أمامه أو تتسع • تشغي بالحركة أو يلفها الموت • تواجه بيوتها العراء أو تتوارى خلف ظلام الأشجار • لا يعنيه الا أن تقع عيناه على نافذة يعرفها • يحس خلفها بالأمان ، وتنقطع المطاردة •

اربد وجهها • قالت تذكره أنهما اتفقا على ألا يعود للكلام في هذا الموضوع مرة ثانية • هز رأسه موافقا • هدأت ملامحها • قالت : أنت تتخيل أشياء لا وجود لها • الحقيقة الوحيدة هي أنني معك • الى جوارك • قاطعها : الآن • قالت نعم • الان • وأي فرق • نظر الى المدينة على البعد • تأمل أضواءها • الطريق الصاعد الى الجبل يمر من خلفهما • أضيئت مصابيحه القليلة فتناثرت بقع من الضوء الخافت فوق سواد الأسفلت • التفت اليها • قال انه رآه بالأمس • وجده أمامه • ظنه هي • ما ان فتح لها الباب حتى انقض عليه • أسقطه على الأرض• وراح يجري في الشقة مقهقها في ازدراء صاخب• قالت انه في هذه الحالة يجب أن يستشير طبيبا مختصا •• صرخ في وجهها بأنه ليس مجنونا ، وأنه يعي تماما كل كلمة يقولها • سألها مستنكرا : لماذا لا تصدقه ؟ هه • ولماذا تنفي كل ما تسمعه عنه ؟ لماذا تدافع عنه كلما جاء ذكره في كلامه • أجابت وهي تهم بالنهوض بأن أوهامه تزرع الأرض أمامه بالشوك ، وأنه لو أصر على اعتقاده فان عليه أن يختار ، واستدارت مبتعدة عنه • سار خلفها حتى بلغا أول الطريق النازل الى المدينة • وقف أمامها يتأمل وجهها• يحب شعرها عندما يحمله الهواء خلف رأسها • أناملها الدقيقة تحاول دون جدوى الامساك بخصلاتها المتطايرة • يطن الهواء في أذنيه يصفر حول سيارته • لا يسمع صوتها • يبتسم لها • يلفهما ظلام الطريق • قال لها انه يحس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالظلام قد وضع يده على كل مساحات النور في حياته ٠ لم يترك له مكانا مضيئا يتنفس فيه ٠ بحرارة راح يشرح لها كيف انه أصبح يراه حوله في كل مكان ٠ عندما أدار المفتاح في باب شقته سمع تنفسه خلف الباب ٠ وبهدوء سحب الباب وانطلق يعدو الى الطريق ٠ لم يقو على الالتفات خلفه ، خشية أن يراه ٠ كان يحس بخطواته خلفه تطارده ٠ سمعها ٠ أحس وقع صداها في أذنيه٠ عندما عاد للشقة في الصباح كانت في حالة من الفوضى الشديدة ٠ لا شك أنه قلب كل ركن فيها يفتش عن شيء يريده ٠ لا يدري ما هو ٠ دار في الشقة يبحث في كل ركن فيها عن أي أثر له ٠ الخبيث لم يترك أثرا واحدا يدل عليه ٠ يريد أن يوصله الى الجنون ٠ أنفاسه أصبح يحس بها حوله تلفح وجهه ولا يراه ٠ عندما هم بالنوم رأى وجهه الكئيب خلفه في المرآة ٠ صرخ مذعورا فاختفى ٠ قالت انه يجب ألا يستسلم لأوهامه ، وأنه لابد له من استشارة طبيب ، لأنني فيما يبدو لها أعاني من حالة من الارهاق الشديد ٠ احتاج معها الى الراحة ٠ قال لها : انه يدرك تماما أنه لن يكف عن مطاردته الا اذا تركها له ٠ أضاف بصوت يقترب من البكاء : انه لا يقوى على تركها ٠ ولا يقوى في الوقت نفسه على احتماله أو مواجهته ، وانها يجب أن تساعده ضده ٠٠ سألت : كيف ؟ قال انه يريد أن يعرف أين يجده ، ليفرغ فيه مسدسه ، ثم يرتمي ليلتقط أنفاسه ؛ بعد أن يتخلص منه الى الأبد ٠ لتكون له وحده ٠ ضحكت في دهشة مستنكرة الفكرة ٠ أحس من ضحكتها أنها تخفي شيئا عنه ، وأنها لابد تعرف أين هو ٠ أمسك بها يهزها في عنف ليرغمها على الكلام ٠ تخلصت من يديه ، وانفلتت تجري هاربة ٠ غاصت في الظلام ٠ صوت خطواتها الهاربة يبتعد ٠ أخرج مسدسه يصوبه نحو الظلام ٠ يتسمع وقع خطواتها ٠ لم يستطع تحديد مصدرها ٠ أرجأ كل شيء لوقت آخر ٠ أخفى المسدس ٠ وانطلق يعدو خلفها ٠

كانت نافذتها مضاءة عند وصوله ٠ راقب الشارع قبل أن يعبره الى المنزل ٠ بحذر شديد راح يصعد درجات السلم ٠ وضع أصبعه على الجرس ووقف ينتظر ٠ جاء صوتها من الداخل خائفا مترددا يسأل ٠ خرج صوته هادئا يطمئنها٠ فتحت ببطء شراعة الباب ٠ حملقت مذعورة في وجهه ٠ ابتسم لها مشجعا ٠ قال انه لابد أن يناقشها في كل شيء لتضع حدا لهذه المهزلة ٠ فتحت الباب ومازال الخوف يلون ملامحها ٠ أزاحها من الطريق برفق ، وخطا داخلا ٠ قال لها انه لابد من تسوية هذا الأمر الليلة ٠ الآن ٠ لأنها لن تعرف طعما للسعادة وهو ثالثهما ٠ ارتعش صوته بينما هو يشرح لها حاجته اليها ٠ أحس برغبة ملحة في البكاء أمامها ٠ تمنى لو أنها ضمته اليها ليريح رأسه المتعب على صدرها٠ للحظة ، خيل اليه أنه لمحه يعبر من غرفة الى أخرى ٠ قفز بعيدا عنها ٠ أشار اليه ٠ قال : انه رآه ٠ أكد لها أنه يختفي عندها ، وأن هذا آخر ما كان يتوقع ٠ تساءل : كيف فاته ألا يبحث عنه هنا ٠ هزت رأسها بشدة ٠ أشارت بيديها تؤكد له أنه لا يرى شيئا ٠ صاحت في وجهه انه لا أحد بالشقة ٠ أزاحها من طريقه بشدة ٠ ارتطم ظهرها بالحائط ، فوقفت ملتصقة به ، وقد اتسعت عيناها رعبا ٠ أخرج مسدسه ؛ وانطلق في الشقة يفتش عنه ٠ هجمت تتشبث به من الخلف تمنعه من الدخول ٠ هددت بأنها ستصرخ لو أنه تقدم خطوة واحدة داخل الشقة٠ تحول الشك داخله يقينا ، بأنها تخفيه عندها قال وهو يضغط بأصابعه فوق رقبتها ، بأنه سيقتله ، ويقتلها ٠٠ ارتطم في نفس اللحظة باب الغرفة الداخلية ٠ أطلق الرصاص على مصدر الصوت ٠ انفتحت الأبواب تبحث عن مصدر الطلقات ٠ أزاحت يده من فوق رقبتها ٠ وقفت أمامه تواجهه ، عيناها ممتلئتان بالتحدي ٠٠ قالت ان من يبحث عنه لا يوجد الا هنا ، وأشارت الى رأسه ٠ وارتفعت أصوات السكان خلف باب الشقة ٠ صرخت في وجهه بأنها لا تريد أن تراه بعد اليوم ، وأنه يكفيها منه ما حدث ٠٠ قال لنفسه مقتنعا : انه مادام قد عثر عليه ، فلابد من أن يضع نهايته بيده ٠ رفع مسدسه الى حيث أشارت ، والاحساس بالانتصار يملؤه ٠٠ ارتفع حاجبها فزعا ٠٠ ضيق عينه حتى لا يخطئه ٠٠ وببطء شديد التف أصبعه حول الزناد يسحبه ٠

القاهرة : سامي فريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرحيل عن خطوط النار

عزت الطيرى

« الى أبطـال فلسطين »

لقطة أولى

قبيل لحظة الرحيل
رأيتُ وجهك النحيل فوق الشاشة البيضاء
لم يهدّه التعب
رأيتُ وجهك النبيل يشرئب
وزوجَك الحسناء تنتحب
وطفلك الصغير بين ثلة الرفاقِ
فوق العربه
يطوف زائغ العينين ، يمسح الوجوه
بالبراءة المغتصبه
كان الرفاق يحبسون الدمع ، يبسمون
يصنعون الجلبه
كان جموع من يودّعون يهتفونْ
ويصرخون في جنون
إلى اللقاء .. عائدون
إلى اللقاء .. عائدون !

لقطة ثانية

رأيتُ إصبعك السبّابه
فى أمسنا القريب فوق قمة الزناد
تفجّر العناد
وتحرس البلادمن وحوش غابه
تحطِم الأسطول والدبّابه
وتَكْسِر الجمود والرتابه
تقاوم الحصار والضغطا
رأيتها .. قد فارقت إصبعك الوسطى
ترسم للجموع والمصورين والمشاهدينْ
علامة النصر المبينْ

لقطة ثالثة

أمدّ إصبعى السبابه

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

أضغطُ فوق قمة المفتاح ،

أقفلُ الجهاز

تعود إصبعىَ المهانه .. إلى اليد المهانه

ويختفى خلف اليدين

وجهىَ الجبان

وجهى المدان

لقطة أخيرة

فى الحجرة المجاوره

تضغط زوجتى على زجاجة « البرفان »

بالإصبع الإبهام

تعطر القميص فى انتظار لحظة الغرام

يازوجتى .. ياحّبىَ النقىّ

لاتقبلى إلىّ

سئمت كل شىّ

كرهت كل شى

فقدت كل شى

خسرت كل شى

لاتقبلى إلىّ

لاتقبلى إلىْ !

القاهرة : عزت الطيرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب
تقدم

كتب فنية

• سينما نعم .. سينما — فتحى العشرى
ذكريات ووجوه — زكى طليمات
• يوسف كامل — بدر الدين أبو غازى
• فن تحرير الصحف الكبرى — د. محمود فهمى
• الديكور والمسرح — لويس مليكه
• فن الإلقــاء — عبد الوارث عسر

تطلب فور صدورها من الباعة ومكتبات الهيئة وفروعها
بالقاهرة والمحافظات

ديوان

رسوم على الحائط

للشاعر سعد الحميدين

بدر توفيق

اختار الشاعر لهذا الديوان ثماني عشرة قصيدة فحسب مما كتبه خلال عشرة أعوام (١٩٦٦ ـ ١٩٧٦) وفي هذا تعبير عن أحد الجوانب الهامة التي لا تتوافر الا في الشاعر الأصيل الحصيف الحريص على مستواه الابداعي وهو السيطرة على النزعة الذاتية التي توقع الفنان بشكل عام في احبولة الفتنة بعمله فيعجز عن نقده بنفسه نقدا ذاتيا . فلقد وجدنا بالتجربة العملية أن من الصعب اقتناع الشاعر باستبعاد عدد من قصائد ديوان مقدم للنشر لأنهـا تهبط بمستوى أغلب القصائد التي تكون جيدة من وجهة النظر الفنية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

سعد الحميدين بقسوة اختياره النقدية يقدم مثالا يحتذى في ضبط النفس الفني ، وممارسة النقد الذاتي ، نزوعا الى مستوى الشاعر الرفيع، فلا نجد بين أيدينا من قصائده على مدى عشرة أعوام سوى قصيدة واحدة لكل من أعوام ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٥ ؛ ٧٦ ؛ وقصيدتين لكل من أعوام ٦٦ ؛ ٦٧ ؛ ٧٠ ؛ وثلاث قصائد من عام ٧١ ، وأربع قصائد من عام ١٩٧٤ ، وهو العام الذى كتب فيه قصيدة « رسوم على الحائط » التي أطلق اسمها عنوانا للديوان بأكمله .

ان موقف سعد الحميدين من قصائده يدعونا للتوقف أمام هـذا العنوان المختار ، أو لعله العنوان ذاته هو الذى يشدنا اليه بما فيه من غموض قادر على الايحاء والرمز . ولعل الحائط يرمز الى الحجز والقمع وعدم السماح بالتخطى هو الحد والحجاب ونهاية المسير واحتجاب الأفق ونهاية النظر الى الامام ، وقد يكون رمز الصمت والتجهم والقسوة والبرود والصنم الأبكم المستفز . أما الرسوم فهى السيف الوحيد الذى يخوض به الشاعر معركته التي لا تخضع لهدنات ولا أحزمة حمراء أو خضراء ، وهى ثورته المتواصلة على مقررات القمع والحدود والصمت .

هذا بعض ما يتفتح عنه عنوان الديوان ، وهو تفتح من نفس النسج الذى اتخذتـه معظـم القصائد عنوانا مثل : ارتجاجات على سطح الزمن الراكد ، رحلة العيون المرمدة ، الألحان

تموت معلنة ، اطار بلا صورة ، تذكرة سفر ملغية • تجسد هذه العناوين صورا تتضمن صراعها الداخلي ، وهي صور درامية تعبر بالضرورة عن موقف شعري مأساوي ، فتذكرة السفر ملغية ، والاطار بلا صورة ، والزمن راكد والألحان المعلنة تموت •• فأي عالم حزين وفاجع هذا الذي يعبر عنه سعد الحميدين ؟

اذا قمنا بجولة سريعة بين قصائده في محاولة لرسم صورته الشعرية على امتداد سنواتها العشر ؛ فسنرى عيونه منسوجة من ظلام الليل لأن نصيبه في الحياة جعله يعيش الآية مقلوبة ، فبينما الليل لباس الناس والنهار معاشهم يكون معاشه هو في أعمال الدرك الليلية يحرس خزائن الآخرين وما له فيها من نصيب ، واشد ما في هذه الحياة من شعور فاجع هو علمه الأكيد أنها لن تتغير ، وانه سيواصل هذا العمل الكريه كارها الى الأبد ، هذا هو الظاهر المباشر للقصيدة ؛ ولكن المكر الفني المتضمن في غضون شخصية القصيدة ، التي يبدو الشاعر وكأنه على مبعدة منها ، يشدنا الى جوهر كينونة الانسان في الحياة اذ يجيئها كرها ، ويعيشها كرها ، ويفارقها كرها (أوراق من دفتر عسة ــ ١٩٦٦)

ان الانسان في عالم سعد الحميدين ضحية قومه وبيئته ، فعندما يسقط الرجل منا في الطريق جوعا ، ماديا كان أو معنويا ، يعتقد الناس للوهلة الاولى أن « القرينة » تلبسته ، فيتعرض من ممارسة الشعوذة الى مزيد من الايلام ، ويبقى هكذا مطروحا والقوم من حوله متحلقون مسلوبو الارادة ، حتى تدركه يد المعرفة المصادفة التي تفهم سر سقوطه في الطريق العام (القرينة وقطرات الماء ــ ١٩٦٦) • أنه أيضا الانسان الغريب الذي جاء يبحث في بقايا البيت عن شمعة ، عن الدبس المعتق في الجدار بقرب لحود أجداده ، فلم يجد سوى (جوقة الزار ــ ١٩٦٩) رمز التخلف والجهل والواقع المشين ، والتسلط على رقاب الناس بارهاب الخرافات • هذا هو انسان سعد الحميدين الذي يسرج زورقه في بحر من المداد ، باحثا رغم غده الميت عن الحب في كل باب ، محصلته الأخيرة زفرات الكلس والقصدير ، وتخثر السمار ، وفناء اللحن (نغمات على الطمبره ــ ١٩٦٧) وهذا هو ما تبقى له من تجاربه : نعيب غراب ، ومظلة سوداء قارية ، يجند له تحتها أتون الصمت ، فعندما مضى ينقب في ثنايا الغيب عن الحب ، لم يحصد سوى الجدب ؛ وأحزان الذين مضوا بلا وطن كأن الأرض ما كانت لهم أرضا ، وما كانوا لها أهلا (ما تبقى لي ــ ١٩٦٧)

انه عالم المطاردة القابضة للروح الانسانية : عالم شر من السل الذى قضى على الروائي التشيكي كافكا ، وطلقات الرصاص التي انتحر بها الشاعر اللبناني خليل حاوي والروائي الألماني كلايست مع حبيبته على شاطيء نهر الهافل ، والسم الذي انتحرت به الشاعرة الأمريكية آن سيكستون ، والخمر التي اطاحت بالشاعر الانجليزي دايلان توماس ، والمصري نجيب سرور ، والروائي الامريكي فيتز جيرالد•• وتلك المنافي الشاسعة لبريشت وآرنت ورامبو وباوند والتونسي والبارودي •

رسوم على الحائط

تجيئين قلت مع الغيم ، قلت •• تجيئين عند احتدام الرعود وقلت •• تجيئين عند المساء وعند بداية كل صباح وقلت •• وقلت وكان انتظار •

بنيت على الدرب كوخ انتظار لعلي أراك بفصل الربيع مع العشب حين يجيء المطر •• وهبت رياح الشمال مرارا •• مرور القطار •• الخريف وليس هنا لك غير انتظار •

وأيوب •• كان الكتاب •• الجريدة ، ترحل قرب الصباح بوادر حلم اللقاء البعيد •• وتنسج ثوبا •

ويا باكورة الأحلام •
ان جاءتك آهاتي
تسيل على دروب التيه رنانه •
اجيبي بالنداء الغائر النبرات
وقولي عندها : كان اللقاء البكر حادينا •
وكم ماجت ظلال عرائش الذكرى
علينا عندما كنا

يرود بقاع التذكر سحر الجفون ، يشد حزام اللقاء الذى كان يوما قصائد تتلى ، يؤطرها الشوق والحلم واللهفة المخملية بين بريق العيون وهمس الشفاه ٠

وتطفو على السطح كل القشور ، يعوم بها الموج ٠٠ والموج يحدو الأولى ضاع منهم على الشط سفر التذكر ٠٠ يعصف ٠٠ يعلج ٠٠ يخطف ٠٠ كل الحكايا ٠٠ حكايا انتظار ٠

يجيء غنام الاحبة قبلا ــ قفا نبك أو ــ يا فؤادى رفقا ــ علامات حب يلقنها الوجد للصب وقت الرجوع ٠

أنا مازلت احفر فى الجدار ،
أحدد الأيام ٠
لعل خيالك الليلى ٠٠
يرسف فى قيود العين ٠
والمس نشوة التذكار
فليت نهاية الأشياء
تعود الى بدايتها ٠
تجيء حبيبتى الأولى ٠

١٩٧٤

هذه هى قصيدة « رسوم على الحائط » كما نجدها فى الديوان شكلا ونصا ، يتناوب فيها لحنان وشكلان أساسيان : البحر المتقارب فى المقطع الأول والثانى والثالث والخامس والسادس والسابع فى شكل سطور متصلة ، والبحر الوافر فى المقطعين الرابع والثامن فى شكل أسطر مستقلة ٠

فى المقاطع الثلاثة الأولى لوحات للعقم ، الانتظار العقيم ، الحلم الحى والواقع الخاوى ؛ الباب المفتوح والقادم الذى لا يجيء ٠ وفيها الجدة التى تلاقينا من أول أطراف العبارة الشعرية الأولى اذ ينقلب النسق المتعارف عليه فى وظائف الكلمات والشيئيات فى صياغة مقتضبة مركزة مشحونة بفداحة اليأس المطبق ، متسقة مع اللهجة الموسيقية المتعجلة للبحر المتقارب (فعولن)

فى المقطع الرابع يختلف الايقاع الموسيقى مواكبا اختلاف الايقاع النفسى فى موقف المناجاة، فينتقل الشاعر من مشاهد العقم فى المقاطع الثلاثة الأولى الى مشهد الغناء الملتاع لباكورة الأحلام التى انفصلت عن حياته بلا أى أمل فى أى احتمال قد تسفر عنه الأيام ، ولا حتى أمل التعبير عن أى أثر لتلك الأحلام الباكرة حتى لو افترض امكان وصول آهاته على دروب التيه ٠ هذا المقطع من بحر الوافر (مفاعلتن) الذى يتسع لحنه العريض المنساب للغناء الفاجع ، بينما كانت موسيقاه فى اللوحات الثلاث السابقة من بحر المتقارب الذى هيأ فرصة محكمة لتوصيل التأنيب الغاضب الحاد والعتاب المقتضب الصارم ، وهو نفس الايقاع الذى يعود اليه الشاعر فى المقطع الخامس والسادس والسابع حتى يرجع فى المقطع الأخير الى نفس موسيقى مقطعه الرابع من البحر الوافر ٠ هكذا تتتابع الدراما الموسيقية فى القصيدة ، قرارا وجوابا ، بشكل يحقق التطابق والاتساق والتناغم مع دراما موقف المناجاة ، وهذه من عناصر الابداع والتجديد التى يتسم بها الشعر الحر ٠

ومما يذكر لسعد الحميدين ويبدو واضحا فى قصائده محاولاته الدائبة فى معمار القصيدة واستخدام علامات الترقيم ٠ وقد اعتمد الشاعر فى عبارته الشعرية على شكلين مما شاع فى الشعر الحر ، استراح اليهما ، أولهما ــ وهو الأسبق أيضا من الناحية الابداعية فى حركة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر الحر – الأسطر المستقلة بعدد تفعيلاتها المتغيرة أو غير المتغيرة من سطر الى سطر والتى تنتهى بتمام التفعيلة كوحدة موسيقية ، أو بجزء منها ، ثم يبدأ سطر جديد ، وتتوالى السطور حتى تكتمل الصورة الشعرية أو الجملة أو الفكرة مشكلة بذلك مقطعا من مقاطع القصيدة ، وتتتابع المقاطع حتى تكتمل القصيدة ، وهذا هو الشكل السائد فى معظم قصائد الديوان مثل : ورقة من اعترافات شاعر ، الألحان تموت معلنة ، نغمات على الطمبرة ؛ اطار بلا صورة ، رحلة العيون المرمدة التى يقول فى مفتتحها :

على كتفى تموت مواكب الألحان
وتقعى الآه فى قيدوم احساسى
كأنى ارتدى ثوبا من الأواه .. !
لأنى قد أتيت وفى فمى أقوال .
من المدن البعيدة خلف أرتال من الرمل ..
أمط وراء خطواتى ..
حبالا من لحون الآه ..
فقلت .. وقلت .. حتى ملنى القول
وجف النبع ، ماتت كل أزهارى .

أما الشكل الثانى فهو ما تعارفنا على وصفه بالتدوير أو القصيدة المدورة حيث تتتابع التفعيلات فى سطور متلاحقة متخذة شكل الكتابة النثرية التى تصل الى وقفة عند تمام الصورة الشعرية ، وتشكل كل صورة بذلك مقطعا كاملا من القصيدة ، وتتلاحق المقاطع حتى تكتمل القصيدة . وقد تكون القصيدة فى هذه الحالة مقطعا واحدا أو صورة شعرية طويلة مركبة . ويبدو هذا بشكل متقن فى قصيدة « رسوم على الحائط » التى مزج الشاعر فيها الشكلين ، كما تبدو تلك المقاطع المدورة بشكل آخر فى قصيدة « ارتجاجات على سطح الزمن الراكد ١٩٧١ » و « القول المقطوع وحكايا الأمس ١٩٧٦ » « وتذكرة سفر ملغية » ١٩٧٤ ، **التى يقول فى مقطعها الثانى : تقرفصت وسط الطريق ، لعلى أراك ، هنا أو ارى من يراكم ، هنا قد مشينا معا، أسائل عنك جميع العبور ، يصافحنى بعضهم بالنقود وهذا الزمان زمان النقود ، خذينى اليك فما عدت أقوى انتظار القوافل .**

هذا من ناحية الشكل ، أما من ناحية علامات الترقيم التى تصل ما بين مقاطع القصيدة الواحدة فاننا نجد تجريب سعد الحميدين يشملها جميعا فهو مثلا يستخدم الأرقام فى « ارتجاجات على سطح الزمن الراكد » ، والحروف الأبجدية فى سطح الزمن الراكد « ، والحروف الأبجدية فى « ما تبقى لى » والصوت والكورس فى « رحلة العيون المرمدة » والفواصل الصامتة فى «المدينة المترهلة » وفى معظم قصائد الديوان .

ان هذا الذى يبدو تحيرا وقلقا فى الشكل وعلامات الترقيم يعكس طموح الشاعر الى تحقيق شخصيته التعبيرية الخاصة فى التيه الذى تجوبه حركة الشعر الحر منذ ثلاثين عاما ، ومازال روادها الأوائل الأحياء يجربون ، ورحم الله بدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور فقد أبدعا وتركا لنا تراثا خالدا من الشعر الحر ، وانتقلت القصيدة العربية الجديدة من العراق ومصر الى الاقطار العربية جمعاء ، وهذه بين أيدينا – على قدر اجتهادى فى تقصى الحقيقة – اول ثمرة ناضجة فى شجرة الشعر الحر بالمملكة العربية السعودية نحتضنها بحب وحماس فى ديوان « رسوم على الحائط » .

السعودية : بدر توفيق

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

صلاة العصر

أيا إيزيسُ ..

كيف عبرتِ هذا النهرَ يا إيزيسْ ؟ !

هل ألقت لكِ الشُّطآنُ موكبَها ؟

هل أهدت لك الأزمانُ ناموسَ الهوى

المكنونِ

أم أعطتك كَوكَبُها

ملائكةُ النَّسيمِ الحُرّ

— بالرؤيا

على ألتِ الجنوب يمرّ . ؟

*

ويا إيزيسُ

هل أحضرتِ لى قَلبى ؟

فإنى اليوم أحتاجه

لأعبُرَ فى تمامِ الليل

صَوْبَ شواطىء الذكرى

لأتلو من كتابِ السِّرّ

فاتِحته :

نشيدَ الحِلِّ والترحالْ

وأقرأ ماتلاه الموت فى الآجالِ

والمعبدْ

ألم أرْقُصْ على الجدران

أن سُلالة الكهنةْ

سيُبْصرُ يومُ آخرِهِم

بزوغ النجم فى المشرق

وأن الشمس تأتينى قبيل الفجر ؟

*

... فلا تدعوا حَشَا التابوت يشغلكمْ

فإنى فى ضمير النَّبْتِ

آتيكم مع الموسمْ

وتأتونى مع الريحِ الشماليةْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى الرواق الشرقى

على ذوالفقار شاكر

لأعرضكم على قلبى
أنا الميزان والقسطاسْ
مهما فَحّت الأفعى
وألقت سمّها فى الكاسْ
وأوغلت الكلابُ السودُ فى كبدى
فإن النهر يطوينى مع الفيضان
يُفرّقنى .. ويجمعنى
يُطهّرنى ..
ويُنبتُنى على الشطآن
أيا آمون .. يا آمون
يارب السهوب الصُّفر
لاترْم بقوس الليلْ
واترك لى خطاياهُ
أنا ربّ الرحيل المرّ
سوف أعود
سوف أغيب ... سوف أعودُ
لاتمضى سُنونُ البعث والميلادِ
إلاّ بين أضلاعِى
ولاتأتى سنينُ الخِصْبِ والميعادِ
إلا حين تسقينى دموعُ النجمِ
أو يُرفَعْ
شعارُ الإثمِ عن طيبه !

•

وداعاً ربّةَ الرؤيا
لقد صلّيْت ميقاتى
وآن لزورقِ الأسرارِ أن يسْرِى
فهل يأتى
من الكُهّانِ آخرُهمْ
لأودِعَ عنده قلبى
وأعطيه كتابَ السِّرِّ ؟ .

على ذو الفقار شاكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النحيف والبدين

مسرحية
من
فصل واحد

للكاتب الكوبي:
فيرجيليو بنييرا

ترجمها عن الاسبانية:
محمود فكري عبد السميع

« فيرجيليو بنييرا » كاتب كوبي ، ولد بمدينة « كارديناس » سنة ١٩١٢ نشأ فى أسرة متوسطة الحال ، من أب كان يعمل موظفا بالمساحة ، وأم كانت تعمل مدرسة. واضطرت الأسرة الى التنقل بين مدينة وأخرى بسبب الضغوط الاقتصادية . فرحلت عام ١٩٢١ الى مدينة « جوانا باكوا »، وظلت هناك حتى عام ١٩٢٥ ، حيث رحلت الى مدينة « كاماجواى » ، وهناك ظلت حتى عام ١٩٤٠ ، ثم رحلت بعد ذلك الى العاصمة الكوبية « هافانا » .

كان فرجيليو يتطلع الى حياة ثقافية متفتحة ، فرحل الى الأرجنتين ، حيث استقر حتى عام ١٩٥٨ ، وفى العاصمة الأرجنتينية التحق بالقنصلية الكوبية فى وظيفة مترجم ، ومراجع بروفات .

فى عام ١٩٥٢ صدرت له باكورة رواياته الطويلة ، مع مجموعة من القصص القصيرة بعنوان: « قصص باردة » . وكان قد نشر قبل ذلك فى هافانا قصص : الغضب ، والنزاع، وجزيرة الأحزان .

تميزت قصص بنييرا بالواقعية ، فعندما يكتب عن الجوع ، يعبر عن تجربة عاشها ، كما جاء فى قصتى «اللحم» و « العشاء » .

وفى قصته « الأبلة » يعكس بنييرا أحداث الحكومات الاستبدادية المتعاقبة ، التى عاصرها ، ومسرحية « البدين والنحيف » ، كتبها عام ١٩٥٩ .

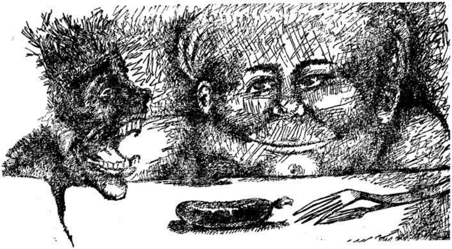

المنظر الأول

(حجرة بمستشفى بها : سريران ، ومقعدان ، ومنضدة • وعند رفع الستار ، يظهر النحيف وهو جالس على حافة السرير مرتديا بيجامة ، وساقه اليمنى مجبسة • ينظر الى ساقه) •

النحيف : متى يرفع هذا الجبس القذر ؟ **(صمت)** •• يتصور هؤلاء الناس أن الأمر هين •• **(صمت)** •• حسنا •• كم هو جميل أن أكون هنا بالساق مجبسة ، وكأنها عامود • **(يمد ساقه الى الأمام)** مادامت تتحرك كالعصا جيئة وذهابا ، فلا طعام أمامى سوى الهواء !! •• اننى لا أتحمل مجرد التفكير فى بقائى هنا يوما آخر • **(صمت)** •• من جراء سرقة دجاجة ، كسرت ساقى • ظننت أننى سوف أضحى حدا للجوع المزمن في هذا المستشفى. ولكن بات مؤكدا أننى سيء الحظ •• فى الحقيقة •• حظى مثل حظ الكلاب •• كنت موفقا فى سرقة الدجاج •• حسنا •• ها هى ساقى قد كسرت •• كنت على وشك الوقوع متلبسا •• ولكن لحسن الحظ كانت الدجاجة قد اختفت •• والآن •• هاأنذا أتضور جوعا •• لو استمرت بى النحافة على هذا الحال ، لأخرجونى من هنا هيكلا عظميا •• **(ينظر الى ساقه)** حمقاء !! •• أنت الوحيدة التى لا تصيبك النحافة • **(ينهض ثم يتجه نحو السرير الآخر ، ويرفع الملاءة ، ثم يتحسس الحشية)** طبعا •• جاءوا لهذا البدين بحشية لأنه غنى • ! لا أدرى •• لماذا يحتاج الى حشية •• ان لديه من الشحم •• **(صمت)** كم أمقته !! •• أنه يكاد يقف فى حلقى ، بالرغم مما يدعيه من رقة وعذوبة **(يقلد البدين)** كيف أصبحت ؟ •• هل تسمح لى ؟ •• هل الساق بخير ؟ •• ان ذراعى أصبح لا يؤلمنى •• ولكن سوف أتردد على أخصائى التدليك • **(يجلس على أحد المقعدين)** •• هذا البدين هو الموت ذاته !! •• ان طريقته فى التهام الطعام !! •• يلقى فى فمه بشريحة تلو شريحة من كل ما لذ وطاب !! حقا •• من يملك ينل !! •• **(صمت)** أما أنا فلا مفر أمامى من ازدراد تلك النفايات التى يقذفها الى المستشفى ، مادمت لا أملك من العملة ما اشترى به ما أريد •• حسنا •• يعطى من يشاء !! **(صمت)** لا شك أن هذا البدين قد ولد واقفا على قدميه •

(يدخل البدين • شخص يناهز وزنه المائتى رطل ، بطنه منتفخة امامه • فى الثلاثين من عمره تقريبا • وذراعه الأيسر فى الجبس ويرتكز على جبيرة • يرتدى بيجامة من الحرير المنقوش • يدخل ضاحكا) •

هل يمكن أن أعرف ماذا جرى ؟ •• **(يواصل البدين الضحك مقهقها ، ويرتمى وهو غارق فى الضحك على المقعد الآخر)** • قد ينفجر لك شريان •• ان هذا حدث لأحد أعمامى •• سقط متكوما من الضحك •• ولم تسمح له ضحكة بعد ذلك •

البدين : **(وقد توقف عن الضحك)** الأمر يا سيدى •• ان هذا الطبيب يعتقد أنه يعرف كل شيء •• أتعرف انه جاء ليقول لى اننى خبير فى الأكل ••

النحيف : **(يومىء فى ضيق)** أهذا كل ما فى الأمر ؟ ••

البدين : (ساخرا) هل يكره أحد الطيبات ؟ ••

النحيف : ولكنك تقضى اليوم بالكامل ، والطعام ملء فمك ••

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البدين : عندى من المال ما يجعلنى قادرا على شراء ما أحب .. لم ارتكب ذنبا لان والدى خلف لى ثروة كبيرة (**صمت**) لقد اقسم لى هذا الطبيب ، أيمانا مغلظة ، أن طبق البطاطس باللحم به .. دهن خنزير .. دهن خنزير !! .. لا شىء سوى دهن الخنزير !! .

النحيف : اننى لم أذق البطاطس باللحم منذ فترة .

البدين : لم يسالك أحد عن هذا .. لم أقل لك أنك تقضى سنوات بطولها ، دون أن تاكل البطاطس باللحم .. وانما قلت ..

النحيف : (**مقاطعا**) الخلاصة .. لا أعتقد أن دهن الخنزير .. يمكن انتزاعه من الطبق ..

البدين : (**فى غيظ**) ولكنك متوحش !! .. وأين الذوق .. والطعم .. واضح انك لا تفهم شيئا فى فنون الأكل على الاطلاق ..

النحيف : الشىء الوحيد الذى أعرفه أننى أموت جوعا .

البدين : يستطيع أى نزيل فى هذا المستشفى أن يدعى أن الادارة لا تقدم له الطعام (صمت) .. الا أننى أرى غير هذا .. فى الثانية عشرة أرى الخادم وهو يحضر لك طعام الغداء .. وأراه أيضا يحضر العشاء فى تمام السادسة . (صمت) ولكن .. اذا كانت الوجبة المجانية لا تكفيك .. يمكنك أن تفعل كما أفعل أنا .. أطلب على حسابك ..

النحيف : أطلب .. أطلب .. أطلب .. الذى يطلب هو أنت !! صحيح .. سباح من يقف على الشاطىء ..

البدين : (**بلا مبالاة**) سوف أطلب بطـاطس باللحم فى الغداء .. كم الساعة الآن ؟ ..

النحيف : غدا نفس الحكاية .. واليوم لا يختلف عن أمس ..

البدين : أنا لا أسالك لا عن اليوم ، ولا عن أمس (صمت) كم الساعة ؟ ..

النحيف : حساء مائى .. وعجينة وبطاطا ..

البدين : كم الساعة ؟ ..

النحيف : لن يطول الانتظار ..

البدين : هو ذا .. لن يطول الانتظار .. (صمت) ترى .. ماذا تشتهى المعدة اليوم (**يتحسس بطنـه**) أى صنف ترغبين ؟

النحيف : أقول انه لن يطول انتظارى ، بالنسبة لخروجى من المستشفى ..

البدين : كم يوما بالضبط ؟ ..

النحيف : يوم واحد (**صـمت**) واليوم سوف يصرح لى بالخروج ..

البدين : ونامن فى طعام افضل خارج المستشفى ؟

النحيف : اذا ما حصلت على عمل ..

البدين : اذا ما حصلت على عمل !! .. اذا ما حصلت على عمل . !! من العبث أن يتعلق الانسان بالآمال .. فاذا ما أصابته الخيبة .. ثقيلة كلمة الخيبة !! .. أصبح كالكتكوت المبتل .

النحيف : أو كدجاجة ..

البدين : لا فرق .. دجاجة .. كتكوت .. المهم أنه يصبح وكأنه قد بال على نفسه !! (**يضحك**) .

النحيف : أنت لا شىء ينقصك .. المـال .. الطعام .. التدليك .. وأظن النساء أيضا ..

البدين : نبيذ ، وطعام ، ونساء !! قد تعجب لأننى لم أقل : نبيذ ، وموسيقى ، ونساء .. الموسيقى لا تؤكل (صمت) من المؤكد أن ساقك قد كسرت ، بينما كنت تحـاول الامساك باحدى هذه الفراخ ..

النحيف : لم يكن فرخا .. بل كانت دجاجة .

البدين : غريب ! ماذا يعجبكم فى العجائز .. حسنا .. ليس ثمة شىء مكتوب عن حاسة التذوق .. (**صمت**) ولم نذهب الى بعيد ؟ ان صديقى بدرو ، قد تزوج من عجوز فى الســتين من عمرها ، بينما لم يتجاوز هو الخامسة والعشرين (**صمت**) .. اصطحبها ذات يوم الى طبيب الأسنان .. وهناك كانت الطامة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النحيف : لا أفهم .

البدين : قال طبيب الأسنان لصديقى : ينبغى أن تهتم برعاية والدتك تصور !! .. قال هذا لفتى حديث الزواج .

النحيف : كل انسان يدبر أموره بقدر ما يستطيع . وأنا .. على أن أشق الطريق بكل قسوة .. ليس هنـاك من يعطينى شيئا ..

البدين : (**مقتربا من النحيف**) وما شأنى بكل هذا ؟ .. كنت أحدثك عن طبيب الأســنان ، وها أنت تاتينى بموضوع آخر ..

النحيف : أعى جيدا ما أقول (**صمت**) .. ماذا ينتظرنى عندما أغادر هذا المستشفى ؟ ..

البدين : اذا لم يكن هناك غير هذا الأمر ، فلا تشغل بالك .. ان قدر الانسان .. (**صمت**) حسنا ، الحديث شيق ، ولكن ساعة الغداء قد أزفت .. ينبغى أن أتأمل قائمة الطعام (**صمت**) هل تصنع بى معروفا ؟ ..

النحيف : هذا هو قولك منـــذ عشرة أيام .. أصنع بك المعروف ، وأعتصر فكرى فى تشكيل الأطبـاق ، ولكن فى النهاية قائمتك هى الرابحة ..

البدين : لكل شيء سبب . انك تراجع عدة قوائم ، وعندما تجلس الى مائدة الطعام تتفتح شهيتك الى التهام ...

النحيف : (**مقاطعا**) ولكن ..

البدين : أرجوك .. هل تدعنى أكمل ؟ .. نعم ؟ .. شكرا (صمت) .. ثم اننى أحتفظ بقوائمك الى فرصة أفضل .. لا تصدق أن ذوقك سيء للغاية .. ولكنى لن اغفر لك حكاية دهن الخنزير فى طبق البطاطس باللحم ..

النحيف : (**يقترب من البدين حتى يلامس فمه اذنه**) هل تشعر بجوع شديد اليوم ؟

البدين : أكاد ألتهم أى شيء .

النحيف : (**يومىء بحركة تعبر عن اليأس**) دائما نفس القصة . لم يحدث أبدا أن فقد الشهية (**صمت**) .. وسوف تطلب وجبة مضاعفة ؟ ..

البدين : ما هذا ؟ .. اننى شخص قوى المولد .. لم يحدث مطلقا أننى كررت صنفا من الطعام .. آه لو سمع منك المايسترو هذا الكلام ..

النحيف : ومن هو المايسترو ؟

البدين : أكول لم يخلق له نظير . ولكنه أكول لأرقى الأطباق . أنا ، لا .. أنا آكل أى شيء .. فالأمر بالنسبة لى هو حشو المعدة .. حسنا ، ولكنى فى هذا المجال ألتزم بالحدود : لا تكرار ، لا آكل الأرجل ولا الكرشة ، ومن جهة أخرى لا أرفض ما يقدم لى من الطيبات . ولكننى بالمقارنة مع المايسترو ..

النحيف : ها أنا قد أعددت لك قائمة .

البدين : (**بصوت مبحوح**) هيا .

النحيف : (**متأملا**) حساء سمك ..

البدين : هم .. مم . م .

النحيف : ألا يعجبك حساء السمك ؟

البدين : لم اقل ذلك .

النحيف : حسنا . حساء سمك ، لحم روستو ، موز ناضج ، سلاطة كمثرى ، ارز أبيض ، وشرائح جوافة ، وجبن أبيض .

البدين : (**مشمئزا**) قائمة كريهة ، لو استمع اليها المايسترو ، لمات من الرعب .. (**صمت**) حساء سمك ، ثم لحم روستو .. (**صمت**) لا شك أن الجوع يصيب الانسان بالجنون .

النحيف : لو قدمت لى كل هذه الأصناف لأكلتها دون تعليق

البدين : قلت لك مرارا ألا تستلهم قوائم الطعام من شهيتك العقيمة . ينبغى أن تكون كالآلة التى تستكشف ما افكر فيه (**صمت**) هيا .. فكر من جديد .

النحيف : (**يفكر**) من الأفضل ألا أستمر .. لقد جانبنى الصواب اليوم . لا داعى .. انك لا توافق اطلاقا على قوائمى .

البدين : هيا .. يا رجل ! .. لا تيأس (**صمت**) أعدك باننى سأقبل احدى قوائمك .. ثق بى .. وهيا !! ..

النحيف : لحم بالبطاطس .

البدين : قديمة .. ولكن لا غبار عليها .. هيا !! لحم بالبطاطس .. ثم ماذا ؟

النحيف : لحم بالبطاطس .. لحم بالبطاطس ، بالبطاطس (**ينفجر باكيا**)

البدين : (**يهز كتفيه**) لا أفهم شيئا (**صمت**) طبق لذيذ ، مثل اللحم بالبطاطس .. ودون اعتراض منى .. يجعلك تبكى .. بصراحة .. لا أفهم شيئا (**يربت على كتفى النحيف**) هيا يا رجل .. كن شجاعا .. استمر .. اطمئن .. هيا .. (**النحيف يرتمى على المقعد ، ويخفى وجهه بيديه ، بينما يقترب منه البدين ، ثم يدخل احد الخدم ، وقد امسك بورقة ، وفى اذنه قلم**) .

الخادم : (**يحيى البدين**) طاب يومك يا سيدى .. بماذا تأمر للغداء ؟ ..

البدين : (**يفتح ذراعيه**) .. اذن لحم بالبطاطس !! .. هل تطلب شيئا آخر (**ينظر الى النحيف ثم يتمتم**) لا .. لا داعى للحم بالبطاطس .. سوف نشكل أكلة شهية . لتتناولها فى مشهد باك .. وربما تكون هذه أول مرة نخلط اللحم فيها بالدموع .

الخادم : ماذا جرى ؟ ..

البدين : لا شيء فى الواقع ، ولكن ثمة أناس يختلقون أشياء ، حتى يعتقد الآخرون أن أشياء كثيرة تحدث .

الخادم : اذن .. بطاطس باللحم .

البدين : (**محتدا**) لا تتصرف .. (**يعاود النظر الى النحيف**) انه ليس على ما يرام ..

الخادم : تحضر له قليلا من البيكربونات .

البدين : بيكربونات ؟ .. لماذا ؟ ان معدته حجرية .. لو أنك شاهدته وهو يأكل ..

النحيف : (**يرفع راسه ثم ينظر فى الم الى البدين**)

البدين : ان نظرة الحمل الذبيح .. (**صمت**) اسمع .. أعطنى « كارع » ضان .. (**الخادم يهم بالتدوين ، ولكن البدين يقاطعه**) انتظر سوف أرجىء الكارع حتى العشاء .. (**يفكر**) ماذا .. ماذا .. ماذا آكل ؟ .. (**صمت طويل**) وجدتها .. أرز بالفراخ ، وطرب « مخ مقلى » وسلاطة خيار ، وبودنج (للنحيف) ثمة اعتراض ؟ ..

النحيف : (يومىء بالنفى (صمت) ثم يوجـه الحديث الى الخادم) أنا نفس ما طلب .

الخادم : (**متفهقها**) عندنا اليوم يوكا (١) **مسلوقة** .

البدين : (**صارخا**) لا .. لا أطيق رؤيتهـــا . **احضر له** بطاطس .

النحيف : ولكن ..

البدين : ولكن هذه غير مجدية .. انك تثير الجدال حول كل شىء .. ما الفرق بين اليوكا والبطاطس .

النحيف : ولهذا ..

البدين : لهذا .. أو لذلك ، الدنيا هى الدنيا . (**للخادم**) هل سمعت ؟ .. بطاطس (**ينحنى الخادم ، ويبتسم فى سخرية ثم ينصرف**) (**يمسك بالمنضدة ، ويضعها فى وسط المسرح ، ويأخذ احد المقعدين ثم يجلس فى مواجهة الجمهور .. يضع المقعد الآخر الى يســاره ، ويوجه الحديث الى النحيف**) .. هل تشرفنى بالجلوس على مائدتى .

النحيف : (**معتقدا أن البدين يدعوه حقيقة الى تناول الغذاء**) هل تدعونى حقا ؟ (**صمت**) كم أحب الطرب (المخ المقلى)

البدين : **ليس هذا بالضبط** . انى عندما أدعوك **الى الجلوس** الى مائدتى ، أقصد أن أستمتع بمحادثتك أثناء تنـاول الطعام . تأكل ما لك ، وآكل أنا ما لى .

النحيف : أفضل تناول طعامى فى السرير .

البدين : اذا ما رفضت الدعوة ، فانه سوف تفقد فرصة تذوق الطرب .

النحيف : يمكنك أن تحشر طربك حيثما شئت . (**صمت**) اليوم ، لست مهيأ للعبة . وأرجو ألا توجـه لى كلاما لأننى لن أرد عليك (**يتجه الى السرير ، ثم يجلس عل حافته**)

(**الخادم يدخل ، ويتجه الى المنضدة ، يضع مفرشا عليها ثم يضع فوطة واحدة ، وملعقة ، وســكينة ، وملاحة وقارورة زيت ، وقارورة خل ، وزجاجة بيرة ، وكوبا واحدا ، ثم يخاطب البدين**)

الخادم : لا يوجد خيار .. هل أحضر سلاطة كمثرى ؟ ..

البدين : لا مانع ، مادمت لا تحضر اليـــوكا .. (**ينصرف الخادم**)

النحيف : الكمثرى متيبسة .

(١) اليوكا : ثمرة معروفة فى أمريكا الجنوبية وهى تشبه الكمثرى وتحتوى بداخلها على مسحوق كالدقيق ويعرف باسم الفابيوكا .

البدين : علم .. اعرف ذلك .. نكاتك دائما سخيفة(**صمت**) **مازالت أمامك فرصة .. اننى لا أتصور .. كيف يمكن لانسان متحضر أن يتناول طعامه وحيدا .. منزويا .. عملية الأكل يا عزيزى مجرد عملية روتينية .. أما المتعة** الحقيقية ، فهى الحديث ، وتبادل الأفكار .. **أثناء تناول الطعام** .

النحيف : **واذا جلست معك الى المائدة .. كم قطعة من الطرب تعطينى ؟ ..**

البدين : هذا ابتزاز .. **لكن اذا وهبتك قطعة ، فاننى أعطيك اياها بمحض ارادتى ، وبرغبتى الشخصية ، .. أما أنك تستغلنى فذلك شىء آخر** .

النحيف : **ولكن .. قطعة واحدة فقط ؟ ..**

البدين : التذوق شىء .. والاشباع شىء آخر .. **لكى يحس الانسان بالطعم ، يكفيه قطعة واحدة ، بل تزيد هذه القطعة عن حاجته ، حتى يحس الانسان بأنه يأكل صنفا من الطعام اسمه المخ** .

النحيف : **معلوم .. الكثير لك .. والقليل يكفينى .. أنا ..** أتذوق قطعة واحدة .. **أما أنت فلك دستة تلتهمها ..**

البدين : أنت لا تحاول أن **تستوعب الحقيقة .. يجب عليك يا عزيزى** ألا تغمض **عينيك عن الواقع .. الذى يدفع ثمن** الطرب هو أنا .. **وأنا الذى ألتهمه .. يا الهى .. يالهـا من** كلمة بشعة !! **أنا آكل .. وأنت تذوق ..** قديما ، كان للملوك **أشخاص يختصون بتذوق صنوف** الطعام .. كان هناك ، **الذواقة والساقى .. والحاجب ..**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النحيف : حسنا .. حسنا .. واذا كنت لا تنوى اعطائى الطرب .. فاعطنى اذن نصف الديك ..

البدين : **كف عن هذه السخافات العقيمة !! .. اسمع ..** الزم أنت مكانك ، وأنا فى مكانى .. نعم .. ولكن .. أحذرك .. لا تأت بعد ذلك لتتوسل فى خضوع : أعطنى القطعة .. أعطنى حتى ولو ربع قطعة .. عليك أن تلتزم بما تتخذه من قرارات .

(يدخل الخادم ، وهو يحمل صينية بها اناء به ارز بالفراخ ، وطبق مخ ، وسلاطة .. وطبق بودنج وطبق به خبز ، ويضع الأطباق على المنضدة) . (النحيف يقترب من المنضدة ، وكأن احساسا خفيا يدفعه الى ذلك ، دون أن يستطيع مقاومته) أعرف الناس جيدا .. (للنحيف) تشكيلة لطيفة .

اليس كذلك ! .. (للخادم) لا تتأخر فى احضار طعام الأستاذ ..

الخادم : (**مبتسما**) لا توجد بطاطس (للنحيف) .

البدين : عظيم !! لا توجد بطاطس .. هل سمعت ؟

النحيف : اذن ، هات اليوكا .

البدين : يوكا ؟ .. هل قلت يوكا ؟

النحيف : **يوكا ..**

الخادم : (**ينظر الى البدين**) ماذا أفعل ؟

البدين : هاتها له . هذا حقه . (صمت) .. نعيش .. لنرى !! ..

(ينصرف الخادم ، ويعود النحيف ليجلس على حافة السرير ، ويجلس البدين الى المائدة ، ولكنه لم يبدأ الأكل ، يثير ضوضاء بالملاعق والأطباق .. صمت طويل ..)

(وقد انتهى من اثارة الضوضاء ، يشم طبق الأرز بالفراخ) كأنه يحيى الموتى .. (**للنحيف**) يا لها من رائحة !! . هل تصل الى سريرك ؟ ..

(يرتمى النحيف فى السرير ، ووجهه الى الحائط ، ويضع الوسادة على رأسه) :

كل الطرق تؤدى الى روما .. والروائح تتغلغل الى الأنوف ، حتى لو اختفت الرءوس تحت الوسائد . (**صمت**) هيا .. كتكوتى العزيز .. **يا نور حياتى !** ان سحابات الصيف هذه ، تقوى بين العاشقين الحقيقيين روابط الحب الخالد .

(يدخل الخادم وهو يحمل طعام النحيف .. وعندما يراه راقدا يقف متحيرا .. ثم ينظر الى البدين متسائلا بالاشارات عن المكان الذى يضع فيه الطعام . يشير له البدين بأن يضعه على الأرض أمام السرير . وينفذ الخادم ثم يأخذ فى الانصراف على أطراف الأصابع)

لا داعى لكل هذا .. فهو أكثر يقظة منا .. انه يدعى الموت لكى يرى اللحد الذى نعده له .. (**صمت**) تستطيع أن تنصرف (**الخادم ينصرف**) .. حسنا .. سوف آكل وحدى .. (**صمت**) .. ولكن .. لكى يستريح ضميرى الانسانى .. هذا تحذير أخير لصاحبنا صاحب الوجه الحزين .. (**ينهض ثم يتجه نحو سرير النحيف**) أكرر دعوتى لك كى ترافقنى من مشهد الغداء المقدس . (**صمت .. النحيف لا يتحرك**) سوف يفوتك هذا المشهد .. ثم ان تصرفك هذا ، لا يتأتى الا من صبى صغير .. لم تحسن تربيته .. تصرف لن يغفر لك ..

(يعود الى المائدة ، ثم يجلس ، ويربط الفوطة حول عنقه ، ثم يمسك بالملعقة ، ويملأ طبقا من طبق الأرز بالفراخ ، يملأ كأسا من زجاجة البيرة .. ويعدل من وضع طبق الخبز ، ثم يفصل قارورة الزيت عن قارورة الخل .. ثم يأتى بعدد من الحركات العصبية) .. فلنستهل الرحلة (**صمت .. ثم ينظر نحو سرير النحيف**) ولكن .. ثمة نقص ..

النحيف : (**يرفع الوسادة من فوق رأسه ، ويعتدل مستلقيا على ظهره**) الناقص هو أنا .. ولكن لا تضعنى فى حسابك .. سوف أزدرد هذه النفايات ، **ثم أنام القيلولة فورا ..**

البدين : (**يتنهد بصوت مسموع**) فكرة رائعة بدون شك . ليس ثمة شىء أفضل من ضجعة الظهيرة ، وخاصة بعد أن يتناول الانسان غذاء دسما .. (**صمت**) عن نفسى أنا .. سوف أنفذ هذه الفكرة .. (**صمت**) أتسمح لى بأن أتذوق عجينتك هذه ؟ ..

النحيف : (**متشككا**) ولكنك تمقت هذا الصنف .

البدين : حقيقة أبغضه .. الا أنه من حين لآخر ، تدفعنى اليه رغبة مجنونة .. (**صمت**) .. ياللشيطان .. لك أن تسمى هذه الرغبات المجنونة ، كما تحب .. يمكنك أيضا أن تصفها « بوحمة » المرأة الحامل ..

النحيف : حسنا .. مادمت أنت تتوق الى عجينتى ، فهى لك .. ولكننى أتشوق أيضا الى المخ المقلى ..

البدين : لا بأس .. سأجعلك تتذوقه (**يقطع قطعة صغيرة جدا ، ويلتقطها بالشوكة ، ثم يحملها الى سرير النحيف**) هذه لك .. حتى لا تدعى أننى لا أفى بكلمتى ..

النحيف : (**يطبق شفتيه على قطعة المخ ولا يمضغها**) ليس هذا طرب .

البدين : وما طعمه اذن .. لحم حوت ؟

النحيف : انها قطعة متناهية فى الصغر .

البدين : وماذا تريد .. ؟ .. التذوق شىء ، والاكل شىء آخر .. اننى لم أفكر قط فى أن آكل عجينتك ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(**صمت**) ، لكن •• دعك من العقد ، وخبرنى •• هل أعجبتك ؟ ••

النحيف : (يمضغ قطعة الطرب فى استسلام) انها من الصغر ، حتى لا يمكن تمييز طعم لها ••

البدين : (يتجه ثانية الى المنضدة) نصيحتى اليك •• أن تعرض نفسك على طبيب •• **(يجلس ثانية امام المنضدة ، ثم يتناول قطعة من الطرب ويمضغها ببطء ملحوظ ، بينما يواصل الكلام أثناء الأكل)** بالعكس • اننى أميز الطعام تماما •• الطعم طعم مخ •• بل وأقسم بأن الطرب به بضع ذرات من الفلفل الأسود •• رغم عدم ذكر الفلفل فى طريقة الطهى ••

النحيف : (وهو يجلس على السرير) ولماذا تنصحنى بأن أعرض نفسى على الطبيب ؟

البدين : (يلتقط قطعة من الطرب بالشوكة ، ثم يرفع الشوكة الى اعلى ، ويشير بيده اليسرى الى قطعة الطرب ، بينما يواصل الكلام) لأنك •• بصراحة عديم الذوق يا عزيزى ، لسانك لا يميز النكهة ••

النحيف : (مقاطعا) اذا أعطيتنى قطعة أخرى ، فسوف أستطيع ••

البدين : (مقاطعا) ولماذا •• ؟ خسارة •• ان حاسة التذوق اذا لم تكن **معطلة** ، فانك تستطيع تمييز طعم أى **صنف من** صنوف الطعام ، مهما صغر حجمه ، فور دخوله فمك •• حسنا لا داعى للجدل حول حاسة التذوق المعطلة **عندك** •• **لو** أنك كنت قد فقدت حاسة البصر ، لكان الأمر أشد سوءا ••

النحيف : اننى أميز طعم كل شىء ••

البدين : ولكنك يا سيدى العزيز لا تميز أى طعم ، الا بعد ابتلاع كميات كثيرة •• (**صمت**) •• اعلم يا صديقى أن أى صنف من الطعام يمكن تحليله ، تماما كما يمكن حل رمز هيروغليفى ، أو علامة موسيقية •• فمن الرائحة •• من المنظر ، اللون •• ال ••

النحيف : (يتحرك نحو المنضدة) أعطنى قطعة ••

البدين : بكل سرور •• **(يشير له ليجلس على المقعد)** ولكن •• تفضل •• اجلس •• حسنا •• سوف أعطيك من الطرب •• ولكن بشرط •

النحيف : ها نحن •• بدأنا بالشروط ••

البدين : كل شىء فى هذه الدنيا مشروط (**صمت**) •• اذا ما شرحت لى الطريقة الصحيحة لعمل الطرب •• فاننى أعطيك قط •• عه •• من •• الط •• طرب •

النحيف : (يجلس ، ثم يتنحنح ، ويبدو عليه القلق وهو جالس) حسنا •• (**صمت**) •• حسنا ••

البدين : (يتناول قطعة اخرى ، ويمضغ فى وضوح) تذكر •• أن طريقة عمل الطرب لا تتضمن كلمة •• حسنا ••

النحيف : (تكثر حركته على المقعد) الطرب •• فيه ••

البدين : هذا هو •• ابدأ بالتوابل •• ثم اشرح الطريقة بعد ذلك •

النحيف : (دائم الحركة) حسنا ••

البدين : (صائحا) من فضلك !! •• لا تكرر هذه الكلمة ثانية •• « حسنا » ، ليست بصنف من صنوف الطعام •• (**صمت**) استمر ••

النحيف : (يغلق فمه بشكل ملحوظ) ، يتنفس بصوت مسموع ، ثم يحدث صوتا صادرا من الحنجرة) •

البدين : هذه الهمهمات •• سوف لا توضح ما تقول •• **(يتناول قطعة أخرى)** •• القائمة المطلوبة تضم هذا الصنف ، وذاك النوع •• تكلم •

النحيف : (فى تردد) فيه •• مخ ••

البدين : (يرفع رأسه الى **السماء**) الصبر •• يا الهى ! (**صمت**) •• مخ •• ثم ماذا ؟ ••

النحيف : ملح •• (صمت **طويل**) **ملح** •• (**صمت**) •• فلفل غير حريف •• **وبصل** ••

البدين : ثوم •• وبصل •• ولماذا لا يكون **أيضا كاكاو** وبطاطس ؟ ••

النحيف : أعتقد أن ••

البدين : الاعتقادات المزيفة •• تقود الى الكوارث •• **أرى أن** طريك ، يتم على ...يقة عمل الصاروخ الموجه •• ينطلق من الأرض بسرعة السوبر سونيك ••

النحيف : أعطنى فرصة أخرى ••

البدين : لا مانع • **فلننس** اذن **الفلفل الأحمر** ، **والثوم** •• استمر •

النحيف : زبده ••

البدين : بأى مقدار ؟

النحيف : ملعقة كبيرة ••

البدين : ملعقة كبيرة ، لا تعنى شيئا •• **ولكن قل نصف رطل •• رطل ••**

النحيف : رطلا ••

البدين : (مقهقها) رطلا •• اذن سوف **ناكل زبد مقل •• (يومىء فى اشمئزاز)** أرجوك !! •• **أفضل الا تستمر •• فسوف تفسد على طعامى ••**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النحيف : (في توسل) لا تبتئس هكذا .. ان المسألة تغيب عن ذاكرتي . (صمت) أقسم لك أنني أعرف هذه الطريقة . كنت أعمل طباخا في فيدادو . وعندما تركت المنزل ، بكت سيدة البيت .

البدين : (يصغى الى الكذبة ، بينما يتناول قطعة طرب اخرى) ان فقدان طباخ جيد ، يعادل فقدان أي عزيز . انني أقدر جيدا مدى القلق والألم ، وحتى الضيق الذي انتاب تلك السيدة في فيدادو . (صمت) .. فليس من السهل أن يحظى الانسان بطباخ مثلك . (صمت) انني أتخيل ، على الأقل ، دسامة ذلك الطرب الذي كان يتمتع به أهل الدار . (صمت) معذرة .. اقول الطرب لأنه لا يوجد امامي الآن سواى .. ولكني لا أشك في عظمة الأطباق الأخرى التي كنت تطهوها .. ربما .. فراخ فيليروا .. وكريب سوزيف .. (صمت) .. على فكرة .. هل تسمح بشرح طريقة عمل فراخ فيليروا ؟

النحيف : (في عصبية شديدة .. يقلب الملاحة) .. ماذا تقول ؟ ..

البدين : (مذعورا) ماذا فعلت .. ألا تعلم أن سقوط الملح ، نذير شؤم .. انه يسبب تقلصات معوية .. (ياخذ بعضا من الملح ، ويضعه على كتفه الأيسر) قلت لك فراخ فيليروا ..

النحيف : (كأنه لا يسمع) الطرب يحتاج الى ..

البدين : (يلتقط بالشوكة آخر قطعة من قطع الطرب ، ويومىء بحركة تدل على الملل) كفى .. دعنا من هذه الوصفة .. لقد أصابني الملل (صمت) ثم انني قد أكلت آخر قطعة من الطرب .. ولا معنى اذن لمواصلة الحديث عن الطرب .. هو في معدتي والحمد لله .. (يتحسس بطنه) في هذا البطن .. ترقد فصوص مخ ما .. (صمت) .. ولكن .. ماذا .. ألا تاكل عجينتك ؟ ..

النحيف : (ياخذ في تناول اكله اتوماتيكيا دون ان يرد عليه .. ويلاحظ انه يتناوله على غير رغبة) ..

البدين : لو رأى أي شخص طريقتك في رفع الملعقة لأقسم أنك تتناول طعاما فاسدا .. (صمت) علما بأن هذه العجينة تعتبر من الأطعمة الفاخرة .. عندما وصل السيد « كو » رئيس الى المكسيك ..

النحيف : (يقاطعه في ثورة) كفى هراء .. (صمت) .. اذا كانت فاخرة كما تقول .. لم لا تعطيني الأرز بالدجاج .. كل .. كل أيها الأبله .. كل عجينتي .. يالك من سفاح !!

البدين : (يمسح فمه بتكلف واضح) .. حسنا .. هذا ما كنت أخشاه .. ها .. وقد وصلنا الى درجة السب الشخصي .. (صمت) يالى من أبله ، مشاعري الطيبة ، هي السبب في ذلك .. (صمت) .. لقد كان في نيتي أن أعطيك القناصة (صمت) .. أبهذه الصفة أوصف .. انني لم أعتد على أحد قط .. بل أوزع الصدقات هنا .. وهناك .. (صمت) .. انني أشعر بضيق ، لدرجة أنني لا أدري ما اذا كنت أستطيع تناول طعامي .. يا الهي .. لقد طارت مني الكلمة !! ولكن .. يحدث في هذه الأيام ..

النحيف : كف عن هذا الأسلوب .. ألق بعظمتك الى كلب آخر .. (صمت) (يلمس اناء الأرز بالدجاج) انه يكاد يبرد .. تناول أرزك بالدجاج ، ولكن لا تنس أن تعطيني القناصة .. ولو سمحت .. يمكن أن تضيف ، أيضا ، الرقبة ، والأحشاء .

البدين : (يحمل الاناء ، ويتظاهر بتقديمه للنحيف) تفضل .. اليك الصدر ، والأرجل ، والأحشاء ، والأجنحة ، والرقبة ، وخذ الأرز بالمرة ، والفلفل ، والبازلاء .. و ...

النحيف : أنا لا أبالغ في الطلب ..

البدين : (يطقطق اصابعه) عندي فكرة .

النحيف : انك .. ان أفكارك ترمى في النهاية .. الى أنه ينبغي أن أربط الحزام ..

البدين : وقد يكون غير ذلك . بل ربما تكون الدجاجة كلها من نصيبك .. (صمت) استمر أنت في تناول عجينتك حتى تتبلور فكرتي ..

(يتظاهر البدين بانه يفكر ، والنحيف يتظاهر بانه ياكل . ثم يتناول البدين جرعة من البيرة . يحاول النحيف أن يمد يده في اناء الأرز بالدجاج معتقدا ان البدين لا يراه ، ولكنه يضبطه ويضربه على يده)

(يخرج من جيب البيجامة العلوى ، قطعة من الورق ، يلقى عليها نظرة ، ثم يضعها ثانية في محفظته ، ثم يضع المحفظة في جيب الصدر ، يتناول جرعة اخرى من البيرة ، يمسح فمه بالفوطة ، كل هذه الحركات تتم في هدوء تام) لا أدري ما اذا كنت تعلم أنه أثناء الولائم الكبيرة ، تعزف الأوركسترا معزوفات تتناسب وجلال الموقف ، لتسلية المدعوين ..

النحيف : لست موسيقيا .. ولا أعرف مجرد المفاتيح الموسيقية .

البدين : ليتك تدعني أكمل كلامي . عادة سيئة أن يقاطع الناس شخصا أثناء الحديث .. (صمت) أتسمح لي بمواصلة الحديث ؟ .. حسنا .. كنت أقول .. أعتقد أنك قد فهمت .. اتفقنا ؟ .. فكرتي تتلخص في الآتي : لما كانت المعزوفات الغذائية ، هي المعزوفات الوحيدة التي يستوعبها سمعي ، راودتني فكرة أن تشنف سمعي ، في الوقت الذي أتناول فيه الأرز بالدجاج ، بتلاوة طريقة عمل هذا الطبق .. خذ .. اليك الطريقة (يعطيه الورقة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النحيف : (**ينظر الى الورقة**) انهـــا أصول من رواية . القراءة كثيرة على مجرد قناصة . أعطنى قليـــلا من الأرز .

البدين : سوف نرى .. كل شيء يعتمد على مدى الأداء . وأحذرك من الآن أننى أتمتع بحاسة سمع مرهفة جدا ، بالنسبة للموسيقى الغذائية (**صمت**) هل تسمح .. وتبدأ ؟ ..

النحيف : أولا .. وقبل كل شيء .. أفضل القناصة .

البدين : ها هى .. (**يضع القناصة فى طبق المخ**)

النحيف : **والأرز ؟**

البدين : الأرز . مشروط . أداء رائع يساوى أرز ، أداء جيد ، قناصة ، أداء سيء ، لا شيء .. هيا .

النحيف : (**يتنفس بعمق**) .. أرز بالدجاج لستة أفراد .

البدين : (**والطعام ملء فمه**) عنوان بديع .. انها ملحمة .. استمر .

النحيف : (**يقرأ**) أ ـ ديك صغير .. يمكن شراء الديك حيا ، وزنه رطلان وربع رطل .. ويفـ .. (**للبدين**) لا أعرف ماذا يقول هنا .

البدين : (**يمسك بالورقة**) يفضـــل .. (**يعيد الورقة للنحيف**)

النحيف : يفـ .. يفـ .. يفضل أن يكون نظيفا ومقطعا الى أجزاء .. وفى هذه الحالة يمكن شراء ست قطع من الحجم المناسب ، تزن فى مجموعها رطلا ونصف رطل ..

البدين : كل يشترى كما يحلو له .. أنا شخصيا ، اعتدت أن أشترى الديك مذبوحا ، ومقطعا الى أجزاء .. اننى لا أتحمل مشاهدة منظر لوى الرقبة .. استمر ..

النحيف : ب : البهارات : حبتان من الفلفل الاسود .. ملعقة صغيرة من الصعتر (زعتر) الجاف . فص ثوم متوسط الحجم . ثلاث ملاعق صغيرة ..

البدين : (يقاطع) مع احترامى لك .. أود أن أذكرك بأنك تقرأ فقرة التوابل ، وهى فقرة راقية ، بنبرة باهتة .. تخيل أن هذه الفقرة هى روح الأوركسترا .. مطلوب منك أن تكون أكثر حماسا .. أعد فقرة التوابل من جديد .

النحيف : (**يتنهد ثم يعاود القراءة**) حبتان من الفلفـــل الاسود ..

البدين : ارفع صوتك .. وكأنك تغنى .

النحيف : (**يغنى**) حبتان من الفلفل الاسود .

البدين : بل أقرأ .. أفضل .. فلو واصلت الغناء ، سوف تصيبنى تقلصات معوية .

النحيف : حبتان من الفلفل الاسود .. ملعقة من الصعتر الجاف .. فص متوسط الحجم من الثوم .. ثلاث ملاعق صغيرة من الملح ، ملعقتان من زيت الزيتون ، ملعقة خل .

البدين : عزيزى .. لقد جانبك الحظ فى فصل التوابل .. عليك أن تتدارك الأمر فى فصل التتبيل .

النحيف : ج : التتبيل .. ثلاث ملاعق زبد ، أوقية دهن خنزير .. وأوقيتان من لحم الخنزير ، وبصلة متوسطة الحجم .

البدين : (**مقاطعا**) يبدو أن هذا الطبق لا يوجد به لحم خنزير .. آه لهؤلاء الناس .. (**صمت**) استمر .. فاننى أصغى جيدا الى روايتك ..

النحيف : ثمرة واحدة من الفلفل الأخضر الطازج .. ورقة كزبرة .. وعودان رفيعان من أعواد الكسبرة .

البدين : (**يضع يديه على رأسه**) كزبرة .. وكسبرة .. متى أضع حدا لهذا .. اننى كلما أعيـــد نسخ هذه الطريقة ، يفوتنى أن أحذف منها الكزبرة والكسبرة .

النحيف : أليست الكزبرة هى الكسبرة ؟ .

البدين : بالطبع هما نفس الشيء .. النساء ، والأطفال ، والعجائز ، يقولون كزبرة ، أما نحن الرجال فنقول كسبرة ..

النحيف : لماذا .. ؟

البدين : من دخل فيما لا يعنيه ، وقع فيما لا يرضيه .. دعك من هذا .. واستمر ..

النحيف : (**يقرأ**) ست زيتونات ، ثلاث ملاعق من صلصة الطماطم ..

البدين : (**وقد انتهى من ابتلاع لقمة**) قراءة سقيمة .. أرى أن قناصتك فى خطر .. لننتقـــل الى الحركة الثالثة من سيمفونية « الديك الأعظم » .

النحيف : مادام أدائى سيئا .. لماذا الاستمرار اذن ؟ .. يكاد يغمى على ..

البدين : اذن تأخذ استراحة ، حتى تسترد قواك .. خذ قليلا من عجينتك . ان الهنود المكسيكيين ..

النحيف : (**مقاطعا**) أفضل الانتهاء مرة واحدة .. فاننى ارى أن لحظة نيل القناصة والأرز لن تصل .

البدين : (**مستمرا فى الأكل**) كما تحب .. ولكن .. تذكر ان الأرز مشروط ثم .. لاينبغى أن تستسلم للأوهام .. (**صمت**) أتحب أن أحكى لك أسطورة بائعة اللبن .. ؟ ذهبت احدى بائعات اللبن الى السوق ..

النحيف : (**يضع يده على فم البدين**) لا .. لا تحـــك شيئا . أفضل مواصلة القراءة .

البدين : كما تحب . ولكنها أسطورة رائعة .. فيها مواعظ .. (**صمت**) ولكن ماذا نفعل ؟ .. استمر اذن فى الحركة الثالثة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

النحيف : (يواصل القراءة) د : الطريقة : علبة صغيرة من البازلاء .

البدين : دقق فى قراءة النوتة . هذه ليست الطريقة .. بل العناصر .

النحيف : آه .. لقد قفزت سطرا .. ربما كان ضعفى هو السبب .

البدين : (يومىء برأسه) اننى مندهش .. تقول انك تحس بالضعف .. (صمت) .. ولكن يا عزيزى .. كل العالم يتغذى .. وهناك أوقات مخصصة للأكل .. مثـلا .. هذه هى ساعة الغذاء .. انظر .. اننى أتناول غدائى الآن .. وقد تناولت افطارى فى الثامنة صباحا ، أشعر بالجوع بالطبع فى الثانية عشرة .. أما أنت ، فلا تفعل مثلى . لماذا ؟ .. لا أجد تفسيرا لهذا .. يبدو أنك تبغى أن تعود الى أصلك .. هيا .. هل تتفضل وتستمر فى القراءة ..

النحيف : (يواصل القراءة) الطريقة : ضع اناء كبيرا على النار . أسقط فيه ثلاث ملاعق زبد . أضف دهن الخنزير المذكور فى الفقرة ج فور انصهار الزبد . قلبه على نار عالية لمدة أربع دقائق ، ثم أضف قطع الديك ، وقلبها على الوجهين .

البدين : هم .. م . م . م .. يالها من رائحة جميـلة تنبعث .. استمر .. استمر .. سوف يكون هذا الأرز بالدجاج لذيذا ..

النحيف : قلل اللهب الى درجة متوسطة ، ثم أضف : البصلة بعد غسلها ، وتقطيعها قطعا صغيرة ، والفلفل الأخضر بعد غسله ، ونزع البذر منه ، وتقطيعه الى أربعة أجزاء ، والفلفل الأحمر غير الحريف ، بعد غسله ، ونزع البذر منه ، وتقسيمه الى قسمين ، الطماطم بعد غسـلها ، وتقسيمها ، الى أربعة أجزاء ، وورقة الكزبرة ، وغصنى الكسبرة ، بعد غسلهما وتقطيعهما الى أربعة أجزاء .. ثم الزيتونات الست .

البدين : (يقفز من المقعد) برافو .. برافو .. سرد مثير .. كأنه فيلم من أفلام الجنس (**يملأ الشوكة من اناء الأرز ويحدث النحيف**) افتح فمك .. (**النحيف يفتح فمه ، ثم يضع البدين الشوكة فى فمه**) من حقك هذا .. هكذا يكون الأداء لعمل جيد الاعداد .. والآن استمر (**لا يزال فم النحيف مفتوحا ، ولكن البدين يغلقه**) .. اقرأ جيدا .. وسوف نرى .. هل ستستحق أخرى أم لا .

النحيف : (**يقرأ**) فور اصفرار البصلة ، قلب المخلوط لمدة عشر دقائق ، ثم افتح علبة البازلاء ، ثم ضع السائل المصفى فى مكيال ، وأكمل السائل بالماء حتى أربعة فناجين ، ثم سخن السائل (**يفتح فمه**) .

البدين : كف عن هذه الحركات الصبيانية .. صـحيح أن أداءك لهذا كان جيدا . ولكنى ما جئت الى هنا لأتكفل باطعامك .. حقا .. لا ينبغى ألا يتهاون الانسان مع كل فئة من الناس .. أغلق فمك هذا ، وواصل القراءة .

النحيف : (**يتنفس بعمق ، ثم يواصل القراءة**) ضع فنجانين وربع فنجان من الأرز فى مصفاة كبيرة ، واغسل الأرز سريعا ، ثم صفه جيدا ، أو ضـعه فى الوعاء . زود الشعلة واترك الوعاء مكشوفا ، ولا تقلب الأرز حتى يجف لمدة ١٥ دقيقة .

البدين : كانت عمتى ماريانا تغطى الوعاء .. أما جدتى ، كانت تضع فوقه ثلاث قطع من اللحم المقدد .

النحيف : هذا لم يرد هنا .

البدين : أنت شخص لا أمل فيك .. بصراحة لا أمل فيك . كيف يمكن أن تظن أن يرد اسم عمتى ماريانا وجدتى فى طريقة عمل أكلة ... جدتى ماتت منذ ثلاثين عاما .. وعمتى ماريانا رحلت منذ عشر سنوات من عالم العذاب والدموع ..

النحيف : كنت أظن ..

البدين : كنت أظن .. كنت أظن .. أراك تصبح دائمـا وراء ظنون زائفة . لهذا ، عالمك لا يتغير .. (**صمت**) متى توفيت جدتك . ؟ ..

النحيف : جدتى على قيد الحياة ..

البدين : (**يضع يديه على رأسه**) كارثة الكوارث !! .. جدتك على قيد الحياة .. هذا مالم أكن أتوقعه .. جدتك على قيد الحياة ..

النحيف : (مندهشا) ولكن .. لماذا ؟ ..

البدين : لماذا .. لماذا ؟ .. من ذا الذى قال أنه ينبغى أن تظل الجدات أحياء ؟ .. انظر لقد أفسدت على الاستراحة التى أخذناها لنتحدث عن جداتنا الراحلات ، بحديثك عن جدتك الباقية ، التى يبدو انك أحسنت رعايتها .. (**صمت**) لذلك ، فاننى لن أسألك عن عمتك . فربما تزعجنى أيضا برد آخر . (**صمت**) أفضل أن تواصل القراءة (**يضع يده على جبهته ثم يضعها على قلبه**) هذه الهموم تضايقنى كثيرا .. أشعر بنبض سريع .. ولكن ينبغى أن تنتهى .. أكمل كى تنتهى .

النحيف : اذا كنت تشعر بتوعك ..

البدين : ليس ثمة خطورة .. ثم اننى انسان ملتزم . اذا بدأت فى أمر ما .. يجب أن أنتهى منه (**صـمت**) يجب أن ننتهى .

النحيف : (**ينظر الى البدين**) أنت بدين جدا .. يقولون انه اذا كانت كمية الشحم كبيرة ، فان القلب ..

البدين : اعتن أنت بقلبك ، وأنا أهتم بقلبى . ثم انك اذا لجأت لهذه اللعب الانتهازية .. فان قلبك هو الذى قد يصاب بالأزمة .. استمر فى القراءة .

النحيف : (**يقرأ**) بمجرد أن يجف الأرز ، خفض الشعلة ، ثم قلب الأرز ، أى الأسفل لأعلى ، وبالعكس ، ثم مرر الملعقة على جوانب الوعاء للتقليب (**ينظر الى وعاء الأرز الموجود فوق المنضـدة**) يكاد لا يتبقى أرز بالوعاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البدين : **(يقلب الأرز الموجود فى الوعــاء مى طبق ٠٠)** لم يسألك أحد ٠٠ عليك أن تنظر فى قائمتك ، وأنا فى وعائى **(صمت)** وأبقى الكثير على ديكك ؟

النحيف : بل القليل ٠٠

البدين : آه ٠٠ كل شىء الى زوال ٠٠ **(صمت)** قائمتك ٠٠ أرزى ٠٠ وأيام المستشفى الجميلة ٠

النحيف : أستحلفك بجدتك !! ٠٠ انهم يقتلوننى هنا من الجوع ٠

البدين : لماذا تدس أنفك فى كل شىء ٠ **(صمت)** ثم ان هذه مشكلتك أنت ٠٠ ثم انك لست بمقياس ٠٠ أما أنا فسوف لا أنس الأيام الحلوة التى قضيتها فى هــذا المستشفى ٠ أكل ٠٠ نوم ٠٠ دردشة ٠٠ كأننى فى رحلة داخل عابرة محيطات فاخرة **(صمت)** ٠٠ والآن ينبغى أن تنتهى من قراءة هذه القائمة ٠

النحيف : **(يقرأ)** غط الوعاء ، واتركه على النار عشرين ، أو خمسا وعشرين دقيقة ٠٠ ثم انزع الغطاء ، وأضف البازلاء المصفاة ، واخلطها بالأرز ٠٠

البدين : ٠٠٠٠ واخلطها بالأرز ٠٠ حماقات ترد فى وصفات الأكلات ٠٠ نسقط البازلاء على الأرز ، اذن هى تختلط بالأرز **(صمت)** انته من فضلك ٠٠

النحيف : **(يقرأ)** ضع الأرز فى صينية مستديرة فى الحال ، ثم ضع أجزاء الديك على جوانب الصينية ، ثم زين الطبق بفلفل أحمر ، بعد سلقه ، وتصفيته من السائل جيدا **(وبينما النحيف منهمك فى القراءة ، يلتهم البدين آخر ملعقة من الأرز ، ثم يغرس الشوكة فى القناصة ويلتهمها هى الأخرى)** ٠ ولكن ٠٠ ما هــذا ؟ ٠٠ قناصتى ؟؟

البدين : **(يتكلم كلاما غير واضح لأن فمه مملوء بالطعام)** ال ٠٠ قو ٠٠ قو ٠٠ نا ٠٠ صة **(يضحك)** الـ ٠٠ قونا ٠٠ صد ٠٠ ــة ٠٠ **(يضحك)** ها ٠٠ ها ٠٠ ها ٠٠ **(حبات الأرز تفلت منطلقة من فمه)** ٠٠ القناصة ٠٠ ها ٠٠ ها ٠ ها

النحيف : **(وقد فقد السيطرة على نفسه ينهض لينقض على البدين)** أيهــا الملعون ٠٠ سوف أنتزع قناصتى من كرشك ٠٠ سوف تتمزق احشاؤك ٠٠

البدين : **(جادا)** هل بلغ الأمر حد الســب الشخصى ٠ **(صمت)** اسمع يا عزيزى ٠٠ الذنب ليس ذنبى لأنك لا تجيد القراءة مثل خلق الله ٠٠ هل تحب الصراحة ؟ ٠٠ كأنك كنت تقرأ وصفة من المطبخ الصينى ٠٠ لم أفهم منك شيئا على الاطــلاق ٠٠ ومع ذلك تطالبنى بحقوق ، وتقول اما القناصة ، واما أن تتمزق أحشائى انتهى كل شىء ٠٠ المخطىء هو أنا ٠٠ لأننى أتبسط مع من لا أعرف ٠٠ **(صمت)** ٠٠ واعلم جيدا أنك لن ترافقنى على مائدة اطلاقا ٠٠ **(يتجه الى سريره)** ٠٠ والآن ٠٠ الى النوم ٠٠ عليك أن تبلغهم بالا يوقظنى أحد قبل السادسة **(يستلقى على ظهره)** ٠

النحيف : هذا جزاء غبائى ٠٠ **(يتجه نحو سرير البدين ، ويحدق فيه النظر ثم يتجه الى سريره ، ويســتلقى على ظهره ، ثم يضع يديه تحت راسه ويتنهد بصوت مسموع)**

ســتار

وبمجرد أن يسدل الستار ، تسمع أصوات تردد هذه المقطوعة الغنائية :

ان كان العالم دوار
وخوان لا يدعى سيزار
بدين فى القوم يصير
لنحيف لا شك فريسة

المنظر الثانى

(النحيف ، وقد صار بدينا ، يجلس الى المنضدة ، ويمص فى شهية عظمة ساق آدمية ٠ عظام هيكل آدمى متناثرة على الارض امام المنضدة ٠ جمجمة الهيكل الآدمى تحت قدم النحيف اليمنى ٠ فوق المنضدة قطع الجبس واللفافات التى كانت حول ذراع البدين ٠)

النحيف : **(يلقى العظمة الى الأرض بتكلف)** يالهــا من هبشه !! **(يتحسس كرشه)** آه ٠٠ معذرة لهذا التعبير ، ولكننى سوف أعبر فى المستقبل تعبيرا ثقافيا ، انهــا وليمة على طراز ولائم هنرى الثامن ٠٠ **(صمت)** ٠٠ أحكى لكم ما حدث ؟؟ ٠٠ نام البدين ، واستغرق فى نوم عميق حتى صار كالحجر ٠٠ تصوروا !! ٠٠ الأرز بالدجاج ٠٠ الطرب ٠٠ القناصة ٠٠ ثقب صغير بسن السكين ٠٠ سال الدم ٠٠ عندئذ قطعته اربا ٠٠ وأكلته قطعة قطعة ٠ (صمت) ٠٠ كان طعمه مثل طعم الديك ٠٠ **(صمت)** **(يضع يده فى جيب البيجامة ويخرج المحفظة ، ويأخذ فى عد النقود)** أربع من فئة العشرين ، وخمس فئة عشرة ، وأربع فئة خمسة ، وبيزو واحد ٠٠ المجموع مائة وواحد وخمسين بيزو ٠ **(صــمت)** حسنا ٠٠ هذا المساء يصرح لى بالخروج ٠ **(كانه يخاطب البدين)** أيها البدين ٠٠ لو كنت تستطيع رؤيتى ٠٠ أين أنت الآن ؟ **(صمت)** ولكن ٠٠ أين يمكن أن تكون اذا لم تكن فى بطنى ؟ ٠٠ هنا **(يتحسس كرشه ثانية)** تشملك الرعاية ٠٠ فى بطنى لن يتعرض ذراعك للكسر ٠٠ **(ينفجر ضاحكا)**

(يدخل الخادم ٠٠ الفوطة على ذراعه ٠٠ والنوتة فى يده ، وفى أذنه القلم)

الخادم : **(منحنيا)** ســيدى ٠٠ الســاعة قد تجاوزت الثانية عشرة ٠٠ ماذا تطلب اليوم ؟ ٠٠ **(صمت)** ٠٠ **(يدقق النظر فى دهشة)** ولكن ٠٠ أنت البدين ؟ ٠٠ لا ٠٠ لست البدين **(صمت)** ٠٠ ومع ذلك ، البيجامة هى نفس بيجامته ٠ أقسم أنك أنت البدين ، ولكن ٠٠ **(صمت)** سيدى ٠ هل أنت البدين ؟ ٠٠

النحيف : **(ينظر الى البيجامة)** نعم ٠٠ أنا البدين ، الآن ٠

الخادم : ولكن نفس البدين ؟

النحيف : وماذا يعنيك أن ٠٠ **(صمت)** ٠٠ بما أن البقشيش هو ما يهمك ، اطمئن **(يخرج حافظة النقود ، ويخرج منها بيزو ويعطيه للخادم)** هذا لك **(صمت)** أما عن

الفداء ، فليس لدى رغبة (**صمت**) هذا ·· وسوف أرحل هذا المساء ·

الخادم : (متحيرا) شكرا يا سيدى ·· (**صمت**) واضح أنك لست البدين · ولكن اذا لم تكن أنت البدين ، أين راح البدين اذن ·

النحيف : سوء الفهم أمر لا مفر منه !! ·· وما أدرانى ·· هل أنا مخبر هذا المستشفى ؟ ·· لست أكثر من مريض يعـــانى من كسر ساقه اليمنى (**يرفع رجل بنطلون البيجامة ويشير للخادم الى الساق المجبسة**)

الخادم : (مندهشا) ولكن ·· اذن ·· أنت النحيف ·· وكيف صرت بدينا بين يوم وليلة ؟

النحيف : أرأيت !! ·· كنت بالأمس نحيفا ·· واليوم صرت بدينا ·· أسرار يا صديقى ·· أسرار ·· من الناس من يصير بدينا بفضل ما ياكله من سكر وحلوى ··· وهناك من يكتفى باستنشاق الهواء ··

الخادم : ولكن ·· بهذه السرعة ·· (**صمت**) ثم ان هذه بيجامة البدين ·· ياللعجب !! انها على مقاسك ، وكأنها عملت لك خصيصا ·

النحيف : هى بيجامة البدين بالطبع ·· وما شأنك أنت ! ·· عندما استيقظت هذا الصباح وجدت سريره خاليا ، ورأيت البيجامة على السرير ·· راودتنى رغبة بلهاء فى ارتدائها ·· فارتديتها ··

الخادم : وحافظة النقود ·· هل وجدتها على السرير أيضا ! ·

النحيف : والحافظة أيضا ·· وسوف أرد له حافظته وبيجامته اذا عاد ·· ولو أن هؤلاء البدناء ·· لا يعرف أحد عنهم شيئا ·· فهم كثيرا ما يتبخرون ·

الخادم : وأنت كذلك أيضا ؟ ··

النحيف : ولكنى سوف أقول ·· الى اللقاء ·· اننى أبغض الوداع على الطريقة الانجليزية · فى الخامسة من مساء اليوم سوف أوزع الأحضـــان والابتســـامات ·· (**يدخل الطبيب**) ·

الطبيب : (متجها نحو النحيف) هيا ·· أرنى ذراعك ··

النحيف : (يمد ذراعه) هاك الذراع ··

الطبيب : ليس هذا ·· المكسور ·

النحيف : (يمد ذراعه الآخر) اليك الذراع ··

الطبيب : ولكن ·· أليس ذراعك مكسورا ؟ ··

النحيف : كلا ·· انها ساقى ··

الطبيب : صحيح ·· !! ·· الساق ·· معذرة ·· ان ذاكرتى ضعيفة (**صمت**) (**يفحص الساق ثم يدق على الجبس**) خمسة عشر يوما أخرى ··

النحيف : لكن ··

الطبيب : (حاسما) لا محل هنا لكن ·· قلت ١٥ يوما (**صمت**) الى اللقاء ·· (**الطبيب يخرج**)

النحيف : (يضع يديه فوق رأسه) هذا طبيب بيطرى ·· يعاملنى كما لو كنت حصانا ·· (صمت) انه يعتقد أن مجرد الأكل والنوم فى هذا المرعى هو الحياة ·· (صمت) أنا رجل أعمال !! ·· البورصة ·· الأسهم ·· الأرباح ·· الأرباح ·· !! ·· (**يخفى وجهه بيديه**)

الخادم : هون عليك يا سيدى ·· ليس ثمة ما يدعو لكل هذا القلق ·· سوف تقضى وقتا طيبا هنا ·· ثم ··· تقود البدين تحت تصرفك ·· واذا كان البدين قد تبخر كما ذكرت ·· ماذا يضيرك اذن البقاء ١٥ يوما أخرى ·· طعام لذيذ ·· خدمة ممتازة ·· أنا فى خدمتك دائما يا سيدى ··

النحيف : أغرب عن وجهى (**يخاطب نفسه ·· وقد بدت الحيرة على وجهه**) سوف تكتشف العملية ··

الخادم : سيدى ·· لا داعى للقلق ·· البورصة ترتفع وتهبط ، تماما كما يحدث للبدناء والنحفاء ··

النحيف : ألا تريد أن تسكت ؟ (**صمت**) يجب أن أبحث عن مخرج ·· ما الحيلة ؟ ·· الحيلة ؟ ·

الخادم : أى حيلة يا سيدى ؟ الطعام ؟ ·· الحلو ·· ؟

النحيف : (يضرب على المنضدة بقبضته) كل شىء فسد !! ·· فسد ·· !! ··

الخادم : هون عليك يا سيدى ·· لا تعقد الحياة ·· انهـــا قصيرة ل ·· (**صمت**) تماسك يا سيدى ·· سوف احضر لك توا طبقا من اللحم ··

(الخادم يجرى نحو الباب ، **وعند خروجه يصطدم بشخص آخر** ، نحيف جدا ، **ويرتدى بيجامة المستشفى ·· يعرج وساقه** اليمنى فى الجبس)

النحيف الجديد : (فى خجل) قالوا لى هنا ·

الخادم : وهل بعثوا بك الى هذه الحجرة

النحيف الجديد : نعم

الخادم : اذن ·· استرح (**صمت**) فى رفقتك هذا البدين ·· حاول أن تسليه بأحاديثك · (**ينصرف الخادم**)

النحيف الجديد : (يقترب من **النحيف الأول ، وقد اخفى وجهه بين يديه**) ·· سيدى ··

النحيف الأول : من أنت

النحيف الجديد : قالوا لى ·· هنـــا · انظر ·· ان ساقى مجبسة (يشير الى ساقه) ·

النحيف الأول : (ينهض مذعورا) ولكن ·· مستحيل ·· ثمة سوء فهم ·· من المؤكد أنك مخطىء فى الحجرة (**يشير الى سرير البدين**) · هذا سرير مريض آخر ، بدين · خرج لبضع لحظات ، ولكنه سيعود ، أؤكد لك انه سيعود (**يتجه نحو الباب ، ثم يعود ، يحملق فى النحيف الجديد ، يعـــود فى اتجاه الباب ويصرخ**) قولوا له ان مكانه ليس هنـــا ، قولوا له انه مخطىء لا أريده معى !! النجدة ·· النجـــدة !! (**يجثو على ركبتيه**) النجدة ·· النجدة (**يجهش بالبكاء**)

النحيف الجديد (يومىء بحركة عدم الفهم التقليـــدية) أنا لا أفهم شيئا ··

ستار

القاهرة : محمود فكرى عبد السميع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المزلقان

فتحى الابيارى

وصعدت السيارة باقصى سرعتها قمة المقطم ، ومرت بجامع الجيوشى ، وانعطفت يسارا صاعدة الطريق الضيق ، بين الصخور ؛ وقالت صابرين ··وهى تحتضن نادر بين جفنيها ؛ فقد عاد من سفرته القصيرة خارج القاهرة :

ـ هدىء السرعة ·· من فضلك ·

ـ وكيف نلحق بقرص الشمس ·· قبل أن يختفى ؟

ـ يكفى أنك بجانبى ·

ـ وهو كذلك ·

وانعطفت السيارة بين الممرات الى أن وصلت الى مكانهما المعهود ·· فى نصف الدائرة الصغيرة ·· وبدت القاهرة كلها تحت أعينهما · القلعة جامع ابن طولون والسيدة نفيسة والامام الشافعى ·· وعلى مرمى البصر ·· الأهرامات ·· وعين الصيرة ·· والبرج وبرج التليفزيون والسلطان حسن والفسطاط مشهد بانورامى ·· يسحر الأفئدة العاشقة ·· وعلى طول طريق كورنيش المقطم وقفت مجموعات من السيارات ·· تحمل داخلها العشاق والمحبين ·· والهاربين من عيون الفضوليين ·· وبعض العابثين والعابثات أيضا·

وخرج نادر من السيارة ·· وفتح الشنطة الخلفية ·· ليخرج الطعام ·· والشراب ·· قطع من الجبن ·· و (ترمس) شاى ·· وعلب من عصير الجوافة والمانجو ·· والخبز ·· وعلبة صغيرة بها قطع من اللحم ·· والبطاطس ·· وأغلق شنطة السيارة ·· قائلا :

ـ هيا ـ نعد طعام الافطار ·· فالشمس على وشك الغروب ·

ـ لست جائعة ·

ـ ينبغى للصائمين ·· أن يجلسوا الى الطعام ·· قبل الافطار ·

ـ انه أروع افطار ·

ـ سيحقق الله أمنياتنا قريبا ·· ونكون فى عشنا ·

ـ ان شاء الله ·

وجلس نادر فوق السور الحديدى ، يتأمل بانوراما الغروب ·· بينما انهمكت صابرين فى اعداد بعض الساندوتشات الصغيرة ·· ثم اقتربت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من نادر ‥ لتستمتع ‥ بقرص الشمس ‥ وهو يختفي خلف السحب المتكونة من دخان مصانع الطوب القريبة من الفسطاط ‥ وتحت سفح المقطم ‥ كانت الحركة الصاخبة المنبعثة من « البولدوزرات » التي تمهد الأرض ‥ لاقامة مبان جديدة ‥ وقال نادر :

– أخيرا ‥ بدأوا يفكرون في الصحراء ‥ والصخر .

– ومن الذي سوف يسكن في هذا المكان ؟

– انظري ‥ هنا ‥ وهناك ‥ ملايين الشقق ‥ بين الأموات ‥ ومع ذلك لا نجد شقة .

– فلنحمد الله .

– انني أحمده على كل شيء .

– ان كل مشروع فيه الخير للكثيرين . انظر ! ان العمال بدأوا ينصرفون ‥ انتهى عملهم الشاق ‥

– انهم يعرقون ويغسلون الرمال بعرقهم ‥ وآخرون يسلبون هذا العرق ويحولونه الى ملايين !

– ما قيمة الملايين مع التعاسة ؟ المهم أن نكون قانعين .

– معك حق ، وليس كل الحق ! هيا بنا نفطر ‥

– خذ نصف هذا الساندوتش .

– فلنبدأ بعصير الجوافة .

وأمسك نادر بعلبة العصير وفتحها ، وقدمها لصابرين وتمتم : « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ، فاغفر لي ، انه لا يغفر الذنوب الا أنت »

وارتشفت صابرين بعض العصير ثم قدمت الباقي لنادر .

– لن يتصور الذين حولنا أننا كنا صائمين !

– لا شأن لنا بهم .

كانا يلتقطان بعض الطعام كعصفورين طليقين فوق القمة ، وتلألأت القاهرة بالأنوار في كل مكان ‥ وكانت لوحة ساحرة موشاة بلؤلؤ من النور .

وضحكا – واقتربت صابرين من الطعام ، وأخذت ساندوتشا آخر ‥ وقسمته ؛ وناولت نادرا جزءا منه ‥ وسقطت ‥ قطعة من الخبز فوق الرمال ‥ لكن صابرين التصقت به صائحة :

– الكلب قادم .

– لا تخافي وأنت معي .

– ولكنه قادم !

– انه وديع ، وربما جائع ‥ لنطعمه .

– انني خائفة . سأدخل السيارة .

– كما تريدين .

– سنتناول الشاي .

– هل تشربين الشاي بمفردك ؟

– لا أستطيع .

ودار نادر حول السيارة ، وأطعم الكلب الضال ودخل السيارة ، وفتح الراديو ليستمعا الى رسول قلبيهما ‥ في أية أغنية تترجم أحاسيسهما في تلك اللحظة ، ولكن صوت صراخ الأطفال الذين كانوا مع أصحاب السيارة القريبة منهما قد شرخ صمت الهدوء العجيب ‥ وعلا على ترنيمات اللحن الذي بدأ يدغدغ أحاسيسهما المتلهفة كل الى الآخر . واقترب منهما الرجل صاحب الجلباب المتسخ ‥ برمال المقطم ‥ والشعر المنفوش ‥ وكأنه من أصحاب أهل الكهف ‥ وأعطاه نادر بعض السجائر وقال هامسا لصابرين :

– لقد جاء روبنسون كروزو المقطم ‥ وسيمكث مع الناس ‥ ما رأيك في جولة بالأقدام ، والقمر بدأ يتسلق سحب الأفق ؟

وراحا يتجولان الهويني وقد أحاطت بذراعها وسط نادر وكأنها تخشى أن يطير منها في هذا الفضاء ‥ والسكون . وألقت برأسها فوق صدره وراحت تدندن بمقاطع أغنية حبيبة الى قلبيهما ‥ وكانت دقات خطواتهما فوق الشارع الطويل وهي النغم الوحيد في هذا السكون الذي يحتل جزءا منه مجموعة من السيارات المتراصة وقد التصق داخلها رجل وامرأة ‥ يتراقصان بالهمسات ‥ والكلمات ‥

وأحس نادر برجفة تنتاب صابرين .

– ما هذا ؟

– لا شيء ‥ لقد اشتدت الريح .

– فعلا .

وخلع نادر السويتر الذي كان يرتديه وأحاط صابرين بذراعيه وكأنه يحتضنها ‥ وهي منكمشة داخل صدره .

– رفقا بالناس يا نادر .

ـ أين هم الناس .. لقد حشرتهم الرياح داخل السيارة .

وقبلها فى وجنتها ..

ـ نادر .. لا تكن مجنونا .

ـ ولماذا لا أكون مجنونا .

ـ هيا بنا للسيارة .

ـ بيتنا المتنقل الحديث .

ـ يا قلبى .

ـ سبقتنى فى الكلام .. ولكن هل رأيت تلك العمارات .. العمارات .. العمارات .. وهذه الجحور المؤلفة بالآلاف ومع ذلك يقولون لنا كل يوم .. لا مكان .. لا شقة .. لا حجر .. لا .. لا .. لماذا لا يقيم معسكرات من الخيم .. لأمثالنا .. لتكون بيوتا لنا .. نمارس فيها حبنا الصادق .. بينما الآخرون .. يمارسون لعبة الشراء .. واقتناء الأرانب .

ـ أرانب ؟

ـ نعم ياحبى .. أرنب فى اقتصاد لعبة الشراء .. يساوى مليونا من الجنيهات .. من ذبيحة قلوب العاشقين الملايين من أمثالنا .

ـ لقد جئنا الى هنا لنستريح قليلا من كثرة البحث عن شقة .. لا داعى للحديث الآن .. دعنا نتأمل روعة الله .. فى القمر .. فى هذا الهدوء .

ـ أمنيتى أن أجد جحرا فى المقطم .. أنعم فيه معك بهذا الهدوء .. بعيدا عن طاحونة قلب القاهرة .. التى طحنت كل ما هو جميل فى نفوسنا ..

ـ قل .. يارب ..

ـ لا أستطيع الا أن أقول يارب .

وسمعنا أذان العشاء .. يحتضن الهدوء .. وتنقله الرياح الى أذن آلاف .. الآلاف .

وقال نادر :

ـ هيا بنا للعودة .

ولم تجب صابرين ، فهى تود ألا تترك المكان .. وأن يظلا هكذا مزروعين كشجرتين باسقتين رمزا للحب فوق المقطم .. يظللان العشاق وقت الظهيرة .. فقد زحف الناس الى قلبها فى لحظات شك من عدم العثور على شقة حبهما .. ولسعتها ألسنة الأهل والأقارب كلدغات العقارب لأن نادرا لم يعثر بعد على عشهما الوردى .. فقد طالت بهما الأيام .. لكنها كانت أياما .. حفرت ذكرياتها الحلوة فى قلبيهما أجمل سطور قصة حب دافئة .. أمام أعاصير الحياة المادية العاتية .. وسارت صابرين .. وهى لا تدرى كيف تسير ، ونادر يكاد يعتصرها فى حضنه .. وقد أحست بالدفء كله من حنان قلبه يغمرها ..

وانطلقا بالسيارة عائدين .. فى نفس الطريق الحلزونى .. والظلام يلفهما من كل جانب .. والسيارة تسير ببطء منحدرة الى أسفل المقطم ، وهى تهمس فى أذنه .. بعد أن دغدغ الشوق اليه كل أحاسيسها .. وقبلته قبلة خاطفة فى أذنه .. قائلة :

ـ حقيقى .. ليس فى هذه الدنيا .. الا أنت .

ـ أنا بابا .. أنا ماما .. أنا حبك .. أنا فارسك .

ـ يا فارسنى .

واقتربت السيارة من مزلقان شارع مجرى العيون .. وكانت عشرات السيارات واقفة فى الطريق لا تتحرك بسبب أعمال الحفر لاقامة كوبرى جديد فى ذلك المكان.. وكانت بجوارهما سيارة يركبها أحد ضباط المرور .. والسيارات واقفة لا تتحرك .. الا ببطء .. السلحفاة .

وقال نادر :

ـ لابد أن يكون فى كل سيارة مخدة للنوم..

ـ لا تتسرع .

ـ ان هذا البطء يفقد الانسان قدرته على الصبر .

ـ ان هذا المزلقان خطر .. القطار يأتى مسرعا .

ـ وأين هو القطار .. وجرس التنبيه لا يدق .. فلماذا الوقوف .. ان السيارات تكاد تحتك ببعضها .

ـ الصبر .

ـ ساصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى ..

تحركت السيارات ببطء السلحفاة مرة اخرى حتى أصبحت سيارة نادر وسيارة قائد المرور بالقرب من شريط القطار .. وسمع نادر قائد المرور وهو يستدعى الشرطى المكلف بحراسة المزلقان ويقول له :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

– لماذا تتعطل السيارات ..

وقال الشرطى بعد أن أدى التحية للضابط..

– السيارة الموجودة بعد المزلقان .. قد غرست فى المياه المحيطة بالكوبرى .

– حاول أن تساعدهم .

– حاضر يا فندم .

وذهب الشرطى .. الى السيارة المتعطلة .. ليساعد ركابها فى دفعها الى الأمام . وتحركت سيارة قائد المرور الى الأمام .. عابرة شريط القطار .. وتحرك معه نادر بسيارته وصاحت صابرين :

– لا تتحرك يا نادر .. ان القطار قادم ..

– لا شىء قادم .

– ان جرس التنبيه يدق .

– ولكن سيارة قائد المرور تحركت وسأقف بجانبها ..

– أرجوك أن تسمع الكلام .

وتحرك نادر بسيارته .. ولكن سيارة قائد المرور سدت أمامه الطريق الضيق .. ووجد نفسه واقفا مع شريط القطار .. وجاء الشرطى صائحا ..

– ارجع الى الوراء فورا ..

وعاد نادر بالسيارة الى الوراء .. ولكن سيارة خلفه سدت المكان .. فوجد نفسه فوق شريط القطار .. وصاحت فيه صابرين .

– قلت لك لا تتحرك .. ولا تسمع الكلام ..

– ماذا أفعل .. ان السيارة التى خلفى لا تتحرك ..

– انك تنتحر .. سأغادر السيارة .

وفتحت باب السيارة وخرجت منها .. وصاح الشرطى .. والذعر فى عينيه .

– قلت لك ارجع الى الخلف فورا .. القطار قادم ..

– لا مكان خلفى .

– تقدم الى الأمام بسرعة .. بسرعة .. القطار قادم .

وتحرك نادر بالسيارة قليلا الى الأمام ..

– يا أستاذ .. يا أستاذ انك مازلت فوق الشريط .. القطار قادم ..

وشل تفكير نادر .. فلا يستطيع أن يتحرك الى الخلف .. والمكان أمامه ضيق .. وسيارة قائد المرور قد سدت الطريق أمامه .. وجزء من السيارة مازال فوق الشريط .. والقطار يعوى بصفارته .. قادما بأقصى سرعته والموت يدور بين عجلاته .. وأشعة الكشاف الأمامى كأنها عين مارد غاضب .. ونادر لا يلتفت يمينا ولا يسارا .. ولا يدرى بما يحدث .

وفى هذه اللحظة .. فتحت صابرين باب السيارة بسرعه ، وقفزت خارجها .. هاربه من الموت .. والشرطى يضرب بيديه مقدمة السيارة .. صارخا .. القطار .. القطار .. تحرك يا أخى .. تحرك الى الخلف .. ويتحرك نادر بالسيارة الى الخلف وهو فوق القضبان . ويصرخ الشرطى .. يا ستار .. يا لطيف .. تحرك الى الامام .. الى الأمام .. سيفرمك القطار .. ونادر تحجرت عيناه .. وتقلصت يداه فوق عجلة القيادة .. والسيارات أمامه تسد الطريق . ورأى سيارة قائد المرور تتحرك قليلا .. فاندفع نحوها .. واصطدم بمؤخرتها .. وبالحاجز الخشبى المقام حول الكوبرى .

وغطى ضجيج القطار ، وعويل صفارته .. والموت الذى يدور فى عجلاته .. على صرخات الناس الذين وقفوا كالأصنام . يشاهدون ما يحدث .. وأغمض الشرطى عينيه بيديه .

لحظة رهيبة مرت .. بمرور القطار . ونادر فى السيارة ، وقد تجمدت الدماء فى عروقه .. ومر القطار وليس بينه وبين مؤخرة السيارة سوى مسافة شبر واحد .

وهجم شاب من الواقفين على نادر يقبله .. قائلا :

– كتب لك عمر .. يا بيه .. أى خدمة .. لو كنت مكانك .. لبصقت على من كانت معك فى السيارة .. وتركتك .

– شكرا .. شكرا .

وتحركت السيارات فوق المزلقان المغطى بالمياه .. وتاه نادر بسيارته .. وسط ضجيج الناس .. وعويل صفارات السيارات .

القاهرة : فتحى الابيارى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المشي على الصراط

يوسف الشاروني

لعل رواية السراب (١٩٤٨) لنجيب محفوظ هي أول رواية نفسية في عالمنا العربي ، فهي تدور حول ابن شبه وحيد لأمه اذ انفصل الوالد بعد أن أخذ معه الابن الأكبر والابنة الوحيدة ، وترك الابن الثاني ـ الطفل ـ مع أمه ، فنشأ متعلقا بها يقدس كل من يشبهها ، لا يستطيع أن يقيم علاقة طبيعية الا مع الدميمات لأن تجربة طفولته كانت مع خادمة منهن ، وعندما تزوج لم يستطع أن يقيم علاقة مع زوجته بينما استطاع أن يقيمها مع سيدة دميمة ، وكانت نهاية المأساة أنه اكتشف خيانة زوجته ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبرغم أن أدبنا العربي قد تناول كثيرا من ألوان الرواية التي عرفها الغرب من روايات تاريخية واجتماعية حتى روايات الخيال العلمي ، فان الرواية النفسية ماتزال لونا نادرا لم يقربه روائيونا كثيرا ٠ وهذا ما يعطى رواية المشي على الصراط للدكتور يحيى الرخاوى ١٩٧٣ أهميتها بالنسبة لتاريخنا الأدبي ، وان كانت ـ كما سنرى ـ قد تجاوزت الأساس السيكلوجي الذي بدأت به ٠ ولهذه الرواية كذلك أهمية أخرى بالنسبة لمؤلفها، فهو طبيب نفسي ممارس وعالم مشتغل بعلم النفس يعلن أن هذه هي روايته الأولى والأخيرة لأنه أحس ـ وهو ينتهي منها ـ أنه يودع الفنان في نفسه بعد أن عجز عن أن يخرج عملا فنيا خالصا ، لانه ـ على حد قوله في مقدمة الرواية ـ يعاني صراع الفنان والعالم كلما حاول أن يمارس أى عمل فني ـ وقد وصلت به حدة الصراع الى اعترافه أنه كتب الفصول الأربعة الأخيرة من الجزء الثاني من الرواية قسرا وضد مقاومة هائلة من داخله ٠ وهو يقوم بنقد نفسه بنفسه اذ يعتذر عن اقحام تفاصيل علمية في الجزء الأول من روايته الذي جعل عنوانه « الواقعة » ، بينما نجح في الجزء الثاني وهو «مدرسة العراة» في التخلص من هذا القيد ، فترك الأحداث تدور قبل الجلسة العلاجية وبعدها دون أن يصفها وصفا مباشرا ٠ ومع هذا نفهم مما ذكره من قبل أنه لم يستطع أن يصمد لجانب العالم في نفسه الا بعد مقومة ظلت تتصاعد حتى لقد وجد مشقة هائلة في كتابة الأجزاء الأخيرة من روايته ، بل انه تردد في نشر الرواية بعد اتمامها فظلت حبيسة

مكتبه عامين (من أكتوبر ١٩٧٥ حتى أكتوبر ١٩٧٧) حتى غامر أخيرا بنشرهـا بعد أن قاوم تردده مرة أخرى حتى لا يشوه عمله بمزيد من الايضـاح أو المباشرة عندما لاحظ أن خاصة الخاصة الذين عرض عليهم مسودة هذا العمل لم يصلوا الى لب المشكلة الكيانية الكونية التى حاول ان يعرضها فى شكل روائى ٠

يحكى الجزء الثانى من روايتنا « مدرسة العراة » رؤية أحد عشر شخصا يكونون مجموعه من مجموعــات ما يعرف بالعلاج النفسى الجماعى ، وهى طريقة من طرق العلاج النفسى عن طريق تكاشف أعضاء المجموعة وتعرية أنفسهم أمام الآخرين دون حرج ٠ وفى هذا الجزء يسمح لنا الطبيب المعالج أو المؤلف المبدع أن نتلصص على أفراد هذه المجموعة وهم يهمسون حينا فيما بينهم وبين أنفسهم - فى مونولوج يطول أو يقصر - بآرائهم فى أنفسهم وفى أعضاء المجموعة الآخرين ، ثم وهم يتحاورون مع زملائهم أو مع أنفسهم ، مما يكشف لنا عن مدى اختلاف ظاهرهم عن باطنهم ، وكيف تتعدد شخصيات الفرد بقدر تعدد علاقاته مع الآخرين ٠

وقد سبق للدكتور يحيى الرخاوى أن نشر كتابا عام ١٩٧٢ - أى قبل نشر روايته بخمس سنوات - بعنوان « عندما يتعرى الانسان ، صور من عيادة نفسية » ويعد تمهيدا لروايته - ولا سيما الجزء الثانى منها - أو يعد المادة الخام التى منهـا استطاع أن يكون بنـاءه الروائى فى « المشى على الصراط » ، وقد أعلن المؤلف ذلك صراحة على الغلاف الخلفى لروايته التى اعتبرها تطويرا لعمله الأســبق ٠ ففصول كتاب « صور من عيادة نفسية » يبلغ عددها تسعة ، وهى وان كانت تبدو على غير صله ببعضها يجمع بينها أن شخصياتها تذهب الى الطبيب ليتعاون معها على اجتياز أزمة نفسية قد ترتفع الى أزمة وجود ، بينما الرباط الذى يجمع بين شــخصيات « مدرسة العراة » رباط أقوى لانهم يلتقون معا فى جلسة العلاج الجمعى النفسى ، بل ان بعضـــهم تربطه علاقات الزوجية أو الجيرة وهو الذى أغرى شريكه أو جاره بالمشاركة فى هذه الجلســـات ، وعلى حين لا نتعرف على شخصيات « صور من عيادة

نفسية ، الا أثناء الجلسة العلاجية ، لا نتعرف فى « مدرسة العراة » على الشخصيات الا قبل أو بعد جلسة العلاج النفسى ·

وفى ختام كتاب « صور من عيادة نفسية » نستمع الى ذلك الحوار الذى يدور بين الفتى والحكيم ·

يقول الفتى : يولد الانسان على الفطرة ، ثم يسعى فى الحياة ، يحاول وهو لا يسأل « لماذا » ولا « ثم ماذا » ، واذا سأل تلقى اجابات لا تغنى ، بل ربما تزيد غموض الطريق ، فيكف عن السؤال والتساؤل ، ثم عن المحاولة ، وينسى أو يتناسى ، ويستمر هكذا فترة تطول أو تقصر ، ثم يصحو فجأة ، وتبدأ المأساة ؛ وتصبح حكاية ، أو هو يستمر فى سباته فى ليل بلا نهار ·· ويمضى بلا حكاية ·

قال الحكيم : هو ذاك ، فمسيرة الحياة فى أغلب الأحيان واحدة مهما اختلفت الصور تبحث عن خدعة أو عدة خدع متتالية تشغلنا حتى نموت ، وكأننا نتعجل الموت خوفا من اكتشاف الحقيقة قبل أن ينتهى الأجل ، كأننا نريد أن نموت قبل أن نموت (عندما يتعرى الانسان ـ ص ٣٥٦) ·

ويمكن اعتبار الفقرة السابقة بلورة لما جاء فى ذلك الكتاب ، وللمحور الروائى للمشى على الصراط · ففى ذلك الكتاب كشف لنا المؤلف عن انقسام الانسان الى جانبين كل منهما يعارض الآخر فى وقت واحد وليس فى وقتين كما كان الحال مع دكتور جيكل ومستر هايد ، كما أن معظم مرضاه يستيقظون فجأة ليكتشفوا سخف الشكليات والمواضعات التى كانوا يمارسونها والتى يمارسها زملاؤهم أو جيرانهم أو أقرباؤهم ، ويظل التساؤل يتدرج فى الارتفاع حتى يتساءل الانسان عن معنى وجوده ، وليس فقط عن سبب اختياره لنمط حياته أو ما وضعه من هدف أو أهداف · ولا تختلف كثيرا شخصيات « مدرسة العراة » عن شخصيات « صور من عيادة نفسية » الا فى أن الأولى يربط بينها خيط أقرب الى الخيط الروائى بينما الثانية أقرب الى مجموعة القصص القصيرة التى توجد بينها القصة الاطار فى صدرها على نحو ما فعل القصاصون القدامى فى كتب مثل ألف ليلة وليلة أو كليلة ودمنة ، فاستبدل الفتى والحكيم بدبشليم الملك وبيدبا الفيلسوف ·

أما الجزء الأول «الواقعة» فيتتبع فيه المؤلف شخصية واحدة من هذه الشخصيات هى شخصية عبد السلام المشد ، من خلال أزمته ومن خلال فردوس الطبلاوى ، وهى أيضا احدى شخصيات مدرسة العراه بعد أن أغراها زوجها ـ أو ربما دفعها ـ الى الانضمام الى مجموعة العلاج النفسى الجمعى ، ففى هذه المجموعة أكثر من ثنائى ، وكأن المؤلف يقدم لنا فى هذا الجزء الأول « عينة » من أفراد هذه المجموعة تحت المجهر وبتفصيل أدق ·

تبدأ الرواية بطابور يقف أمام شباك لتحصيل المبالغ نظير استهلاك الكهرباء ، وعندما يصل اليه أحد أفراده يكتشف أنه نسى بيان الاستهلاك الذى بمقتضاه يدفع المبلغ المطلوب ، غير أنه يكتشف ما هو أخطر عندما تسأله موظفة الشباك عن اسمه الذى سيكتب فى الايصال ، لقد فوجىء بانه نسى اسمه · ونسيان الاسم ـ كما نفهم من كتاب « صور من عيادة نفسية » دلالة على أن صاحبه لاشىء · يقول أحد المرضى : ان للاسم رنينا اذا كان لصاحبه كيان ، ولكنه صدى أجوف اذا كنت لا شىء ·· لا شىء » (صور من عيادة نفسية ، ص ١١٥)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا تكون هذه الواقعة تحول خطير فى حياة عبد السلام المشد ، فخلف سؤال المرأة له : الاسم يا سيد ، كان يربض سؤال أخطر : من أنت ؟ (الواقعة ص ٢٠٠) ٠ لقد اكتشف في هذه اللحظة أن سر الوجود يكمن في جهل الناس بأنفسهم حتى يسيروا بهذه الصورة بالغة النظام ، بالغة التعقيد والاضطراب ، وأنهم لو حاولوا أن يجيبوا على الأسئلة المطروحة فى كل لحظة بجدية حقيقية لاختل توازن الكون ، وأنه لهذا لابد من الاجابة على كل سؤال حتى لا نضطر الى البحث فعلا عن اجابة له ٠

وهكذا أحضر أوراقه بسرعة وعاد الى موظفة الشباك يجيبها على سؤالها فورا معلنا « أنا عبد السلام المشد ، أريد أن أدفع ايصال النور قبل أن يقطع عنى ٠٠٠ » ، وعندما خرج الى الشارع ثانية حاول عبثا أن يوقف هذا الشىء الجديد الذى حدث له ، بالانكار والاهمال والتفكير فى أى شىء آخر : مصاريف المدارس المطلوبة للأولاد ٠٠٠ تغيير التليفزيون ٠٠ الذهاب الى الخياط لحياكة احدى قطعتى صوف وارد الخارج ٠٠ غير أنه اكتشف ـ زوجته أمام آلة الحياكة ـ أن شيئين فى داخله قد انفصلا عن بعضهما ، وأنه يريد أن يمسكه أحد « منهما معا » ، يلم أطرافهما على بعضهما البعض ـ كما تفعل زوجته الآن ـ ويغرز فيهما هـذا المثقاب النشط ذى الخيط المتين ، وياحبذا لو كان سـلكا من صـلب يضـمه على بعضـه حتى يعود واحدا كما كان ٠ لكنه يتساءل ما اذا كان واحدا فى يوم من الأيام ، ودليله على ذلك أنه لم يتذكر اسمه فورا عندما سئل عن هذا الواحد ٠ اذن فهناك « أنا » وهناك « هو » ٠

منذ تلك اللحظة يبدأ عبد السلام المشد رحلة البحث عن ذاته الضائعة : عند جاره الأستاذ غريب الذى تضخم عقله البشرى لدرجة أن يعلن أن الله فى الكتب ، وعند نقيضه عم محفوظ السباك بتلقائيته وعفويته ومعرفته المباشرة وتسامحه مع عبد السلام لأنه لا يصلى ، اذ يقول له أنت بركة عنى ٠ ورحلته بين الأطباء : طبيب أمراض نساء وأطفال ، فطبيب أمراض عصبية ، فمستشار نفسى ، فأخصائى تناسليات وأخيرا طبيب نفسى ٠٠ وتارة بين النساء : مع زميلته السيدة آمال التى استطاع أن يحصل منها على موعد بعد العمل ثم عاد فألغاه ثم عاد فانتظرها علها تأتى ، وعندما طال به الانتظار ولاحظ أن جميع الموظفين قد خرجوا ما عدا المدير العـام وآمال اعتقد أن كل شىء لابد وأنه يتم فى هدوء ودفء على تلك الأريكة العريضة فى تلك الحجرة المكيفـة الهواء ، وعندما مر بائع عناقيد الفـل اشـترى عنقودا وهم بالعودة والصعود الى الحجرة حاملا عنقود الفل لينثره عليهما فى لحظة النشـوة ، لولا أن البواب ينبهه الى أن المدير انصرف منذ الصباح « لأن عنده لجنة » ، أما السيدة آمال فقد وضعت منذ ثلاثة أيام وقد زارها أمس وأخـذ منها حـلاوة الوضـع ٠ يومها لم تزعجه فكرة الجنون بقدر اعجابه باكتشافه هذه الموهبة العظيمة فى نفسه : أنه يمكنه الحصول على ما يشاء بمجرد التفـكير فيه ٠ أما جارته الصغيرة الطالبة أمانى فقد خلط بينها وبين والدتها الحاجة فتحية ، اذ نجح فى أن يتردد على منزل جارته بحجة مساعدتها فى دروس الرياضة ولكنه انتهز فرصـة انفراده بالأم التى تكاد تتخطى الستين ليهجم على شفتيها فتدفعه عنها بعنف وقد غمرت وجهه بصـقة هائلة ٠ ثم كانت تجربته مع تلك السيدة السودانية التى ترى الطـالع وتشـفى الأمـراض ، « تحضر » وتأخـذ الأثر وتقرأ بعض ما تعرف باذن الله ، ثم تنفرد بنفسها فى حجرة مغلقة ، ويقـولون انهـا تتعرى تماما حتى يحضر خادم من خدام السر فتطرد الشياطين ٠ وقد تم استدعاء هذه السيدة بناء على طلب زوجته السيدة فردوس الطبلاوى علها تشفيه مما ألم به من عجز فى علاقته بهـا ، فلما انفرد بهـا

وانفردت به أحس ـ وهو العاجز مع زوجته ـ بأنه يستطيع فى هذه اللحظة أن يصهر الحديد ، وأدركت المرأة ذلك فقالت له : أنت ابليس ذاته · رد عليها فى فخر : أنت تريدننى هكذا ، فلن يغرقك فى بحر اللذة المجنونة الا من هو أجن منك · أجابت : لا حيلة لى معك ، هيا وخلصنا (المرجع السابق ، ص ٢٢٢) ·

أما زملاؤه فى العمل فكان هناك أولا مديره العام الذى نصحه أن يستشير أحد المختصين فى الأعصاب ، ثم رئيسه الأستاذ فتحى عبد الصادق ومرؤوسه أسعد أفندى كميل اللذان لاحظا ما ينتابه من نسيان يتصل بعمله فتنافسا على علاجه بنفس التعصب والحماس « ما أقرب وجه الشبه بينهما ، عقيدة راسخة تقال بيقين تشنجى ، تسمح لهما بالفتوى فيما يعرفان وما لا يعرفان » (المرجع السابق، ص ١٨٨) ، الأول ينصحه بالذهاب الى طبيب نفسى والآخر يدعوه الى زيارة دير فى الصحراء ليجد السكينة والمعرفة معا ·

ثم كانت هناك رحلته الى أمه القابعة فى أعماق الريف وأبيه الراقد بين المقابر فى القرافة وما دار بينهما من حوار كان يحاول فيه عبد السلام المشد أن يصل الى معرفة الله ·· الى ما بعد الذات ·

وشخصية عبد السلام المشد فى رحلة بحثه هذه يذكرنا على الفور بشحاذ نجيب محفوظ (١٩٦٤) · وقد سبق أن أطلع الدكتور يحيى الرخاوى على هذا الشحاذ وقدم لنا دراسة عنه فى أول كتاب أصدره بعنوان « حياتنا والطب النفسى) عام ١٩٧٢ ، وقد شخص لنا الدكتور يحيى الرخاوى ـ بوصفه طبيبا نفسيا ـ مرض عمر بطل رواية الشحاذ بأنه مرض الاكتئاب الذى يبدأ باضطراب فى العاطفة يترتب عليه همود حركى وانصراف عن الدنيا والناس دون مبرر حقيقى ، بل وفوق ذلك يصاب التفكير ببطء ظاهر وسوداوية قاتمة · واذا ترك المرض يتطور حتى يبلغ مداه زاد الضجر والاكتئاب الى حد التبلد وانتهى الى جمود حركى بالغ وعزلة تامة ، وسكون خامد ، ثم يتوقف التفكير ويزيد اضطرابا ، ويختل الادراك وتختلط المرئيات فيرى المريض ما لا وجود له وينكر ما هو كائن (حياتنا والطب النفسى ، ص ٣٥ ـ ٣٦) · ولكن الدكتور يحيى الرخاوى عاد فى كتابه التالى « حيرة طبيب نفسى » الذى نشره فى العام نفسه (١٩٧٢) ليعترف بأن تحليله لتلك الرواية انما كان تحليلا سطحيا (حيرة طبيب نفسى ، ص ٤٣ ـ ٤٤) · والواقع أن عمر وعبد السلام المشد يتشابهان فى هذا البحث الدائب عن معنى الحياة ، والقيام بتلك الرحلة خلال الطب حينا والجنس حينا والأسرة حينا ثالثا والأصدقاء حينا رابعا ·· الخ ورحلة البحث عن معنى الحياة تتضح عند نجيب محفوظ فى أكثر من رواية على نحو ما نجد لدى صابر بطل رواية الطريق (١٩٦٥) الذى مضى يبحث عن أبيه لكى يحقق له الحرية والكرامة والسلام ·

ولقد كان عبد السلام المشد يعرف أنه مساهم فيما حدث بشكل ما ، فهو لم يأت اليه هكذا مثل القضاء والقدر ، لكنه يسعى اليه ، ينتظره بل يتمناه ، برغم أنه كان يخاف منه ، يتحاشاه (الواقعة ، ص ٢٨) وهكذا أصبح عبد السلام المشد يعيش هذه الازدواجية ويعانى صراع ·· الأضداد · أحيانا يقوم بينه وبين الناس ساتر كثيف وكأنهم يتحركون على بعد لا يعرف مداه ، وأحيانا يحس بصفاء مع تغيير شامل فى نظرته للحياة ، وكأنه كان مسافرا لعدة قرون ثم عاد فجأة ،ويحتار بين غربته ووحدته (المرجع السابق ، ص ٤٩) ·

وأصبح هناك جانب من جانبى عبد السلام المشد كأنما يبدأ طفولته من جديد، فهو لا يكاد يعرف جدول الضرب ولا كيف يكتب مكاتبات العمل ، وهو يجاهد ليجمع حروف الهجاء ليكون كلمة ، وهو يعانى مما أصيب به من تناقض ، فيعيش اللامبالاة بكل برودها وجمودها ، وفى الوقت نفسه يتفجر بالحب الوقح الذى لا يستبعد الجنس ٠ ولم تعد تجذبه قراءة الأخبار العادية التى كانت تجذبه قبلا مثل الاعلانات والوفيات وأخبار الاصلاح الوظيفى ، وعلى العكس أخذ نظره ينجذب الى الموضوعات التى كان يضعها تحت بند الكلام الفارغ « انتحار الفكر الجديد » ، « المد الثورى فى العالم الثالث » ، مخاطر المجاعة وانقراض الانسان » ، وبمعنى آخر أصبحت تنفره التفاهة وتجذبه الجدية ٠

ولقد كان ماضيه وحاضره ، شبابه وكهولته ، مظهرا من مظاهر هذه الازدواجية حتى أحس أن شخصا ما سرق منه شبابه ، ولولا هذه الواقعة أو الزلزال لما استيقظ بعد نوم عشرين عاما ليكتشف سرقة ماضيه ، ذكرته بذلك بقايا الكتب التى علاها التراب فى الصيوان وهو يتعجب أنه فى يوم من الأيام اقتنى مثل هذه الكتب ، كما ذكرته بذلك كومة خطابات عثر عليها وقد علاها التراب وهى مربوطة بخيط من الدوبار ٠ ففى شبابه كان الحديث كثيرا والحماس كبيرا وخطاباته المتبادلة مع خطيبته تمتلىء بأفعال نابضة مثل « نقرأ ٠٠ نحاول ٠٠ نعمل ٠٠ نغير (بالشدة على الباء نتألم » هذه الأفعال الخمسة حل محلها الأسماء الخمسة « الأولاد ٠٠ الأسعار ٠٠ الحسد ٠٠ الستر ٠٠ حسن الختام » ، ويتساءل عبد السلام المشد : كيف تنقلب الأفعال الى أسماء ؟ والمصيبة أن ما حدث لى هو ما حدث لسعيد عبد الراضى (شاعر اتحاد الطلبة) وعبد المهيمن المنقبادى (قائد المظاهرات) وسعاد زهران (راكبة الدراجات ، محطمة التقاليد) وسميحة عبد الوارث (الحالمة بالجنة على الأرض) وحتى سمية رمضان (الشابة الحاجة ذات الايشارب والحماس لارجاع الكون الى أصله) كلهم استبدلوا الأسماء الخمسة والأفعال الخمسة ، ولم يبق منهم الا التهامى محمود الذى يبدو أنه احتفظ ببعض الأفعال حية ، فما زلت أسمع بعض تعليقاته بالصدفة على برامج الموسيقى التى لا أفهمها ٠ ثم مضى عبد السلام المشد فى تساؤله : ما الذى أعادنى ثانية الى تلك الفترة ، ما الذى يحاول أن يوقظ فى الأفعال الخمسة وكيف أهرب ثانية الى الأسماء ٠ كنت أعيش وهم جميعا ما زالوا يعيشون ، فلمصلحة من أرجع وحدى وأفيق من خدر الأسماء لأواجه أفعال تتحدى ؟ المرجع السابق ص ٥٢) ٠ ثم يعلن أن زوجته ليست الا تلك المرأة التى اغتالت خطيبته (صاحبة الخطابات) ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتؤرق قضية الوجود بطلنا عبد السلام المشد فيشك فى أننا ربما نعيش جميعا لأسباب سرية ، وغاية ما يمكن عمله هو أن ننقل هذا السر من جيل الى جيل لنحافظ عليه من الضياع حتى يتوصل الجيل الأخير الى حل اللغز ، أو لا يتوصل أبدا ٠ وكل من يحاول أن يكتشف هذا السر يصيبه ما أصابه هذه الأيام ، فما بالك بافشاء هذا السر « يكفى أن أعيش وحيدا بطريقتى الخاصة فى كوكبى الخاص حتى أكفر عن جرأتى فى أن أقتحم المنطقة الخطرة ومحاولتى للأكل من الشجرة المحرمة حين جرؤت ذات صباح أن أبحث عن معنى لما يقال لأجيب بصدق عن سؤال تلك المرأة عن هويتى » (المرجع السابق ، ص ٧٤) ٠ « يبدو أن المرض يبدأ حين تضطر الى تقليب أرشيف مخك للبحث عن اجابة مناسبة ذات معنى ،لسؤال ليس له معنى » (ص ٧٦) لهذا يصرح لجاره غريب حين زاره لأول مرة فى شقته

أنه يمر هذه الأيام بشيء جديد ، ذلك أن الأسئلة عنده زادت على الأجوبة (ص ٩٩) .

وقصد عبد السلام المشد طبيب أعصاب ، غير أن النتيجة لم تكن بأحسن حالا من يوم ذهابه الى طبيب أمراض النساء والولادة والأطفال . ومن الطريف أنه لاحظ عند دخوله عيادة الطبيب عدد من المعلقات الشعرية تحوى قصائد مديح تطمئن المرضى ، استرعى نظره من بينها – وهو داخل – قصيدة مطلعها :

اتيناك وقد شلت أيادينا	خرجنا من لديك وقد شفينا

وعند خروجه من حجرة الكشف لمح نهاية المعلقة

سنبقى شاكرينك ما حيينا	وأنت رب طب العالمينـــا

وهذا نموذج من أسلوب السخرية والتهكم الذى يتخلل الرواية من أولها الى آخرها .

وعندما بدت عليه أعراض المرض فى عمله حتى امتلأت ملفاته بالتاشيرات الحمراء نصحه رئيسه نصحى عبد الصادق (لاحظ دلالة الاسم على شخصية صاحبه) أن يقصد طبيبا نفسيا يعرفه . وعندما حاول عبد السلام المشد أن يتصل تليفونيا بعيادة هذا الطبيب ووجد تليفونه دائما مشغولا ، أفهمه رئيسه أنه يجب أن يتصل به « الا عشرة » ، وأوضح له أن الطبيب يرفع السماعة دائما فيما عدا آخر عشر دقائق من كل ساعة حين يتلقى المكالمات ويعطى المواعيد . وأن مواعيده دائما تكون الا خمسة ، لأنها تكون بعد انتهاء الكشف السابق بخمس دقائق وقبل الكشف الجديد بخمس دقائق اخرى . وقد وصل عبد السلام الى الموعد مبكرا . وحاول أن ينتظر فى عيادة الطبيب ، ولكن السيدة التى فتحت له أفهمته برقة أن يأتى فى الموعد . وبينما هو ينتظر فى احدى المقاهى اهتدى الى أن له عقلين على الأقل : أحدهما يتكلم مع الناس وهو عقله ، والآخر يتكلم فى الخفاء وهو عقل باله . وقد خرج من عند هذا الطبيب الثالث كما خرج من عند سلفيه صفر اليدين ، ولكن بعد أن تأكد أن له عقلين وشعورين : عقلا يختص بالمكتب والأعمال المنزلية ، وعقلا آخر للأغراض الخاصة والفرجة والفلسفة واختراع النظريات .

وزاره ابن خالته عبد ربه قادما من القرية .. وأخبره أن حالة والدته ليست خطيرة ولكل أجل كتاب . ولم يكن قد زارها منذ أن « نفخ فى الصور ، يوم ايصال النور » ، فلم يعد يقوم من يومها بالواجبات الاجتماعية المتعارف عليها حتى انه ترك ابن خالته ينصرف دون أن يوجه اليه دعوة الغداء . ولقد كانت زيارته للقرية على أثر ذلك مجالا يقارن فيه بين مرحلتين فى حياته : ما قبل الواقعة وما بعدها . فقد لاحظ أنه لم تنبض فيه خلية واحدة بذكريات الطفولة ، وكان اذا ذهب الى البلد يحس الأمان والهدوء ، أما الآن فلا يحس الا بالخوف والحذر ، حتى انه تساءل هل هذا الزلزال أيقظه أم أماته . وعندما لمح أمه تساءل : كيف تمر عليها الساعات وهى تتعبد فى قرص الشمس ، أو تطارد حشرة ضالة ، أو تبحث فى قميصها عن سر الحياة وهدف الوجود ؟ هل ترى ينبغى أن نبحث فى أشيائنا بمثل هذا الاهتمام الجاد بدلا من البحث فى عقولنا بلا جدوى ؟

وهكذا خرج الى الشارع وفى عقله سؤال واضح يريد أن يحدد باجابته مصيره: هل يجد الحل هنا ؟ فقد بدا له أن الناس هنا يعيشون بتوافق أكبر ، وأن

المصائب المرضية التى سماها رئيسه نصحى علامة حضارية لا وجود لها فى هذا العالم المتماسك المتناغم ، حيث المواشى والناس وهى تعود الى دورها تسبح فى سحابة من الغبار تطمس المعالم بين الانسان والحيوان فلا يميز بينها الا بانتصاب القامة وعدد الأرجل •

وعندما قصد قبر والده عجب لهذا التحول الذى قلب كيانه فجعله يخاف من سلالم داره التى كان يقفزها ثلاثة ثلاثة وهو صغير ، فى الوقت الذى لا يشعر فيه الآن بأى خوف وسط المقابر وقد كان يرتعب لمجرد سماع سيرتها • وهنـاك دار حوار ساخن بينـه وبين والده الذى كان يحس بوجوده كجزء منه أو من الطبيعة الكونية « التى هى أنا بشكل أو بآخر » وقد انتهى الحوار الى غير اتفـاق ، فلكل طريقـه •

ومضى عبد السلام المشد فى رحلة بحثه يحاول الحصول على اجابة لسـؤاله الحائر : من أنت • وهو يحدد موقفه بين جاره غريب المشغول دائما بقراءة الكتب وعم محفوظ السباك بقوله : كنت دائما خائفا من الالحاد بقدر خوفى من الايمان •

واستدعاه مديره ذات يوم الى مكتبه وهو يخشى نتيجة المقابلة لأنه يحس أنه يعيش هذه الأيام كالاناء المشروخ من الداخل ، وخوفه من أن يمتد الشرخ الى الخارج فى أية لحظة فيتهشم تماما ، واذا بالمدير يفضى اليه بنبأ وفاة والدته • وعندما عاد الى مكتبه أحس فجأة أن عقليه قد استيقظا معا مما أثار خوفه وجعله يتساءل : من ذا منهما سيعامل الناس فى البلدة ، كان أحدهما عقـلا اجتماعيا يحترم العرف والعادة وما جرى عليه الناس من مسميات ، والآخر يسخر من كل هذا ، فلكل مجاملة تعليقان : تعليق رسمى منطوق أشبه بالكليشيه ، وكل حركة محسوبة لهـا رد محسوب ، وآخر ساخر مهموس • يسأله رئيسه : « خير يا أستاذ عبد السلام » •

فيرد عقله رقم واحد : والدتى تعيش انت •

ويرد عقله رقم اثنين : العقبى لك •

البقية فى حياتك •

عقل رقم واحد : حياتك الباقية •

عقل رقم اثنين : ليس معى فكه ، خل الباقى لك •

وفى السيارة الى بلدته انطلق عقله رقم ٢ يغنى بينما عقله رقم ١ يعانى الحزن لوفاة والدته •

ولم تتحسن حالة بطلنا بعد مقابلته أو التحامه بالمرأة السودانية لتشفيه مما ألم به من عجز فى علاقته بزوجته ، فقصد عيادة الطبيب النفسى ، وهنـاك قابل ابراهيم الطيب ، أبرز شخصية سنقابلها فى الجزء الثانى « مدرسة العراة » ممن يشتركون فى مجموعة العلاج النفسى الجمعى ، فتجاذب الحديث معه ، قال له :

– تشغلنى أمور كثيرة متشـابكة ، لابد أن أنتهى منهـا ، حتى أعـرف كيف أعيش ، الله والحقيقة والجنس والعمل والموت والنار ••• كل شىء •

– ياأخى تريد أن تنتهى مما وجدنا للبحث عنه قبل أن تبدأ ؟ تبدأ ماذا بعد ذلك ؟ البحث فى هذه الأمور هو الحياة ذاتها •

– هذه أمور لا تشغل كل الناس •

ـ بل تشغلهم ولكن بطرق مختلفة ·

ولم يدخل عبد السلام المشد غرفة الكشف ـ مع أنه دفع أجره ـ بل خرج مسرعا يجرى فى الشارع · وفى الشارع لاحظ حركة غير عادية : جنود يلبسون حوادث نحاسية ويمسكون عصيا طويلة وعربات شرطة تحمل مثلهم وتجوب الميدان وأعداد من الشباب تتجمع وتتفرق · وعندما توجه الى مجموعة من الشباب وجدهم ثائرين لأن جزءا محتلا من أرضهم ، فقد كان ذلك فى ربيع عام ١٩٧٣ قبل حرب أكتوبر مباشرة ، وهم يعلنون أن الحل هو الثورة أو الحرب · قال له الشاب :

ـ ألا تحس ياهذا ؟ ، كيف تستطيع أن تواجه أولادك كل صباح ، كيف تتمتع بزوجتك والبلد محتلة منذ سنوات !

وكاد عبد السلام يسأله هل من الوطنية أن يكون عنيفا حتى يزول الاحتلال ، وأحس بزهو خفى لأنه لا يتمتع بزوجته فى ظل الاحتلال · وعلق على ذلك بقوله : كنت أحسب أن فشلى على السرير هو أعلى درجات الخزى ، لكنى عرفت الآن ما هو أعلى منه وأكثر سخفا ·

وأخيرا عاد بطلنا الى الطبيب النفسى الذى أوضح له أن ما به شىء عادى يمر به كل انسان يحاول أن يعيش فعلا ليجد هدفا يدفعه للاستمرار وهو ليس مرضا ولا جريمة ·

ويبدو أن المؤلف كان يمهد للجزء الثانى من روايته حين يجعل بطله يعلن لجاره غريب أن الطبيب النفسى عرض عليه علاجا جديدا يسميه بحثا مشتركا أو رفقة طريق أو علاجا جمعيا ، فهذا هو الذى يجمع بين شخصيات « مدرسة العراة » الجزء الثانى من رواية « المشى على الصراط » ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وينتهى الجزء الأول من روايتنا بحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ وعبور القوات المسلحة قناة السويس ، ونجاح بطلنا فيما فشل فيه من قبل مع زوجته حتى يعلن قائلا : كأننا عبرنا القنال معهم وحطمت خط بارليف · وهكذا ابتدأ هذا الجزء الأول من روايتنا بأزمة شبه شخصية وانتهى بارتباط هذه الأزمة بقضية عامة ·

غير أن بصيص النور ما يلبث أن يخبو حين تصله اشاعات عن سقوط السويس ومحاصرة الجيش الثالث · ويبدو أن هذه الأنباء قد أعادت اليه اليأس بدرجة مرضية ، فنحن نلتقى بعبد السلام المشد فى الجزء الثانى كشخص من أحد عشر شخصا يكونون مجموعة علاج نفسى جمعى · ونحن نلتقى ببطلنا وقد دفعه اليأس الى الانتحار بسبب ما يعانيه من الاحباط على المستويين الشخصى والاجتماعى ـ وقد اتضح أنهما متلاحمان ـ ولكنهم ينشلونه من النيل · وعندما يفيق من اغمائه ويبدأ تعرفه على تدرجات الألوان وظلالها يتذكر اليوم الأول لأزمته حين فوجىء بضرورة التعرف على اسمه من جديد · فى المرة الأولى كان الوجود هو الذى يقتحم عليه حياته ، أما الآن فهو الذى يقتحمه ، حتى أن بطلنا يتساءل : هل ينبغى أن يموت الانسان فعلا حتى يبعث من جديد ؟ ·· أنا عبد السلام المشد لم أمت ، ولكنى لم أحى بعد ·· منذ وقعت الواقعة وأنا فى دوامة لم ينشلنى منها الا اكتشافى أنى لابد وأن أمشى على الصراط بعد أن غلبنى دوران الدوامة ·· ليكن الصراط شعرة أو علاجا أو صحراء بلا ماء ولا خضرة ، لكنه أفضل من الدوران حول نفسى الى ما لا نهاية وأنا أنسحب الى قاع بلا قرار ·· عجزت عن اعلان فشلى

حتى الموت ، اخترته في يوم يائس وأنا أتصور المؤامرة تحاك بالبلد كلها أو بي شخصيا ، ولكن الحياة انتشلتني على الشاطىء الآخر ٠٠ لأواجه حقيقة جبني وهربي لأجد العالم كله في حالة فض اشتباك ، لا سبيل الى المشي على شعرة (مدرسة العراة ، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩) ٠ وهكذا كتب عليه الموت أن يحيا ٠

وسنلاحظ من الآن أن عبد السلام المشد سيكثر من مونولوجه الطويل الذى نتعرف عليه من خلاله ، من استخدام اللفظ ونقيضه للحصول على معنى جديد لا يؤديه لفظ واحد في اللغة بل يتخلق من اجتماع الأضداد ، فهو حين يفكر في أن يعرض على زوجته الحضور مع أفراد مجموعة العلاج النفسي ، نجده يقول : ياويحي لو رفضت ويا ويحي لو قبلت ٠ وقد وصل الجدل عنده الى ذروته عندما تساءل قائلا : ولكن الى متى أظل أرفض الشيء ونقيضه ٠ فكان جواب نفسه على نفسه : الى أن تقبل الشيء ونقيضه ٠

وهكذا لم يعد عبد السلام المشد هو ذلك المختبىء في حضن عماه المستسلم لمصيره ، واكتشف أنه يمكن أن يعلن عن نفسه قائلا : أنا الحضارة ٠ وأن مساهمته في صنع نفسه هي مساهمته في صنع بلده حتى ليصيح قائلا ، الله أكبر ، يا حلاوتي ٠٠ أنا عبد السلام الحضاري ٠ اللهم لا تجعله جنونا جديدا ٠

وينتهي تعرفنا على عبد السلام المشد حين يقابل جاره غريب فيلحظ وجهه المنطفىء ورباط عنقه الأسود ، ويعلم منه أن رفيقته صفية قد ماتت بعد أن تخلص منها « بأنذل مما تتصور » أرسلتها بيدي الى حتفها ، يأسي وعجزي كانا السبب في موتها » ، وقد قرر غريب مقاطعة الجلسات العلاجية التي كان يحضرها بدوره ٠

وعلى الجانب الآخر ، أو في الطرف المقابل ، نستمع الى زوجته فردوس الطبلاوي ، خريجة كلية الآداب قسم التاريخ ، لكنها ترى أنها نسيت نفسها ارضاء لأنانية زوجها ، فاحتفظت بورقة الليسانس مع خزين البصل كما تقول ، وانقطعت علاقتها بصديقاتها بسبب قلة ذوق زوجها ٠ ورغم حصولها على الليسانس فانها تقرأ الفنجان لتعرف نفوس الناس ٠ وقد نجحت في استئناس زوجها حتى وقعت الواقعة ، وذهب الى الطبيب النفسي وأقنعها أن تذهب بدورها معه ٠ ومع ذلك فقد ازدادت حدة الخلاف بينهما ، ويتلخص هذا الخلاف في هاتين الجملتين :

قال لها : لا أطيق الكذب ٠
فأجابته : ما تسميه صدقا هو الجنون ذاته ٠

وهي ترى أن العلاج النفسي الجمعي ليس الا استرزاقا من آلام الناس وحيرتهم ٠ ومع ذلك فقد أدى ترددها على العلاج الى يقظة شيء كان قد نام فيها منذ سنين ٠ ولعل من بوادر هذه اليقظة أنها أخرجت شهادة الليسانس من بين أكوام الخزين ، وعادت الى العمل مدرسة اعدادي دون أخذ رأي زوجها ٠

وفردوس الطبلاوي هي أولى الشخصيات التي نقابلها في « مدرسة العراة » ٠ لهذا فهي تقدم لنا بعض الشخصيات الأخرى التي تشترك معها في مجموعة العلاج النفسي الجمعي وذلك من خلال وجهة نظرها ، عن طريق المونولوج حينا والحوار مع تلك الشخصيات حينا آخر ٠ فكما عرفنا وجهة نظرها في زوجها عرفنا كذلك رأيها في جارها غريب الذي وصفته بأنه أغرب جبان وأنه المحرض لزوجها على الذهاب للعلاج النفسي الجمعي سعيا لخراب بيتها ، كما عرفنا من خلال وجهة نظرها ملكة مناع اليسارية المتحجرة وزوجها غالي جوهر اليساري المهتز ، كذلك الحالم

مختار لطفى ابن الذوات الذى لابد أنه يأتى لأنه لا يجد ما يفعله ولا ما ينفق فيه نقودا ، ثم نجوى شعبان المطلقة والتى تبدو كالمانيكان ولابد أنها تعالج بتعقيد نفسها ، ثم الفتاة الصغيرة الحسناء بسمة والتى نعرف عنها فيما بعد أنها لا تريد أن يكون مصيرها مثل مصير نجوى شعبان (مطلقة) ولا مثل فردوس الطبلاوى (زواج غير ناجح) ، ثم كمال نعمان الفنان الفاشل (تقول عنه ملكة مناع أنه زميل نضال قديم لكنه خاف السلطة فأصبح فنانا ، وخاف الفن فأصبح مجنونا) ٠ أما عبد السميع الأشرم فهو يغط فى غيبوبة بينما يعلن شحوب وجهه أنه لم ير النوم منذ زمن بعيد ٠ ثم ابراهيم الطيب الوحيد الذى ارتاحت له بين المجموعة : ملامح عظيمة وصوت ريفى وقلب طيب ، وجهه ينطبق بكل أسراره دون كلام ٠

ومعظم المناقشات فى هذا الجزء الثانى تدور حول اتصال الانسان بالكون ، مكملة بذلك الخط الروائى الفلسفى فى الوقت نفسه وهو النقلة من اللا ذات الى الذات ، الى ما بعد الذات ، من نسيان الاسم الى تذكره الى معرفة الله ٠

ان رواية « المشى على الصراط » من علامات تاريخنا الروائى ابتداء من حديث عيسى بن هشام للمويلحى وزينب لهيكل وعودة الروح لتوفيق الحكيم ٠٠ مرورا بثلاثية نجيب محفوظ حتى ثنائية « المشى على الصراط (٦٦٠ صفحة) » التى يمكن القول أنها روايات السبعينات المصرية وهى تقول بأسلوبها ومضمونها وبنائها الروائى : أن الجنون فى مرحلة من مراحله ــ ليس الا أزمة تطور ، وأن المجنون ما هو الا ثائر على الطريق ، الا أن يفشل ويرتد فنسميه حينذاك مريضا ٠ وأنه اذا كان الجنون هو نقيض النمطية ، فان الفن ــ وكما تدلنا على ذلك روايتنا ــ هو وحده القادر على أن يؤلف بينهما ٠ ورواية « المشى على الصراط » بدورها ثورة على النمطية الروائية ٠ صرخة فى وجه تلك الروايات العاقلة التى تنطبق عليها مقاييس الفن الروائى فتضيف اليه كما لا كيفا ٠ ان بها لمسة من تلك المرحلة الايجابية من أزمة الجنون ، وهذا هو سر تميزها ٠

وقد أعلن الدكتور يحيى الرخاوى فى مناقشة اذاعية له حول هذه الرواية ، ان كتابة هذا العمل الفنى جاء نتيجة لصعوبة حقيقية فى الأسلوب العلمى المتعارف عليه والمحدد بأساليب ومناهج لا تتيح للمشتغل بها أن يفضى بما ينطبع فى وجوده كله انطباعا كاملا شاملا ، فأصبح هناك تناقض بين ما يراه فى انسان معرى مفتوح أمامه يخترقه بلا هوادة وهو جالس بأمانة ــ يحاول أن يكون هناك حوار بينهما وليس حكما من جانب واحد ــ وبين محاولة صياغة ما أوصله له من انطباع فى أسلوب علمى يتنقل من عقل بشرى الى عقل بشرى ، فيعجز عن تحقيق ذلك عجزا تاما ٠ ذلك أنه حين يحاول أن يترجم رؤياه وانطباعه الى أرقام وعناوين معروفة ، وربما الى أساليب نمطية ، يحس بها تماما بالاختناق أمامها ٠ فما كان عليه الا أن يلجأ الى أسلوب آخر ، لعله أكثر سماحة ورحابة وتقبلا لنبض الانسان بكليته كوجود لا يمكن ترجمته الى عنوان أو لافتة أو رقم ٠ ومن هنا غامر فأمسك القلم وأبدع لنا روايته تلك ٠

معنى هذا أن هذه الرواية كانت حلا شخصيا من جانب المؤلف لمأزق وجد فيه نفسه وهو يواجه مرضاه يتمزقون فى أزمة وجودهم الكيانية الكونية ــ على حد تعبيره ــ فيتمزق معهم ، فوجد فى الفن ــ ما لم يجده فى عمله المحدد بقوانينه الصارمة ــ من سماحة ورحابة أقدر على استيعاب هذا التمزق المشترك وعلى تحمله وتجاوزه ٠

القاهرة : يوسف الشارونى

العيد الماسى لمدرسة الفنون الجميلة

٧٥ عاماً من الفنون التشكيلية فى مصر

بدر الدين أبو غازى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اصطلحنا على أن نؤرخ لبداية الفنون الجميلة فى مصر الحديثة بتأسيس أول مدرسة للفنون الجميلة وافتتاحها فى شهر مايو من سنة ١٩٠٨ وهى بداية صحيحة يتحدد معها ممارسة المصريين لهذه الفنون وظهورها فى تيار الثقافة المصرية . ماذا كان من أمر الفنون فى مصر قبل هذا التاريخ الذى أصبح من معالم النهضة الثقافية الحديثة .

لقد ظلت القاهرة مركزاً من مراكز الفن الاسلامى حتى عدت عليها العوادى فاطفأت جذوة العبقرية الفنية وان لم تأت على زيتها المقدس الذى كان يرتقب لحظة يلمع فيها ضوؤه من جديد .

وظل الشعب يواصل ابداع فنونه وحرفه التقليدية ولكن المناخ الثقافى الذى صنع للفنون نهضتها هو الذى ذهبت ريحه .

وبدأت مصر تستقبل الوانا وافدة من الفنون غريبة على منطقها التشكيلى منذ اتاها مع حملة بونابرت موكب العلماء والفنانين الذين استقروا ببيت السنارى فى حارة مازالت تحمل اسم مونج أحد العلماء الأفذاذ الذين صحبوا موكب العلماء والفنانين الى مصر .. ومن هذه الحارة بدأ احتكاك الغرب بالشرق من خلال أعمال مصورى الحملة ، وما كان تعبير الجبرتى عن انبهاره بما رآه فى ببيت السنارى من صور واقعية لآدميين تكاد على حد تعبيره « تنطق » الا تجسيما لانبهار المصريين بالفن الغربى الذى جاء بمفهوم وأساليب مغايرة للفن الاسلامى .

وأعقب ذلك عصر محمد على وما صحبه من اهتمام باقامة القصور الباذخة والحدائق والنوافير فاجتاحت مصر موجة من الفرنجة فى العمارة والتصوير والنحت .

وتوالى توافد الفنانين الأجانب الى مصر والشرق مبهورين بمناظر الطبيعة والمبانى القديمة وتجمعات الناس فى الأسواق والاعياد .

صور بعضهم محمد على والى مصر ، وصنعوا له التماثيل النصفية ؛ بل صوروا بعض شيوخ الأزهر فى لوحات مازال متحف فرساى يحتفظ بها .

وقدم مع مجموعة أتباع سان سيمون نخبة من الفنانين استمروا بمصر وفكروا فى انشاء مدرسة للفنون ضمن برنامجهم الذى جمع العلم والفن والصناعة .

وأوفد محمد على بعوثه الى فرنسا وكان من بين أفرادها من وجه لدراسة الهندسة والرسم غير أن اتجاههم كان الى الجانب التطبيقى والصناعى. واقيم فى ميادين القاهرة والاسكندرية تماثيل لابراهيم باشا وسليمان باشا ولاظوغلى ومحمد على كما ازدانت مداخل كوبرى قصر النيل بتماثيل الأسود الأربعة من عمل المثال الفرنسى جاكمار .

وشهدت مصر أول معرض للفنون اقيم بدار الأوبرا عام ١٨٩١ كان جميع العارضين فيه من الفنانين الأجانب المستشرقين الذين اقاموا بحى الخرنفش مراسمهم ونظموا فى ساحات بيوتهم حفلات للموسيقى الاوربية كان يرتادها الاجانب وطبقة من الأتراك المتمصرين .

غير أن أغلبية المصريين لم يقبلوا على هذه الألوان من الفنون وظل هواهم واعجابهم متجها الى لوحات الخط العربى وزخارفها التى كان يبدعها خطاطون أفذاذ أمثال عبد الله زهدى ومؤنس وجعفر بك . كانت لوحة الفن هى لوحة الخط العربى بابداعاته وروائعه ، ولم يقبل عدد الفنانين الاجانب سوى جماعة من الأثرياء لاقتناء لوحات هؤلاء الفنانين أو للجلوس اليهم ليصنعوا لهم صورا شخصية زيتية أو لتعليم بناتهم فن الرسم .

وظلت النظرة الى الفنون الجميلة نظرة هامشية باعتبارها ترفا وهواية من الهوايات مثل العزف على الآلات الموسيقية فى القصور .

على أن بدايات النهضة الحديثة فى مطلع هذا القرن شكلت تحولا فى المفاهيم الثقافية فأخذ الاحساس بحاجة المجتمع المصرى الى ممارسة الفنون ودخولها حلبة الثقافة ينمو ويتأكد فالأحداث التى سبقت مهدت لهذا الوعى ، وسياحات المصريين فى أوربا واتصالهم بالحياة الفنية فيها أكدت لديهم قيمة الفن ومكانه من الحياة .

وتجلى فى كتابات الامام محمد عبده ايمانه بالنفع العام للفنون فأبعد عنها شبهة التحريم ، وسجل قاسم أمين فى كلماته احساسه بأهمية الفن ودوره فى الحياة ، ولمس أحمد لطفى السيد فى كتاباته بالجريدة ظاهرة تخلف ذوق المصريين عن عقولهم ، وأهمية دخول الفنون الجميلة فى دائرة علومهم .

وجاءت هذه المقدمة تمهيدا طيبا هيأ لانشاء أول مدرسة للفنون الجميلة فى الوطن العربى .

تحققت الفكرة التى سعى الى تحقيقها اتباع المفكر الاشتراكى سان سيمون ولكنها لم تتحقق فى القرن التاسع عشر كما كانوا يريدون وانما تحققت عام ١٩٠٨ ، ولم تلق الفكرة فى البدء تأييدا كبيرا شأنها فى ذلك شأن فكرة «الجامعة» التى دعا الى انشائها مصطفى كامل وسعد زغلول وقاسم أمين ومجموعة من صفوة المصريين .

واذا كانت الجامعة الأهلية قد قامت على تبرعات بعض الأثرياء فى مقدمتهم المرحوم مصطفى كامل الغمراوى ، فان مدرسة الفنون الجميله وجدت الأمير يوسف كمال عونها المادى حين أقبل على انشائها بعد مشاورات مع المثال الفرنسى « لابلانى » الذى كان يصنع تمثالا للامير .

واختار لابلانى مجموعة من الفنانين الأجانب المقيمين فى مصر فتولى المصور الايطالى «فور شيلا» قسم التصوير على حين اختير المعمارى الفرنسى « بيرون » لقسم العمارة ، والمزخرف الفرنسى « كولون » لقسم الزخرفة ، وتولى لابلانى نظارة المدرسة الى جانب قسم النحت .

وفى ١٢ مايو سنة ١٩٠٨ افتتحت مدرسة الفنون الجميلة بشارع درب الجماميز فى مبنى كان دائرة الأمير يوسف كمال على حين افتتحت الجامعة الأهلية فى وقت معاصر بميدان الأزهار .

وبدأ حى درب الجماميز وميدان الأزهار يستقبلان أفرادا من أحياء القاهرة لدراسة الفن والأدب والانسانيات . ولاح فى العاصمة العتيدة مناخ ثقافى جديد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في البدء استقبلت مدرسة الفنون الجميلة خليطا عجيبا من سكان القاهرة تفاوت عمرا وجنسية وبيئة وثقافة واستعدادا لدراسة الفن منهم من واصل مسيرته ومنهم من انصرف وتميزت قلة بينهم بموهبة وقدرات فذة .

كان أول الساعين الى مدرسة درب الجماميز من جيل الرواد محمود مختار ومحمد حسن ويوسف كامل وراغب عياد ساقتهم اليها مصادفات وانبهار باسم المدرسة دون ادراك تام لمهمتها ولكنهم وجدوا فيها بغيتهم وهيامهم الغامض بالفنون .

وما كاد العام الأول من الدراسات الفنية المختلفة ينقضي حتى اعلن ناظر المدرسة نتيجة الامتحان :

النحت	محمود مختار
التصوير	محمد حسن
العمارة	الكسندر ليمونجلي

وما لبث المصريون أن ألفوا مظهر طلبة الفنون بأزيائهم المميزة حاملين لوحاتهم وأدواتهم في طرقات القاهرة ، ثم ما لبثوا أن رأوا الثمار الأولى لمواهبهم تتبدى في المواكب التذكارية القومية التي تتصدرها تماثيل مختار التي كان يعدها في تلك المناسبات لمصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهم وكذلك لوحات زملائه من وحي الأحداث الوطنية ، وامتد هذا الاشعاع الى محيط الهواة الذين أنضموا الى طلبة الفنون في جولاتهم بأحياء القاهرة وضواحيها منهم محمود خيرت المحامي الشاب الذي كان يمارس فن التصوير والموسيقى الى جانب عمله القانوني ، ومصطفى مختار القانوني الشاب الذي مارس التصوير والنحت وفن الكاركاتير .

وفي عام ١٩١٠ آل الاشراف على مدرسة درب الجماميز الى الجامعة الأهلية المصرية وكانت مواهب طلبتها قد صهرها حماسهم الشديد للفن ، وتعطشهم الى المعرفة ، وظهرت تجليات مواهبهم في التماثيل واللوحات . وأراد الاستاذ لابلاني أن يعرض نتائج هذه التجربة فالقى عام ١٩١٠ محاضرة بالجمعية الجغرافية المصرية عن قدرات المصريين من واقع تجربة مدرسة الفنون الجميلة وقد قدم بمحاضرته ومن خلال رصد التجربة دلائل القدرة المصرية على الابداع الفني ، قدمها من خلال عرضه لقدرات الطالب محمود مختار الذي استطاع بعد ستة أشهر من الدراسة أن يصنع نسخة مطابقة من تمثال رامي القرص الشهير وأخرى من تمثال «فينوس ميلو» دون معونة أو ارشاد الأمر الذي لا يستطيعه طالب الفنون في باريس الا بعد دراسة طويلة وتوجيه .

كما أبرز لابلاني قدرات محمد حسن كمصور وما يتمتع به من ذكاء ومن امتلاك لأساليب الأداء، وكذلك نوه بموهبة يوسف كامل وغيرهم من رفاق تلك المرحلة .

وفي أواخر هذا العام وأول عام ١٩١١ أقيم المعرض المصري الأول للفنون الجميلة في بيت من الطراز العربي بشارع شريف بالقاهرة مازال قائما حتى الآن تشغله مؤسسة تجارية . وقد تضمن هذا المعرض تماثيل للطالب الخريج محمود مختار وأنطون حجار كما احتوى لوحات محمد حسن ويوسف كامل وراغب عياد وعلي حسن وعلي الأهواني الى جانب مشروعات معمارية للخريجين المعماريين الأول محمد انيس ، ومحمد اسلام ، وفريد نجم ؛ وتوفيق شارل .

في هذا العام أيضا التحق بالمدرسة من المصورين الرواد احمد صبري ، كما التحق بقسم النحت محمود حسني المثال الذي عرف بتماثيله الكاريكاتيرية ولحق بهم المصور أحمد لطفي والمثال ابراهيم جابر .

وانتقلت مدرسة الفنون الجميلة من مبناها بدرب الجماميز الى مبنى آخر بدرب الجديد بالسيدة زينب وتولى نظارتها فنان كبير هو الفنان الفرنسي « جبرييل بيسي » وظلت المدرسة تعتمد في

مواردها على الأموال التى أوقفها عليها الأمير يوسف كمال والتى خصص جانب منها لايفاد المبعوثين الى الخارج لاستكمال دراستهم ٠

كان **محمود مختار** هو المبعوث الأول الى باريس فى أواخر عام ١٩١١ أما محمد حسن فقد تحول بعد تخرجه الى التدريس بمدرسة الفنون والصنائع ثم أوفد فى بعثة الى انجلترا لدراسة الفن التطبيقى ثم يعود ليكون الى جانب قدراته الفذة كمصور للأشخاص رائدا من رواد الفن التطبيقى فى مصر ٠

وعلى حين تستغرق مهنة التدريس فى مراحل التعليم العام سنوات من حياة **يوسف كامل وراغب عياد** فانهما يستأنفان بعد ذلك استكمال مرحلة التكوين فى روما ويستكمل **أحمد صبرى** تكوينه الفنى فى باريس ابتداء من سنة ١٩٢٥ بعد أن ظل بعد تخرجه يعمل رساما للحشرات بوزارة الزراعة ٠

حتى الآن لم يكن الفن قد اندمج فى صميم الحياة المصرية ، وان لاح عنصرا من عناصر الثقافة ولكن **ثورة ١٩١٩** تدفع بالفن الى قلب الحياة حين يعرض محمود مختار تمثاله « نهضة مصر » فى باريس فتستقبله دوائر الفن بالتقدير الكبير، ويشجعه أعضاء الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول أثناء وجودهم فى باريس لعرض قضية مصر على مؤتمر السلام ، وتبدأ الدعوة الى اكتتاب قومى لاقامة التمثال فى ميدان عام بالقاهرة ويرتفع التمثال الى جلال الرمز القومى ، ويتخذ الفن مكانه فى حركة النهضة الى جانب الآداب والمقومات الأخرى للنهضة ٠

ويتجمع هذا الجيل من رواد النهضة الفنية ابتغاء التعبير عن روح مصر والبحث عن هوية قومية للفنون تستمد من تراث الحضارة ومنطق البيئة وروح العصر وتسعى الى أن تصبغ الصياغة الأوربية صبغة مصرية ٠

لا نستطيع أن نغفل فى ذكرى العيد الماسى الى جانب جهود هؤلاء الرواد من خريجى مدرسة درب الجماميز اثنين من الهواة درسا القانون ولكن عشقهما للفن تغلب على اغراء مناصب الدبلوماسية والقضاء فانضما الى موكب الرواد الأول ، بل كانا فى صدارته أولهما المصور **محمد ناجى** الذى بدأ دراسة الفن فى الخارج وعاد الى مصر قبيل الحرب العالمية الاولى مواصلا بحثه الشخصى عن فن مصرى عصرى يعبر عن شخصية وطنه ويتجاوب مع لغة العصر التشكيلية والثانى **محمود سعيد** الذى درس الفن فى مراسم الفنانين الأجانب ، تلك المراسم التى قامت بدور فى تعليم الفنون بالقاهرة والاسكندريه ٠ اذا كان ناجى قد ترك مناصب الدبلوماسية الى عالم الفنون فان محمود سعيد جمع فترة بين كرسى القضاء ووسامه وبين مرسم الفنان ثم تفرغ لفنه وأعطاه كل نفسه وخلف صرحا شامخا يمثل رؤية خاصة لمصر كما تبدت فى لوحاته ٠

ظل هذا الجيل يقدم عطاءه ويشق للفن طريقه كان لكل منهم شخصيته وذاتيته كما كان لهم مشاركتهم الجماعية فيما نظموه من معارض ، وما انشاوه من جمعيات ، وما ساهموا به فى اقامة مؤسسات النهضة الفنية وارساء دعائمها ٠

وظلت مدرسة الفنون الجميلة تقوم برسالتها فى المجتمع وتشاركها مدارس الفنون الزخرفية والتطبيقيه ، فى تخريج بعض الفنانين الافذاذ الذين انضموا الى موكب النهضة حتى أذنت مدرسة الفنون الجميلة بتحول ، حين تقرر ضمها الى وزارة المعارف كما تحولت الجامعة الأهلية الى جامعة رسمية ٠

ومنذ عام ١٩٢٧ استقبلت مدرسة الفنون الجميلة عهدا جديدا ومرت بتحولات واخرجت أجيالا من الفنانين ٠

القاهرة : بدر الدين أبو غازى

ARCHIVE
http://Archive.beta.Sakhrit.com

٧٥ عاماً من الفنون التشكيلية فى مصر

لوحتا الغلاف

بجوار الكوبرى
محمد ناجى
الوان زيتية
على قماش
١١٢ × ٧٧ سم
١٩٥٦ ◄

الصلاة ـ محمود سعيد ـ الوان زيتية على خشب ـ ٩٧ × ٥٧ ـ ١٩٣٤ ▼

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakhrit.com

• رقص الخيل ـ راغب عياد ـ احبار واصباغ ملونه على ورق ـ ٥٠ × ٧٠ سم .

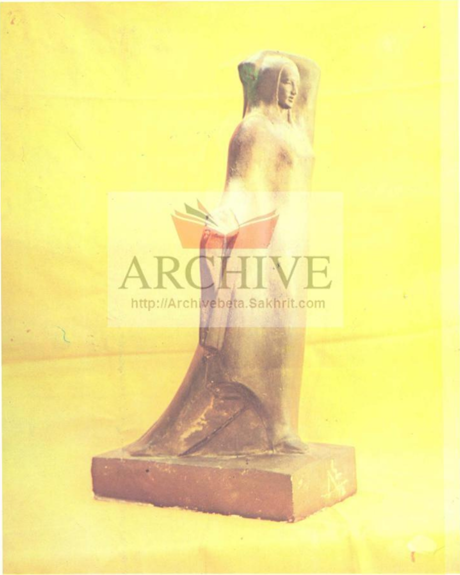

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• نحو ماء النيل ـ محمود مختار ـ رخام ـ ١٩٢٧ .

• زوجة شيخ البلد ـ محمود مختار ـ برونز ـ ١٩٢٨ .

• صورة سيدة ـ احمد صبرى ـ زيت على توال ـ ٥٠ × ٦٠ سم ـ ١٩٤١ .

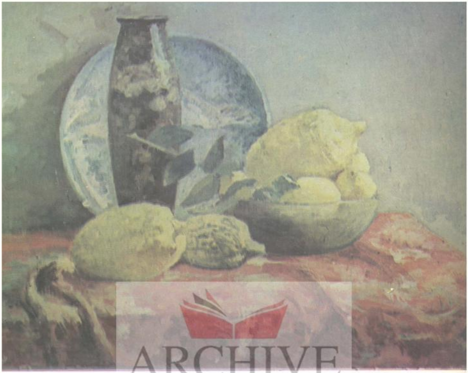

• طبيعة صامته ـ احمد صبرى ـ الوان زيتية على قماش ـ ٨٨ × ٥ر٦٨ سم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

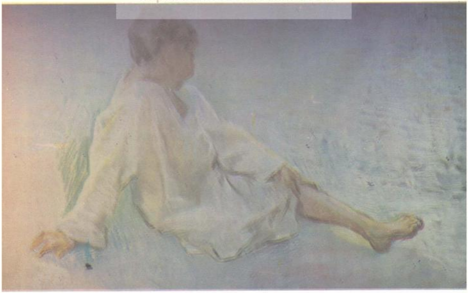

• صبى من القرية ـ يوسف كامل ـ الوان باستيل على ورق ـ ٦٠ × ٣٥ سم .

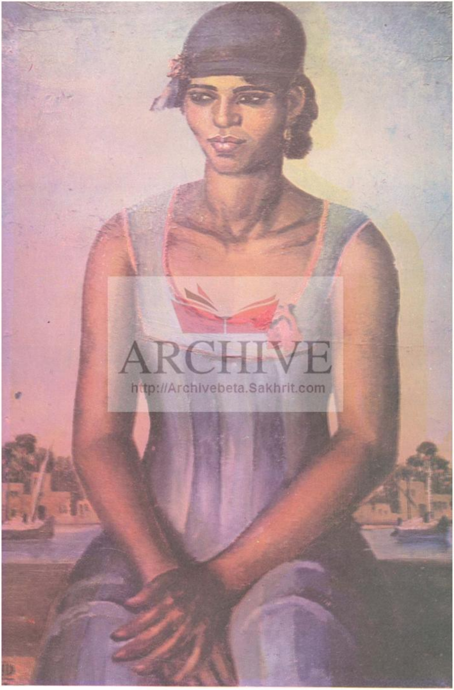
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• ذات الثوب الأزرق ـ محمود سعيد ـ الوان زيتية على سيلوتكس ـ ٦٣ × ٩٤ سم ـ ١٩٢٧ .

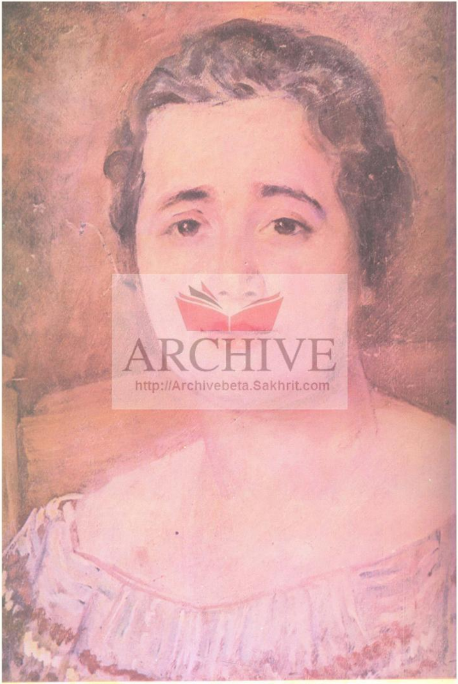

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• زوجتى ـ محمد حسن ـ الوان زيتية على سيلوتكس ـ ٣٥ × ٤٧ سم .

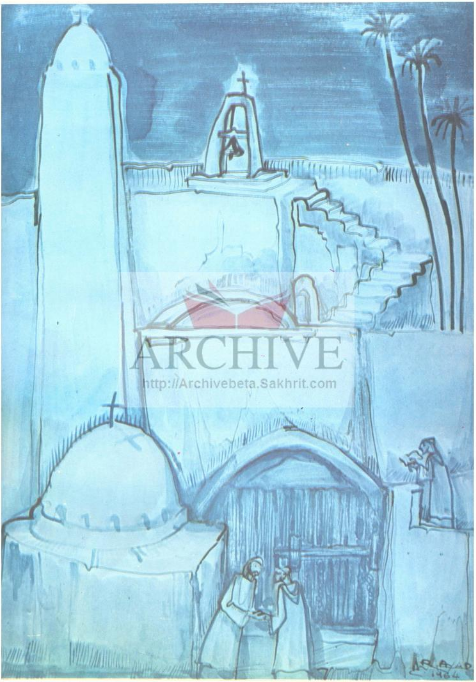

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• الدير من الخارج ـ راغب عياد ـ احبار شينى وزرقاء على الورق ـ ٥٠ × ٧٠ سم ـ ١٩٦٤ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com